موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

يَـا أَيُّهَـا النُّـورِيُّ حُكْمُـكَ مُـضْحِكٌ ... الفَـأْرُ مَـعْ أَسَـدِ الـشَّرَى مَـا يَـصْنَعُ

(زَعَـمَ الْفَـرَزْدَقُ أَنْ سَـيَقْتُلُ مِرْبَعًـا ... أَبْـشِرْ بِطُـولِ سَـلَامَةٍ يَـا مِرْبَـعُ)

هَـذَا كَـمَا قَـدْ جَـاءَ فِـي الأَشْـعَارِ نُنْـ ... ـشِدُهُ[1] عَـلَى أَنَّ الْفَـرَزْدَقَ أَشْـجَعُ

هَـيُّ بْـنُ بَـيٍّ أَنْـتَ لَا نَـسَبٌ وَلَا ... حَـسَبٌ وَلَا عَمَـلٌ بِـهِ تَتَـوَرَّعُ[2]

لَـنْ يَرْتَقِـي بِـكَ لِلزَّعَامَـةِ أَنْ تُـرَى ... لِلْإِنْكِلِيـزِ بِذِلَّـةٍ تَتَخَـضَّعُ

إِنَّ الرِّئَاسَـةَ تَـحْتَ سُـلْطَانِ الْعِـدَا ... لَـسَحَابَةٌ تُغْرِيـكَ ثُـمَّ تَقَـشَّعُ

خَـانَ الْعِـرَاقَ الْعَلْقَمِـيُّ مُـؤَمَّلاً ... قَـبْلاً بِنَيْـلِ رِئَاسَـةٍ يَتَمَتَّـعُ[3]

وَغَـوَى فَكَـانَ جَـزَا الْـخِيَانَةِ وَالْقَطِيـ ... ـعَةِ أَنْ غَـدَتْ أَوْصَـالُهُ تَتَقَطَّـعُ

(فَـدَعِ الْوَعِيـدَ فَـمَا وَعِيـدُكَ ضَـائِرٌ ... أَطَنِـينُ أَجْنِحَـةِ الـذُّبَابِ) يُـرَوِّعُ[4]

لَا الإِنْكِلِيـزَ وَلَا الْيَهُـودَ بِمُنْقِذِيـ ... ـكَ مِـنَ الْـهَلَاكِ إِذَا أَتَـاكَ الْمَـصْرَعُ

لَـنْ تَـمْلِكَ الـشَّعْبَ الْعِرَاقِـيَّ الأَبِـيَّ ... [5] وَأَنْـتَ مَـمْلُوكٌ تُطِيـعُ وَتَـسْمَعُ

مَـنْ كَـانَ يَـسْعَدُ حِـينَ يَـشْقَى قَوْمُـهُ ... فَمَـمَاتُ ذَلِـكَ لِلْبَرِيَّـةِ أَنْفَـعُ

---

(١) في جريدة «الحرية»: «. . .ننشـ ... ـده. . .»!

(٢) في جريدة «الحرية»: «تترفع».

(٣) البيت في جريدة «الحرية» هكذا:

«مِنْ قَبْلُ قَدْ خَانَ الْعِرَاقَ الْعَلْقَمِـ ... ـيُّ مُؤَمَّلاً بِرِئَاسَةٍ يَتَمَتَّعُ»

(٤) الهلال الثاني في جريدة «الحرية» بعد آخر البيت.

(٥) في جريدة «الحرية»: «. . .الأبـ ... ـي. . .».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَلِـذَاكَ قَـدْ حَكَـمَ الْعِـرَاقُ عَلَيْـكَ بِالْـ ... ـقَتْلِ الـشَّنِيعِ لِأَنَّ ذَنْبَـكَ أَشْـنَعُ

إِنَّ الْعِـــرَاقَ مُنَفِّـــذٌ أَحْكَامَـــهُ ... فِـي مُـجْرِمٍ عَـنْ غَيِّـهِ لَا يُقْلِـعُ

وَإِذَا الْعِـــرَاقُ أَرَادَ قَتْلَـــكَ نَـــاقِمًا ... (أَلْفَيْـتَ كُـلَّ تَـمِيمَةٍ لَا تَنْفَـعُ)

هَجَمَ الْعِرَاقُ عَلَيْكَ فِي أَرْضِ الْجَنُو ... بِ وَفِي الشَّمَالِ[1] فَكَادَ قَلْبُكَ يُخْلَعُ

مِنْ حَدِّ (فَاوٍ)[2] فِي الْجَنُوبِ إِلَى لِوَا ... (سِـنْجَارَ)[2] حَتْفُـكَ دَائِـمًا مُتَوَقَّـعُ

هَيْهَـــاتَ أَنْ تَنْجُـــوَ وَخَلْفَـــكَ أُمَّـــةٌ ... مَوْتُـــورَةٌ عَـــنْ ثَأْرِهَـــا لَا تَـــهْجَعُ

لَـــيْسَ الْعِـــرَاقُ بِنَـــائِمٍ عَـــنْ ثَـــأْرِهِ ... وَعَـــنِ الطِّـــلَابِ بِحَقِّـــهِ لَا يَنْـــزِعُ

حَتَّـــى يُطَهِّـــرَ أَرْضَـــهُ مِـــنْ مَعْـــشَرٍ ... تَـــخَذُوا الْـــخِيَانَةَ مَرْتَعًـــا يُـــسْتَنْجَعُ

نُـورِي الـشَّقِيُّ وَإِسْرَائِيـلُ[3] وَلَنْـدَنٌ ... دَاءُ الْعِـــرَاقِ فَحَقُّهُـــمْ أَنْ يُقْطَعُـــوا

---

(١) في جريدة «الحرية»: «. . .في أرض الشمـ ... ـال وفي الجنوب. . .».

(٢) الهلالان زيادة من (بو خبزة).

(٣) تقرأ باختلاس (ألف) (الراء) للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

قال أبو عبيدة: هذه التسمية منكرة، وقد شاع على ألسنة الناس في بلاد المسلمين القول في سياق الذمِّ: فعلت إسرائيل كذا! وستفعل كذا!

و(إسرائيل): هو رسول كريم من رسل الله؛ وهو (يعقوب) -عليه السلام-، وهو بريء من دولة اليهود الخبيثة الماكرة؛ إذ لا توارث بين الأنبياء والرسل وبين أعدائهم من الكافرين، فليس لليهود أية علاقة دينية بنبي الله (إسرائيل) -عليه السلام-، وهذه التسمية تُسيء لمفاهيم ديننا، ولا يرضى الله عنها ولا رسوله ولا أنبياؤه، ولا سيما (إسرائيل) -عليه السلام-؛ إذ هم قوم (كفرة)، وقوم (بهت)، وإطلاق هذه التسمية عليهم فيها إيذاء له -عليه السلام-، والواجب الحيلولة دون ذلك.

وثبت في «صحيح البخاري» (٣٥٣٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا تَعْجَبُونَ** =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

لَـيْسَ الْعِـرَاقُ بِنَاقِـهِ أَوْ بَـارِئٍ إِلَّا بِـذَا فَهُـوَ الـدَّوَاءُ الأَنْجَـعُ

* * *

[اختلاف الطباع]

[١٠٩] وقلتُ فيما اقتضى ذلك من بحر المجتث:

لِكُـلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ[1] إِلَّا اخْـتِلَافَ الطِّبَـاعِ
فَـذَاكَ دَاءٌ عَيَـاءٌ فَهُـوْ إِلَى الْبَـيْنِ دَاعِ
عَلَيْـكَ خَـيْرُ سَـلَامٍ بِـصَحْبِ خَـيْرِ وَدَاعِ

كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؛ يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ».

والواجب -على الأقل- إغاظتهم بتسميتهم (يهود)؛ لأنهم يشمئزون من هذه التسمية، ويفرحون بانتسابهم الكاذب ليعقوب -عليه السلام-؛ فليس لهم شيء من فضائله ومناقبه -عليه السلام-.

وللشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رسالة مطبوعة بقطر، عام ١٣٩٨، بعنوان «الإصلاح والتعديل فيما طرأ على اسم اليهود والنصارى من التبديل»، وانظر في هذا -أيضًا-: «معجم المناهي اللفظية» (٤٤) للشيخ بكر أبو زيد، ومجلتنا «الأصالة» الغراء، مقالة الشيخ ربيع بن هادي (حكم تسمية دولة يهود بإسرائيل) العدد (٣٢)، السنة السادسة، ١٥ ربيع الأول ١٤٢٢هـ، (ص ٥٤-٥٧).

ثم وجدتُ هذا التحذير في كتاب «خرافات يهودية» لأحمد الشقيري (ص ١٣-٣٠) تحت عنوان: (لستم أبناء إبراهيم، أنتم أبناء إبليس).

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «دواء»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

(حرف الفاء)

[ذم مَن يطلب شرف المنزلة بتكلفٍ وتذللٍ][1]

[١١٠] وقلتُ بمكة ١٩ صفر ١٣٤٦هـ فيمن يطلب شرف المنزلة بتكلُّفٍ وتذلُّلٍ لغير الله [البحر الكامل]:

لَا خَـيْرَ فِـي شَرَفٍ بِغَـيْرِ تَعَفُّـفِ ... إِنَّ التَّكَلُّـفَ لَا يَـجِي بِتَـشَرُّفِ

وَإِذَا أَتَـاكَ بِكُلْفَـةٍ فَـسَحَابَةٌ ... فِي الصَّيْفِ يَـجْلُوهَا الرِّيَاحُ فَتَنْتَفِي

شَـبَّهْتُهُ بِـوَمِيضِ بَـرْقٍ خُلَّـبٍ ... يَـبْدُو وَلَـيْسَ وَرَاءَهُ مَطَـرٌ يَفِـي

***

[هجو متآمرين على دعوة التوحيد]

[١١١] وقلتُ في أناس من الفجار والمبتدعين تآمروا على درس الوعظ وإبطال الدعوة إلى توحيد الله وطاعة الرسول حين رأوا نجاحها وانتشارها، وأنا في الطريق بين الرباط ومكناس في ٢٣ محرم ١٣٨١هـ [البحر الخفيف]:

يَـا أُنَاسًـا جَـرُّوا عَلَيْنَـا وَجَـارُوا ... وَمَـعَ الْـجَوْرِ أَكْثَـرُوا التَّعْنِيفَـا

---

(١) الأبيات في (الدفتر الخاص) للهلالي (ق ١٢٩)، وقبلها: «مكة ١٩ صفر ١٣٤٦هـ»، وبعدها: «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَأَطَاعُوا الشَّيْطَانَ لَمَّا عَصَوْا مَنْ ... لَمْ يَزَلْ بِالْعِبَادِ بَرًّا لَطِيفَا

لَا نُبَالِي بِبَغْيِكُمْ وَقُوَاكُمْ ... إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفَا

***

[مساجلة مع سكيرج]

[١١٢] ونظمتُ هذه القصيدة وأرسلتها إلى الأستاذ الشيخ أحمد سكيرج[(١)] اعترافًا بفضله وشكرًا له على إحسانه؛ فأجابني بقصيدة من بحرها ورويها سأُثبتها هنا، وكان ذلك بألمانيا في ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٦هـ، من بحر مجزوء الكامل:

هَلْ دَاءُ عِشْقِي مُنْتَفِ ... أَوْ فِي الْغَوَانِي مَنْ تَفِي

لَيْلِي سُهَادٌ وَالنَّهَا ... رُ يَزِيدُ فِيهِ تَأَسُّفِي

وَوَسَاوِسِي لَا تَنْقَضِي ... وَالدَّمْعُ غَيْرُ مُكَفْكَفِ

نَارُ الْغَرَامِ تَشِبُّ بَيْـ ... ـنَ جَوَانِحِي لَا تَنْطَفِي

وَأَرَى الْعَذُولَ يَلَجُّ فِي التَّـ ... ـتَعْنِيفِ دُونَ تَلَطُّفِ

أَتَرَاهُ يَجْهَلُ لَوْعَتِي ... وَصَبَابَتِي وَتَلَهُّفِي

أَمْ قَلْبُهُ صَلْدٌ فَلَمْ ... يَرْثِي وَلَمْ يَتَعَطَّفِ

لَوْ أَبْصَرَ الْحُسْنَ الَّذِي ... أَبْصَرْتُهُ لَمْ يُسْرِفِ

شَقْرَاءُ وَرْدِيَّةُ الْخُدُو ... دِ بَدَتْ بِقَدٍّ أَهْيَفِ

---

(١) ستأتي ترجمته في التعليق على مقطع (١١٤).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

تَرْنُـــو بِطَـــرْفٍ نَـــاعِسٍ ... يَرْمِـــي[١] بِـــسَهْمٍ مُتْلِـــفِ

أَصْـــمَتْ فُـــؤَادِي ثُـــمَّ قَـــا ... لَـــتْ أُفْ وِيـدِزْزِينْ يَـا صَـفِي[٢]

قُلْـــتُ ارْحَـــمِي قَلْبِـــي الْمُعَنْـــ ... ـــنَى يَـــا فُـــولَايِنْ وَاعْطِفِـــي

اللهَ فِـــي غَـــرَبٍ رَمَيْـــ ... ـــتِ عَـــلَى هَـــلَاكٍ مُـــشْرِفِ

مَـــاذَا عَلَيْـــكِ وَفِـــي يَدَيْـــ ... ـــكِ حَيَاتُـــهُ لَـــمْ تُـــسْعِفِ

---

(١) في الأصل ونسخة (بو خبزة) بالياء آخر الحروف، ولعل المراد: يرمي الطرف بسهم، وإلَّا فهي بالمثناة الفوقية.

(٢) في هامش «منحة الكبير المتعالي»: «إلى الملتقى» بخط الآلة الكاتبة، وعلى شكل حاشية، وكأن الهلالي يريد أن يُترجم لنا معنى الكلمات الثلاث (أف ويدر زين) -وقد كتبَتْ في الأصل على هيئة ثلاث كلمات- التي قد تكون بالألمانية، واجتهدتُ بضبطها بحسب تفعيلات مجزوء البحر الكامل من حيث الحركات والسكنات، والله الموفق.

ثم -وبعد أنِ انتقلتُ لوزن البيت التالي- استوقفتني كلمة (فولاين) التي في عجزه؛ فرأيت أن أبحث عنها على صفحات الإنترنت؛ فكان من توفيق الله لي أن وقفتُ على صفحةٍ سردت بعض الكلمات الألمانية بالألمانية، وطريقة نطقها بحروف عربية، وترجمتها باللغة العربية؛ فرأيت من ضمنها:

«مع السلامة = آوف فيدارزين = Auf Wiedersehen . . . . الآنسة = فولاين = Fraulein».

فثبتَ ما توقعتُ من أن هذه الكلمات هي كلمات ألمانية كُتِبَتْ بحروف عربية، وظهر لنا أن الكلمات الثلاث (أف ويدر زين) -كما في أصل «الديوان»- هي في حقيقة أمرها كلمتان كما صوبتُ ذلك في البيت، ثم ضبطت (فولاين) بما يتناسب مع تفعيلات مجزوء البحر الكامل من حيث الحركات والسكنات، ولا يسعني إلا أن أقول -وكما أقول دائمًا-: والله الموفق. (أبو الفضل).

قال أبو الفضل: ثم تأكدنا من صحت ما وقفتُ عليه على صفحات الإنترنت عن طريق شيخنا أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان -حفظه الله- عن طريق سؤال أحد الإخوة العارفين للألمانية؛ فكان جوابه موافقًا لما وفقني الله له؛ فزاد الأمرُ تأكيدًا؛ فجزاه الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مِـنْ شِقْوَتِـي قَـدْ قَابَلَـتْ طَلَبِـي بِكُـلِّ تَـأَفُّفِ
رَدَّتْ (بِـأَنْمَكْلِيشْ)[1] وَصَـدْ دَتْ لَـمْ تَـرُقْ لِلْمُـدْنَفِ[2]
مَـنْ مُنْقِـذِي مِـمَّا دَهَـا نِـي فِـي اغْتِرَابِـي الْمُضْعِفِ
مَـنْ عَائِـدِي مَـنْ عَائِـذِي مَـنْ مُنْـصِفِي مَـنْ مُسْعِفِي
مَـنْ أَبْتَغِـي مَـنْ أَرْتَـجِي مَـنْ أَنْتَحِـي مَـنْ أَصْـطَفِي
إِلَّا الْوَفِـيَّ ابْـنَ الْوَفِيْـ ـيِ ابْـنِ الْوَفِـيِّ ابْـنِ الْوَفِـي
مَـا ذَاكَ إِلَّا سَـيِّدِي شَـيْخِي وَأُسْـتَاذِي الْـحَفِي
ذَاكَ الإِمَـامُ سُـكَيْرِجٌ هُـوَ أَحْـمَدُ الْبَحْـرُ الصَّفِي
الْعِلْـمُ فِيـهِ سَـجِيَّةٌ أَبَـدًا بِـدُونِ تَكَلُّـفِ
وَالْـجُودُ بَحْـرٌ فَـائِضٌ لِلْمُجْتَـدِي[3] وَالْـمُعْتَفِي
وَالْعِلْـمُ فِيـهِ آيَـةٌ وَبِـشِعْرِهِ الْمُـسْتَطْرَفِ
وَلَطَـائِفٌ وَمَعَـارِفٌ أَعْيَـتْ عَـلَى الْمُـسْتَوْصَفِ
كَيْـفَ الـسَّبِيلُ لَـمَدْحِهِ بِـسُطُورِ طِـرْسِي أَوْ بِفِـي

---

(١) كذا رسمها في «منحة الكبير المتعالي»، ويظهر أنها كلمة ألمانية بحروف عربية كسابقيها، وقد ضبطتها بحسب تفعيلات مجزوء البحر الكامل من حيث الحركات والسكنات، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «لمدنف»! ولكي يبقى البيت موزونًا أجريتُ التعديل الذي ترى، والمدنف: المريض، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «للمجدي»! والتصحيح من (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَهْـوَ الْعُبَـابُ فَـلَا يُحَـسْ ... ـسُ غَرَفْـتَ أَمْ لَـمْ تَغْـرِفِ

أَقْـسَمْتُ بِـالنُّورِ الَّـذِي ... فِـي وَجْهِـهِ لَا يَـخْتَفِي (١)

مَـا حُلْـتُ عَـنْ عَهْـدِي لَـهُ ... عَهْـدِي الَّـذِي لَا يَنْتَفِـي

حُبِّـي لَـهُ دِيـنٌ بِـهِ ... أَبَـدًا يَزِيـدُ تَـحَنُّفِي

لَـوْ قِيـلَ لِـي مَـا تَـشْتَهِي ... مِـنْ وَاهِـبِ اللُّطْـفِ الْـخَفِي

لَـذَكَرْتُ رُؤْيَـةَ وَجْهِـهِ ... وَبِغَيْرِهَـا لَا أَحْتَفِـي

مُـذْ غَـابَ عَنِّـي وَجْهُـهُ ... ثَمَـرَ الْـهَنَا لَـمْ أَقْطُـفِ

مَـا زِلْـتُ أَحْفَـظُ وُدَّهُ ... وَبِـذِكْرِهِ أَبَـدًا حَفِـي

يَـا لَيْـتَ شِـعْرِي هَـلْ أَرَى ... دَهْـرِي بِـذَلِكَ مُـسْعِفِي

فَيَعُـودُ لِـي أُنْـسٌ مَـضَى ... أَيَّـامَ دَهْـرِي مُنْـصِفِي

وَاللهِ وَاللهِ الْـعَـظِـيـ ... ـمِ بِغَـيْرِهِ لَـمْ أَحْلِـفِ

مَـا طَـابَ لِـي مِـنْ بَعْـدِهِ ... عَـيْشٌ وَلَا قَلْبِـي شُـفِي

إِنْ عَـادَ أَعْـرِفُ قَـدْرَهُ ... إِذْ قَبْلَـهُ لَـمْ أُعْـرَفِ

وَأَصُـونُ بِالـشُّكْرِ الْجَمِيـ ... ـلِ نَعِـيمَ ذَاكَ الْمُنْـصِفِ

وَأَتُـوبُ مِـمَّا قَـدْ جَنَيْـ ... ـتُ مِـنَ الْقُـصُورِ الْـمُجْحِفِ

قولي: (أقسمت بالنور الذي)؛ البيت غفلة عظيمة، وجهالة وقعتُ فيها، مع العلم بأن

---

(١) سيأتي آخر القصيدة نقض ونقد لهذا البيت بقلم الهلالي نفسه، مع تغييره وتوبته من الحلف بغير الله -عزَّ وجلَّ-.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الحلف بغير الله جاء فيه وعيد شديد؛ فقد روى الترمذي وحسنه الحاكم وصححه: عن عمر بن الخطاب: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ -أَوْ أَشْرَكَ-**»(١).

وفي النهي عن الحلف بغير الله أحاديث صحيحة صريحة، وقد أولع الشعراء(٢) بالحلف بغير الله حتى جعلوا من محاسن الشعر أن يحلف المادح ببعض صفات الممدوح، ووقع حتى في الأمداح النبوية كقول البوصيري:

أَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ ... مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

ويا لله للعجب كيف يمدح النبي ﷺ بمعصية الله ومعصيته نفسه، ولذلك أقترح أن يبدل البيت فيصير هكذا:

أَوَ مَا تَرَى النُّورَ الَّذِي ... فِي وَجْهِهِ لَا يَخْتَفِي

ولما وَصَلْتُهُ هذه القصيدة ارتاحَ لها، وأجاب عنها بقصيدة نثبتُها هنا لكمال المناسبة وهي هذه:

مَاسَتْ بِقَدٍّ أَهْيَفِ ... فِي رَوْضِهَا الْمُتَزَخْرِفِ

لِتُرِيكَ بَعْضَ دَلَالِهَا ... رَغْمًا لِأَنْفِ مُعَنِّفِي

عَرَفَتْ بِأَنَّكَ فِي هَوَا ... هَا الْمُدْنِفُ الْخِلُّ الْوَفِي

---

(١) أخرجه الطيالسي في «المسند» (٢٠٠٨) -ومن طريقه أبو القاسم البغوي في «الجعديات» (٨٩٥)-، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٢٥)، وأبو داود في «السنن» (٣٢٥١)، والترمذي في «جامعه» (١٥٣٥) وغيرهم من حديث ابن عمر، **والحديث صحيح**.

وقد خلط المصنف -رحمه الله- بين حديث عمر وابنه -رضي الله عنهما-، وثبت معنى الحديث عن عمر -رضي الله عنه- عند البخاري (٦١٠٨، ٦٦٤٦، ٦٦٤٧)، ومسلم (١٦٤٦).

(٢) بيَّنتُ ذلك مُفصَّلاً في كتابي «شعر خالف الشرع»؛ يسر الله إتمامه بخير وعافية.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

عَطَفَتْ عَلَيْكَ وَطَالَمَا ... نَفَرَتْ وَلَمْ تَتَعَطَّفِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ الْهَوَى الْـ ... ـمَقْصُورُ فِيهَا لَمْ تَفِي

أَتُرَاكَ بُحْتَ بِسِرِّهَا ... وَالسِّرُّ عَنْهَا مَا خَفِي

قَالَتْ بِسِرٍّ ضَمِيرِهَا ... مَا فِيكَ يَا مِسْكِينُ فِي

أَكَفَاكَ هَذَا مِنْ مُحِبْـ ... ـبَتِكَ الَّتِي لَكَ تَصْطَفِي

إِيهٍ تَقِيَّ الدِّينِ دَا ... رِكْنِي فَإِنَّكَ مُتْلِفِي

فَلَكَمْ نَظَرْتُ لِحُسْنِ وَجْـ ... ـهِكَ نَظْرَتِي لِلْمُصْحَفِ

اِزْدَادَ فِيكَ وَفِيهِ حُسْـ ... ـنُ تَأَمُّلٍ وَتَلَطُّفِ

وَعَلَى أَسِرَّتِهِ اسْتَبَنْـ ... ـتَ سَرِيرَةً بِتَعَرُّفِ

وَلَقَدْ غَدَتْ نَفْسِي فِدَا ... كَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ

أَزَمَانُ كُنْتَ مُرَافِقِي ... وَمُوَافِقِي وَمُشَرِّفِي

وَبِمَا تُنَظِّمُهُ مِنَ الدْ ... دُرِّ الثَّمِينِ مُشَنِّفِي

وَأُمَتِّعُ الأَنْظَارَ فِيـ ... ـمَا قَالَ كُلُّ مُصَنِّفِ

إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيـ ... ـمِ وَزَادَ فِيكَ تَلَهُّفِي

وَالْحُبُّ فِيكَ عَلِيَّ مَنْـ ... ـحُولٌ بِغَيْرِ تَكَلُّفِ

مُذْ غِبْتَ عَنِّي صَارَ عَنْ ... قَلْبِي سُرُورِي مُنْتَفِ

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

حَتَّى قُضِي فِيَّ الْقَضَا ... مَا لَسْتُ أُبْدِيهِ بِفِي

وَالْوُدُّ فِيمَا بَيْنَنَا ... عَنِّي وَعَنْكَ هُوَ الْخَفِي

يَا ابْنَ الْهِلَالِي هَلْ بِعَوْ ... دِكَ لِي زَمَانِي مُسْعِفِي

وَأَرَى الْقَضَا بِالرِّفْقِ مِنْـ ... ـكَ بِأَخْذِ حَقِّي مُنْصِفِي

فَأَرَاكَ عِنْدِي حَاضِرًا ... فِي دَارَةِ اللُّطْفِ الْخَفِي

لَا زِلْتَ فِي حِفْظِ الإِلَـ ... ـهِ وَأَنْتَ لِي الْخِلُّ الْوَفِي

***

[عتبٌ على مُقاولٍ]

[١١٣] ولما رجعتُ إلى العراق بعد غيبة استمرت عشر سنين، بعضها في ألمانيا، وبعضها في المغرب -من سنة ٣٦ إلى ٤٢ في ألمانيا، ومن ٤٢ إلى ١٩٤٧ في تطوان ونواحيها-؛ عُيِّنْتُ مدرسًا في كلية الملكة عالية (بعد الثورة كلية التحرير)، وكان راتبي ٣٥ دينارًا يضاف إليها زيادة لغلاء المعيشة؛ فاكتريت دارًا بـ ١٦٠ دينارًا في السنة؛ فلم[(١)] أستطع أن أقتصد في النفقة لأدفع كراء الدَّار في كل ثلاثة أشهر؛ فعزمتُ على بناء دار -وقد تقدم ذكرها في (حرف الراء)[(٢)]-، واتفقتُ مع مقاول اسمه (هويدي)، ويكنى أبا مصطفى من أهل عانة؛ فتأخر في إنجاز بنائها؛ فقلتُ في ذلك من بحر السريع:

زَعَّلَنَا الْيَوْمَ أَبُو مُصْطَفَى ... لِأَنَّهُ بِعَهْدِهِ مَا وَفَى

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «فلن أستطع»! والتصحيح من (بو خبزة).

(٢) بل في (حرف الدال) في آخر مقطع رقم (٣٧) (ص ٢٦٤)، والله الموفق.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مِـنْ أَجْـلِ ذَا أُمُّ شَـكِيبٍ غَـدَتْ تَقُـولُ فِـي الْعُتْـبِ عَلَيْـهِ أَفَـا

و(أفا)[1] -باللغة العامية-: كلمة تقال في العتاب، لا أعرف أصلها.

(١) تقرأ بتفخيم (الهمزة) و(الفاء)، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

(حرف القاف)

[إلى الشيخ أحمد سكيرج][1]

[١١٤] وكتبتُ إلى الشيخ أحمد سكيرج[2] بهذه القصيدة، بعد استقراري في

---

(١) ظفرتُ بالأبيات في «الدفتر الخاص» (ق ٧٢-٧٣) بالهلالي، وقبلها قوله: «الدورة ١٢ جمادى الثانية سنة ١٣٤٥هـ، في صدر كتاب السكيرج بعد السلام، أما بعد. . .»، وفوقها: «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) هو أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الأنصاري، من أولاد سكيرج المعروفين بفاس، وأصلهم من الأندلس، كان فقيهًا علَّامةً مُشاركًا مُحصِّلاً مُدرِّسًا مُؤلِّفًا ناظمًا ناثرًا، أخذ عن عدة أشياخ؛ منهم: الشيخ أحمد بن محمد ابن الخياط، والشيخ محمد بن الشيخ قاسم القادري الحسني، والشيخ عبد الله البدراوي، والشيخ مَحمد -فتحًا- كنون، والشيخ عبد السلام الهواري، والشيخ أحمد بن الجيلالي الأمغاري، والشيخ محمد بن عبد القادر ابن سودة -وقد أجازه إجازةً عامَّةً، وقفتُ عليها-، إلى غير هؤلاء من الأشياخ.

كانت ولادة صاحب الترجمة عام تسعين ومئتين وألف، وألَّف تآليف عديدة مختلفة، تُناهز المئة، طبع بعضها؛ فأول تأليف له طبع: «الفدلكة الجامعة في صرف الجامعة» و«شرحها»، وله شرح على أرجوزة ابن عمه الشيخ محمد بن الطيب سكيرج، المتوفى عام أربعة وتسعين ومئة وألف، الذي عارض بها «الشمقمقية» لابن الونان، وله «رياض السلوان في ترجمة مَن اجتمعتُ بهم الأعيان»؛ ترجم فيه لنحو ألفَيْ فاضل، وله كتاب «كشف الحجاب عمن تلاقى مع القطب التجاني من الأصحاب»، وله ذيل عليه سمَّاه: «رفع النقاب بعد رفع الحجاب»، وله «الورد الصافي في علمي العروض والقوافي»، وله نظم «نقاية» السيوطي، ونظم «شفاء القاضي عياض»، وله دواوين عديدة، إلى غير ذلك من التآليف، تولَّى أولاً =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

البصرة من أرض العراق في ١٢ جمادى الثانية ١٣٤٥هـ؛ بعد التحيَّة[١] ولفظ (أما بعد) [البحر الخفيف]:

فَاعْلَمُوا أَنَّنِي عَلَى الْعَهْدِ بَاقِ ... حَافِظٌ وُدَّكُمْ لِيَوْمِ التَّلَاقِي

لَيْسَ يُسْلِينِي أَنْ تَكُونُوا بِغَرْبٍ ... وَأَنَا قَاطِنٌ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ

لَا وَلَا أَنَّنِي غَدَوْتُ غَنِيًّا ... عَنْ إِعَانَاتِكُمْ بِذِي الآفَاقِ

وَحَبَوْتُ مَا كَانَ يَجْمَعُنَا مِنْ ... مَذْهَبٍ وَطَرِيقَةٍ بِطَلَاقِ[٢]

وَاتَّبَعْتُ النَّبِيَّ لَا أَبْتَغِي مِنْـ ... ـهُ بَدِيلاً مِنْ سَافِلٍ أَوْ رَاقِ

الكتابة مع الوزير الجباص، ثم صار قاضيًا بمدينة وجدة، ثم قاضيًا بثغر الجديدة، ثم قاضيًا بمدينة سطات، وعليها توفي.

وكان له توغل كبير في الطريقة التجانية، وكتبه فيها تشهد بما ذكر، وقد ذهب في آخر عمره إلى عاصمة الجزائر لأجل جمعية أحباس الحرمين الشريفين؛ لأنه أصبح أحد أعضائها، ولما رجع منها أصابه مرض؛ فذهب إلى مراكش لأجل التداوي، وبعد مضي خمسة أيام بها توفي بالمستشفى في منتصف ليلة ثالث وعشري شعبان عام ثلاثة وستين وثلاث مئة وألف، وأقبر بضريح الشيخ القاضي عياض -رحمه الله-؛ ترجمته في «سل النضال» (١٠٢-١٠٣)، و«إتحاف الطالع» (١/ ٤٩٨)، و«الأدب العربي في المغرب الأقصى».

وله ذكر كثير في «ديوان الهلالي»، وأورد الهلالي فيه (مطارحات) شعرية بينه وبينه، وذكر بعض مواقفه معه؛ انظر المقاطع (٢٧، ٥٢، ٩٤، ١١٢، ١٢٦، ١٢٧، ١٧٣، ١٧٤)، وكان الهلالي أستاذًا لولدَيْ شيخه هذا (عبد السلام) و(عبد الكريم)؛ انظر مقطع (٢٦، ٤٧، ٥٢، ٥٨، ١٨١)، وانظر له «سبيل الرشاد» (٢/ ١١٨) للهلالي، مع تعليقي عليه، نشر الدار الأثرية، و«الهدية الهادية» (١٢-١٣).

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «التحلية»!

(٢) إشارة إلى نبذ الهلالي التيجانية التي بقي عليها الشيخ أحمد سكيرج.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

كَيْـفَ أَجْفُـو الـوَحْيَيْنِ مُتَّبِعًـا رَأْ ... يَ امْـرِئٍ سَـطَّرُوهُ فِـي أَوْرَاقِ

لَـيْسَ مَعْـصُومًا مِـنْ خَطَـاءٍ وَسَـهْوٍ ... غَـيْرُ مَـنْ خُـصَّ بِـاعْتِلَاءِ الْـبُرَاقِ

كُـلُّ قَـوْلٍ لِغَـيْرِهِ، فَهْـوَ مَعْـرُو ... ضٌ عَـلَى قَـوْلِ أَحْـمَدٍ بِاتِّفَـاقِ

فَـاطَّرِحْ مَـا يُـرَى لَـهُ، ذَا خِـلَافٍ ... وَاتَّبِـعْ مَـا يُـرَى لَـهُ، ذَا وِفَـاقِ

وَإِذَا أَجْـمَعُوا فَحَـقٌّ وَلَكِـنْ ... عَـزَّ إِجْـمَاعُهُمْ عَـلَى الْـحُذَّاقِ

قَالَـهُ الـشَّافِعِيُّ أَكْـرِمْ بِـهِ، حَبْـ ... ـرًا عَـلَا بِـالْعُلُومِ وَالأَخْـلَاقِ

وَدَعَـا مِثْـلُ مَالِـكٍ لِاتِّـتِلَافٍ ... لَـمْ يَكُونَـا لِيَـدْعُوَا لِافْـتِرَاقِ

لَكِـنِ الْـخَلْفُ قَـدْ عَـصَوْا كُـلَّ دَاعٍ ... لِلْهُـدَى وَاقْتَفُـوا سَـبِيلَ الـشِّقَاقِ

فَـإِلَى اللهِ مِـنْهُمُ، قَـدْ بَرِئْنَـا ... وَاتَّبَعْنَـا هَـدْيَ النَّبِـيِّ الْـوَاقِي

يَـا أَبَـا الْعَبَّـاسِ اسْـتَمِعْ لِمَقَالِـي ... فَهْـوَ حَـقٌّ كَالـشَّمْسِ فِـي الإِشْرَاقِ

لَا تُقَابِلْـهُ بِالتَّجَافِـي فَـإِنِّي ... قُلْتُـهُ، مُخْلِـصًا لَكُـمْ فِـي الـصِّدَاقِ

فِـيكَ قِـدْمًا عَهِـدْتُ نِـصْفًا وَبِـرًّا ... وَالَّـذِي قَـدْ عَهِدْتُـهُ، فِـيكَ بَـاقِ

وَاقْرَ مِنِّي السَّلَامَ عَبْدَ الْكَرِيمِ[1] الْـ ... ـبَرَّ إِنِّي إِلَيْـهِ ذُو أَشْـوَاقِ

قَـدْ بَعَثْتُ إِلَيْـهِ سِـفْرًا حَـوَى نُخْـ ... ـبَةَ أَشْـعَارِ أَذْكِيَـاءِ الْعِـرَاقِ[2]

لَـمْ يُـجِبْنِي عَـمَّا كَتَبْـتُ إِلَيْـهِ، ... لَيْـتَ شِـعْرِي أَصَـارَ لِـي ذَا حِنَـاقِ

---

(١) ولد الشيخ أحمد سكيرج.

(٢) هذا البيت في (الدفتر الخاص) بعد الذي يليه

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أَمْ غَـــدَا مُتَهَاوِنًـــا بِحُقُـــوقِي ... وَمَـحَا مِنْـهُ الْـوُدَّ طُـولُ الْفِـرَاقِ

كَـيْفَمَا شِـئْتُمُ فَكُونُـوا فَـإِنِّي ... حَـافِظٌ وُدَّكُـمْ لِيَـوْمِ الـتَّلَاقِ[1]

ثم كتبتُ نثرًا انتقدتُ به قصيدة نشرَتْها له صحيفة «السعادة» الاستعمارية، وقلتُ مُتهكِّمًا بألفاظ متصوفة: لعلك حين نظمَتْ تلك القصيدة كنتَ في مقام الفناء، والمحق والسحق والدَّك والحمى والطمس، وهي ألفاظ يكررها التجاني في كلامه في الثناء الذي يدَّعيه المتصوفة؛ فغضب من ذلك وهجاني بقصيدة بلغت مئة بيت على وزن قصيدتي السابقة ورَويِّها؛ فأردت أن أهجوه، ونظمت البيت الأول من القصيدة وهو:

كَـمْ عَـدُوٍّ وَطَّنْتُـهُ بِعِتَـاقِي ... فَغَـدَا نَـهْبَةً لِطَـيْرٍ عِتَـاقِ

ثم تذكرتُ أنه كان قد أخذ عليَّ عهدًا أن لا أهجوه، وكان ذلك في مدينة وجدة، وقد جاءته أبيات من فقهاء ندرومة الذين يدرسون «مختصر خليل» ويهجرون علم النحو وغيره من علوم اللسان، ويذمون ذلك، ولم يبقَ في حفظي من الأبيات إلا اثنان وهما[2] [البحر البسيط]:

النَّحْـوُ كَالْـمِلْحِ مَـا دُونَ الْكِفَايَـةِ مُجْـ ... ـزِئٌ وَمَـا بَعْـدَهُ دَاءٌ إِلَى حِـينِ

إِنَّ النُّحَـاةَ مَـضَتْ أَعْمَارُهُـمْ سَـفَهًا[3] ... مِنْ غَيْرِ نَفْعٍ[4] وَبَاعُوا الدِّينَ بِالدُّونِ

ثم ذكرتُ بيتًا آخر نقصني منه لفظ فأكملتُه والمعنى لم يتغير، وهو:

---

(١) إلى هنا ما في (الدفتر الخاص).

(٢) ستأتي القصيدة بتمامها في مقطع (١٧٣).

(٣) صوابها: «بددًا»؛ كما في مقطع (١٧٣).

(٤) صوابها: «شيء»؛ كما في مقطع (١٧٣).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مَـا عِنْـدَهُمْ مِـنْ عُلُـومٍ غَـيْرُ مَعْرَكَـةٍ مَـا بَـيْنَ زَيْـدٍ وَعَمْـرٍو فِـي الـدَّوَاوِينِ[١]

فهجوتُ قائل هذه الأبيات بقصيدة؛ قلتُ في مطلعها [البحر البسيط]:

نُبِّئْـتُ أَنْ قَـدْ أَتَـى بَعْـضُ الـشَّيَاطِينِ يَـرُومُ مِـنْ زَعْمِـهِ هَـدْمَ الأَسَـاطِينِ[٢]

فلما أنشدته إياها؛ قال لي: عاهدني أن لا تهجوني؛ فعاهدته.

وأيضًا؛ قد أحسن إليَّ، وبلغ من إحسانه أنه كتب كتابًا -أو قال بلسانه- للمراقب المدني في وجدة: إن الشريف سيدي محمد بن عبد القادر الهلالي مثل ابني عبد الكريم، وهو محب للدولة الفرنسية، وأنا أَضْمَنُهُ، وهذه مخاطرة عظيمة، حمله الكرمُ وحسنُ الخُلُقِ، ولولا ذلك ما حصلت على جواز السفر من الفرنسيين.

ولم أسلك السبيل التي ضمن لهم أني سأسلكها، بل حاربتُ الاستعمار من يوم خرجتُ من المغرب سنة ١٣٤٠هـ إلى أن رجعتُ إليه سنة ١٣٧٩هـ، ولا أزال أحاربه إلى اليوم، ولذلك مدحته بقصيدة (دالية)[٣]، هي عند ابنه السيد عبد الكريم سكيرج، وكذلك (النونية) التي دافعتُ بها عن النحاة، ونرجو أن نأخذها ونثبتها هنا[٤]، لذلك لا أملي ما أحفظه منهما.

---

(١) سيأتي في مقطع (١٧٣) على الصواب، هكذا:

وَسَـطَّرُوا فِتْنَـةً أَخْبَارُهَـا كَـذِبٌ مَـا بَـيْنَ زَيْـدٍ وَعَمْـرٍو فِـي الـدَّوَاوِينِ

(٢) ستأتي القصيدة بتمامها في مقطع (١٧٣).

(٣) تقدَّمَتْ في مقطع (٥٢).

(٤) أثبتَهَا المصنف في «منحة الكبير المتعالي» (مقطع ١٧٣).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

(حرف الكاف)

[مساجلة مع الأديب محمود شاكر][1]

[١١٥] وقلتُ بجدة في ٤/ ٢/ ١٣٤٨هـ حين سألني الأديب محمود شاكر: كيف حالك؟ فقلت ارتجالاً [البحر الطويل]:

أَلَا رُبَّ خِـلٍّ قَـالَ لِـي كَيْـفَ حَالُكَـا ... فَقُلْـتُ أَرَى حَالِـي بِـذَا الْوَقْـتِ حَالِكَـا

هُـمُومٌ أَحَاطَـتْ بِـي كَـأَنَّ وُجُوهَهَـا ... وُجُـوهُ سُـعَالٍ[2] فِـي الْفَـلَاةِ سَـوَالِكَا

* * *

(١) البيتان في (الدفتر الخاص) (ق ٩٣) للهلالي، وقبلهما: «في جدة ٤/ ٢/ ١٣٤٨هـ، سألني . .» مثله، وبعدهما: «نقلت»؛ قلتُ: أي إلى «الديوان».

(٢) مفردها (سُعْلاة)، وهي أنثى الغول.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[القصيدة الديكيّة، وقصة طريفة[١]

(١) من «السلفية الوهابية بالمغرب» (١٦)، وجاء في أوَّله: « قال الأستاذ مخلص السبتي:

شددتُ الرحال إلى بناني في تطوان؛ فأنشدني الأبيات باعتزاز وفخر، وطربوشه الأحمر يميل يمنة ويسرة، ولحيته البيضاء تهتز في طرب، لا يخلو من وقار، وقال: ضاع يومًا للدكتور ديك، فكلَّف شخصًا له خبرة في الرياضة والقفز بالقبض عليه؛ فبقي يومًا يصارع فلم يُفلح؛ يقفز عليه من هنا؛ فيفلت له من هناك، وهذا الشخص اسمه محمد ويدان.

فجاء الدكتور إلى تلامذته في القسم، وقال لهم: ضاع مني ديك، من استطاع أنْ يقبض عليه أهبه جائزة.

فقلت له: أنا لها؛ فرافقته إلى منزله، ونظرت في الأمر، وقلت له: هات دجاجة.

فقال: ضاع مِنِّي الديك، وأنت تريد أن تضيف الدجاجة؟!

فأجبته: لا عليك؛ إما أنْ آتي بالزوجين معًا، أو أدفع لك ثمنهما معًا! فقبضتُ الدجاجة، وربطتُ رجلها بحبل أمسكتُ طرفه، وأطلقتها للديك، لكنه لم يراها؛ فصرت أستحث الدجاجة على الصياح؛ فلمَّا أَبَتْ صِحْتُ عوضًا عنها، فما كاد الديك يلمحها حتى أتى إليها متوددًا؛ فألقيت عليه القبض! وأتيت به للدكتور؛ فأعظم الأمر، وأدخل يده في جيبه ليخرج ما كان قد وَعَدَ به، فقلت له: لا أريد مالاً، بل أبياتًا من الشعر! فقال لي»، وذكرها.

قال أبو عبيدة: ثم ظفرتُ في جريدة «العَلَم» المغربية، السنة (٤١)، العدد (١٣٥٥٣)، بتأريخ ١٤/ محرم/ ١٤٠٨هـ - ٩/ ٩/ ١٩٨٧م، (ص ٩) بمقالة بعنوان: (في رفقة الدكتور تقي الدين الهلالي) يقول فيها صاحبها تلميذ الهلالي الموظف في قسم القانون في وزارة الخارجية المغربية محمد بن عودة عن الهلالي وملكته الشعرية:

«وكان -رحمه الله- مُولعًا بإدخال أصوات الآلات والحيوانات في شعره للدُّعابة؛ فمن ذلك أن ديكًا له هرب من قفصه، ودخل بستانًا جوار منزله، فأرسل مَنْ جرى وراء الديك؛ لإلقاء القبض عليه، فلم يفلح، وحكى لنا ذلك في اليوم الثاني؛ فقال بعض إخواننا: أنا لهذه المهمة! واستعمل لذلك حيلةً فريدةً للقبض على الديك، إذ أتى بدجاجة وضعها على مرآى من الديك، غير أن الدجاجة أَبَتْ أن تصيح لتجلب نظر الديك، حتى يأتي إليها، فما كان من زميلنا سوى أن بدأ يُحاكي صوت الدجاجة؛ فلما سمع الديك =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أو

إنقاذ الديك](١)

[١١٦] وقلتُ هذه القصيدة الكافيَّة، ولها قصة لا بُدَّ أَنْ أذكرها هنا:

ذلك، أتى مهرولاً نحو الدجاجة، فألقى عليه القبض.

وأراد الدكتور أن يعطي زميلنا مكافأة على ذلك خمس بسيطات إسبانية، غير أن صاحبنا أبى أن يأخذها، وأراد أبياتًا من الشعر مكافأة على ذلك؛ فقال الدكتور في قصيدة -نسيتُ جلها-:

وصِرْتَ تنطـــق إذ أبـــت دجاجتـــه ... محاكيًا صوتها كا كا كا كا كيكي

ألا قل لمن ضل في صيد الدجاج ولم ... يَـــذْرِ خـــتلاً قـــولاً غـــير مـــأفوك

أفكـار بنـاني في ذا الأمـر قـد ظفـرت ... بمسلك كان قبل اليوم غير مسلوك»

قال أبو الفضل: وهذه الأبيات الثلاثة غير مستقيمة وزنًا؛ لأنها غير مضبوطة لفظًا، والله الموفق.

(١) ظفرتُ بهذه القصيدة ضمن أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وهي فيه بهذا العنوان، وفي أولها: «الحمد لله وحده: . .»، ثم سردها، وسنعمل على إثبات مصورتها.

ووجدتُ في رسالة من رسائل الهلالي لأحمد هارون -ورقمها في كتابي «مراسلات الهلالي» (الثامنة والعشرون)-، وهي مؤرخة بـ(٢٦/ ذي الحجة/ ١٣٦٨هـ، أرسلها الهلالي من بغداد، يقول له في آخرها: «وبلغ سلامي إلى . . .، والتلميذ بناني، وقل له يبعث إليَّ بقصيدة من نسخة الديك».

ووجدتُ -أيضًا- في رسالة غير مؤرخة من رسائل الهلالي لتلميذه أحمد هارون -وهي (الخامسة والسبعون) من رسائله إليه في كتابنا «رسائل الهلالي»- يقول له فيها: «أرجو أن تبعث نسخة من (القصيدة الديكية) التي قلتُها في بناني. . .»، وذكر البيت الأول منها، ثم قال: «وقد أخبر كارلوسَ ابنُ عودة بها، وبقصيدة الجبليّة؛ فأحبَّ أن يلقيهما دروسًا للطلبة والطالبات الإسبانيين، وقد نسختُ له قصيدة الجبلية من حفظي بتذكير وتعاون مع ابنِ عودة، والذي لم أتذكره -وهو بيت أو اثنان- نظمتُهُ، بل نظمتُ بدله، وزدتُ فيها»، قلتُ: و(القصيدة الجبلية) ستأتي في مقطع (١٦٥)، ثم ظفرتُ بمراسلة الهلالي للبناني، وهي ضمن كتابي «المراسلات»؛ يسر الله إتمامه بخير وعافية.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

كنتُ أسكن في بيتٍ خارج تطوان سنة ١٩٤٥م، وكان ذلك البيت على طريق سبتة، وكان لي ديك ودجاجة فوق السطح قد أَكْفَتُّ عليهما سلَّةً لئلا يهربا، وكانت الخادمة تضع لهما علفهما والماء الذي يشربان منه في كل صباح.

وفي ذات صباح لما رفعَتِ السلة أفلت منها الديك؛ فوثب إلى الخارج، ودخل أحد البساتين التي كانت على الجانب الآخر من الطريق ليس لها جدران إلَّا الحظائر من أغصان الشجر والشوك، وكان السيد محمد ويدان من الشبان الرياضيين؛ كانت تهيء له في الملهى دائرة من النار المشتعلة، مرتفعة عن الأرض بنحو متر؛ فيجيء من بعيد راكضًا وينساب فيها، فيخرج من الجهة الأخرى دون أَنْ يحترق.

فلما سمع بقصة الديك تبرع أَنْ يصيده بأَنْ يثب ويتخطى الحظيرة؛ فيصيده، وكنتُ أعرف أين هو بسماع صوته ليلاً ونهارًا، فجاء الرياضي المذكور، وأريته البستان الذي هو فيه؛ فوثب إلى داخله، فلما رآه الديك انتقل خلال الحظيرة إلى الجنة المجاورة؛ فوثب إلى تلك الجنة؛ فهرب الديك إلى جنةٍ أُخرى، وانتهى الأمر بعجز الرياضي عن صيده، وبقي خمسة عشر يومًا في تلك البساتين.

فتبرع أحد تلاميذي في المعهد الحر[١] بتطوان، وهو السيد محمد بن عبد السلام بناني، وكان من أنجب التلاميذ وأشدهم إخلاصًا ومحبة لي[٢]، حتى أنني حبستُه مرَّة مع جماعة من التلاميذ لم يحفظوا ما أمرتهم بحفظه من «معلقة عمرو بن كُلْثُوم» التي مطلعها:

أَلَا هُبِّـــي بِـــصَحْنِكِ فَاصْـــبِحِينَا ... وَلَا تُبْقِـــي خُـــمُورَ الْأَنْـــدَرِينَا[٣]

---

(١) انظر صورة له في النماذج المرفقة أول «الديوان».

(٢) نعم هو أحد تلاميذ العلامة الهلالي، ولكن دراسته عليه أكاديمية، ولذا كان يذم الهلاليَّ بعد توبته من الصوفية. انظر كلامه القاسي فيه في «السلفية الوهابية بالمغرب» (ص ١٣٣).

(٣) مطلع معلقة ابن كلثوم المشهورة، والتي قام بشرحها ابن كيسان المتوفى سنة ٢٩٩هـ، =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فبعد ما صليت الظهر في أحد أقسام المدرسة، وعاقبتُ نفسي معهم بترك الغداء؛ رجعتُ إلى القسم، فوجدتهم جميعًا إلَّا محمد بن عبد السلام؛ فدعوتُ البواب، واتهمته بأنه فتح له الباب، فأخذ يحلف لي أيمانًا مغلظة بأنه لم يفتح له، وكان المعهد في رأس جبل يصعد له نحو مئة درجة، فلم أصدقه، وبعد ربع ساعة رجع التلميذ بناني، فقلتُ له: استولى عليك الشره للأكل وقِلَّةُ الحياء؛ فهربت؟!

فقال: والله يا أستاذ ما وصلتُ إلى بيتي ولا أكلتُ شيئًا! نعم صعدت الجدار ونزلتُ في بيت الجيران، وخرجتُ منه فصرتُ أمشي، وضميري يوبِّخني حتى وصلتُ إلى باب العُقلة، وهو نصف الطريق إلى منزلي؛ لأني أسكن بحي[1] الأزهار، فقلتُ في نفسي: أنت تعظم الدكتور الهلالي أكثر من والدك، وتفر من الحبس الذي حبسك فيه؟! هذه خيانة! فرجعت، وإنْ لم تصدقني؛ فابعث إلى بيتنا واسأل.

فقلتُ له: أنت صادق، ولأجل إخلاصك وصدقك أطلقكم جميعًا.

ولما كان في امتحان النحو تشدد معه مدير التعليم؛ لأنه يعرف أنه من أصحابي، وكان مدير التعليم يبغضني؛ فأكثر عليه من الأسئلة حتى قال له: أنشيء جملة شرطية يكون فعل الشرط وجوابه فيها ماضيين!

فقال له على البديهة -وكان يحفظ القرآن-: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ فكان ذلك آخر سؤال سأله!

لما عَلِمَ بناني بقصة الديك، قال لي: أنا أصيده -إن شاء الله-، ثم سألني: هل له دجاجة؟

وطبعَتْهَا دار الاعتصام بمصر.

وفي «منحة الكبير المتعالي»: «الخمور»! والتصحيح من (بو خبزة).

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «بمدينة»، والتصحيح من (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

قلتُ: نعم.

قال لي: سأجيء بعد العصر؛ فجاء وأخذ دجاجته وكتَّفها، فأريته الجنة التي يُسمَع منها صياحه؛ فأخذ الدجاجة وذهب حتى قرب من الحظيرة، فوضعها وابتعد عنها، ولطأ بالأرض، وبقي صامتًا هنيهة حتى سمع صياح الديك، فأخذ يقاقي كما تقاقي الدجاجة، وكان ذلك على جانب طريق سبتة؛ فوقف المارّة -كلهم- يتفرجون، وكانوا خليطًا من رجال ونساء وصبيان من المغاربة والإسبانيين، واستمر يقاقي؛ فسمعه الديك فخرج من الحظيرة، ورأى دجاجته ملقاةً على الأرض؛ فجاء وأخذ يدور حولها، فالتزم بناني الصمت والتماوت حتى سنحت له الفرصة؛ فوثب عليه وثبةً واحدةً، فاقتنصه؛ فصفَّق الحاضرون -كلهم- بضع دقائق إعجابًا بهذه التمثيلية العجيبة!

فأعطيته مكافأةً ثلاث بسيطات، والبسيطة اسم الدرهم باللغة الإسبانية.

فقال لي: أنا أفضل أنْ تمنحني بأبيات على المكافأة النقدية.

فقلتُ له: سأمدحك بأبيات، ولا بُدَّ أنْ تأخذ المكافأة النقدية أيضًا، وضاعت مني هذه القصيدة، فلما تصديت لجمع هذا «الديوان»، كتبتُ إليه[1]؛ فبعث لي بما يحفظه منها، وأخبرني أنها موجودة بأكملها عند تلميذي البار النجيب السيد محمد بن عودة التطواني، وهو اليوم سفير في أمريكا اللاتينية، وسأكتب إليه في طلبها[2].

---

(١) ظفرتُ -ولله الحمد- برسالة الهلالي إليه، وأودعتُها ضمن كتابي «مراسلات الهلالي»؛ يسر الله نشره بخير وعافية.

(٢) «ولا أدري ما فَعَل، وقد زرتُ الدكتور بمدينة مكناس، وسألني عن القصيدة، وأخبرته بوجودها كاملة عندي، وطَلَبَ مني بإلحاح أنْ أبعث إليه بها ففعلتُ، ولكنه لم يثبتها هنا تامَّةً، وقد ألحقت الأبيات الناقصة بعد». (بو خبزة).

قال أبو عبيدة: ثم ظفرتُ برسالة مؤرخة بـ ٢٢/ رجب/ ١٣٩٥هـ، وجهها الشيخ الهلالي لتلميذه الشيخ محمد بو خبزة يقول فيها: =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

. . . . . .

«بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخ الكريم الصَّديق العزيز الأستاذ السَّلفي الأديب السيد محمد بن الأمين أبي خبزة -دام سَعْدُهُ، وسَعِد جدُّهُ-، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد؛ فقد سررتُ أعظم سرور بزيارتكم ومعرفتكم، وهي عندي كنز ثمين؛ لأن أمثالكم في هذا الزمان قليل. . .» إلى قوله: «وقد وصلَتِ القصيدةُ، وفرحتُ بها كالذي ضلَّ أحد أبنائه، فوجده بعد يأس، وتجد هنا القصيدة التي طلبتَها في هجو الريسوني، وأنا أُسَرُّ بمكاتبتكم؛ فلا تقطعوا عنِّي أخباركم»، وقال:

«ثم أضفتُ إليها (يعني: قصيدته الكافيَّة التي بعث بو خبزة إليه بنسختها المشار إليها في الكتاب) بيتًا في آخرها وهذا هو:

جَـاءَ الرِّيَـاضِيُّ (وِيـدَانٌ) لِيَقْبِـضَهُ ... فَعَـادَ بَعْـدَ جِهَـادٍ جِـدَّ مَرْبُـوكِ»

نقلتُه من «مذكرات أبي خبزة» بخطه، وقال عقب هذه الرسالة:

«قلتُ: سروره بزيارتي ومعرفتي يرجع الأمر فيه إلى انقطاع دام نحو خمسة وعشرين عامًا، منذ مغادرته أرض المغرب إلى العراق، ولما عاد إلى المغرب، واستقرَّ بمدينة مكناس، زُرْتُهُ ببيته، وكان قد كُفَّ بصرُهُ، وابيضَّ شعره، وبان مرضُهُ، وخانتْهُ ذاكرتُهُ؛ فلم يتذكرني، ولا عرف اسمي، إلَّا أنه سُرْعَان ما أَنِسَ بي، وأولاني عنايته وبِرَّه، وأهداني بعض كتبه، وأطلعني على «ديوان شعره»، وهو في مجلد مكتوب على الآلة، وقد انتقينا منه، والقصيدة التي بعث بها إليَّ في هجاء الفقيه الرهوني، هي النونية التي مطلعها:

يَـــا قَـــوْمُ إِنَّ الرَّهُونِـــي ... خَلِيـــفُ خِـــزْيٍ وَهُـــونِ

ولم أتمكن من نقلها ساعتئذ، كما أنني لم أجدها في قصائده وأهاجيه التي ملأ بها كتابه «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة».» انتهى.

قال أبو عبيدة: أما (النونية) التي هجا فيها الرهوني؛ فهي في هذا «الديوان» (مقطع ١٧٧)، وأفاد هذا النقل أن هذه (القصيدة الديكية) تسمى أيضًا: (الكافيَّة)، وأنها بتمامها كانت عند الهلالي، ولا أدري لِمَ لَمْ يثبتها في «الديوان» بصورتها التي وصلته! =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

ولا يفوتني أَنْ أذكر هنا أن الراهب (كيروس) أستاذ اللغة العربية في جامعة غرناطة أعجب بهذه القصيدة أيَّما إعجاب، وأخذها عني وترجمها باللغة الإسبانية، وألقاها دروسًا في العربية لطلاب الجامعة وطالباتها، وأخذ عني -أيضًا- قصيدة الجبلية التي ستأتي في حرف النون[١]، ودرَّسها لطلابه.

وهي من بحر **الخفيف**[٢]، وهذا نص ما وُجِدَ منها:

يَا مُنْقِذَ الدِّيكِ مِنْ أَيْدِي الضَّيَاعِ أَلَا[٣] جُزِيتَ خَيْرَ الْجَزَا يَا مُنْقِذَ الدِّيكِ[٤]

مَا زِلْتَ تَرْصُدُهُ بِالْخَتْلِ مُجْتَهِدًا وَأَنْتَ وَحْدَكَ فِيهِ غَيْرُ مَشْرُوكِ

حَتَّى انْقَضَضْتَ عَلَيْهِ غَيْرُ مُفْلِتِهِ كَبَاشِقٍ[٥] جَدَّ فِي آثَارِ مَكُّوكِ

وَقَدْ تَحَصَّنَ مِنْ أَبِي الْحُصَيْنِ لَدَى زَرْبٍ بِشَوْكٍ وَبِالأَغْصَانِ مَحْبُوكِ[٦]

وثمت فائدة مهمة، وهي: في هذا النقل ومضة في تأريخ وقوف الشيخ محمد بن الأمين بو خبزة لأول مرَّة على هذا «الديوان»، وقد اعتمدنا نسختين التي أطلعه عليها الهلالي، ثم صورها من مكتبته، وعلَّق عليها، وتقدَّم بيان ذلك.

قال أبو عبيدة: قد وضعنا الأبيات التي أثبتها (بو خبزة) بخطه على هوامش وأسفل الأصل بين معقوفتين، وهي ساقطة من «السلفية الوهابية» أيضًا.

(١) في مقطع رقم (١٦٥).

(٢) قلتُ: رحم الله المؤلف؛ بل هي من **البحر البسيط**، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي» وفي «السلفية الوهابية» جاءت «ألا» في بداية الشطر الثاني!

(٤) في «السلفية الوهابية»: «خير الجزايا منقذ الديك»!

(٥) في «السلفية الوهابية»: «كباسق»!

(٦) سقط هذا البيت من «السلفية الوهابية»!

[لِـئِنْ تَحَـصَّنَ مِـنْ بَـازٍ وَمِـنْ سَـبُعٍ ... مُـسْتَوْثِقًا خَلْـفَ سِـتْرٍ غَـيْرِ مَهْتُـوكِ

فَمَـنْ يُحَـصِّنُهُ مِـنْ فَاتِـكٍ ثَقِـفٍ ... أَخِـي دَوَاءٍ[1] وَحَـزْمٍ قَـطُّ مَـا حُـوكِي]

للهِ دَرُّكَ[2] إِذْ أَقْبَلْـتَ تَـخْدَعُهُ ... بِعَـرْضِ أُنْثَـاهُ مَكْـرًا جِـدُّ مَـسْبُوكِ

وَصِرْتَ تَـصْرُخُ[3] إِذْ أَبَـتْ دَجَاجَتُـهُ ... مُـحَاكِيًا صَوْتَـهَا كَكَـا[4] كَـا كِيـكِ

[وَذَاكَ كَيْـدٌ عَظِـيمٌ قَـدْ هَـدَاكَ لَـهُ ... عَقْـلٌ رَجِـيحٌ وَمَكْـرٌ غَـيْرُ مَنْهُـوكِ[5]

فَغَـادَرَ الْـحِصَّ لِلْأُنْثَـى وَشَـاهَدَهَا ... مَكْتُوفَـةً بِوُثَـاقٍ غَـيْرِ مَفْكُـوكِ

هَـشَّتْ لَـهُ، إِذْ رَأَتْـهُ بَعْـدَ غَيْبَتِـهِ ... وَكَـانَ قِـدْمًا لَـدَيْهَا غَـيْرَ مَفْـرُوكِ

بَيْنَـا هُـمَا فِـي رِحَـالٍ لَا يُكَـدِّرُهُ ... شَيْءٌ وَثَبْـتَ عَلَيْـهِ وَثْـبَ تَـحْنِيكِ

وَهَكَـذَا مِـنْ طَرِيـفِ الْـحُبِّ عَـادَ إِلَى ... أَسْرٍ وَكَـانَ طَلِيقًـا غَـيْرَ مَـمْلُوكِ

لَا غَـرْوَ كَـمْ بَطَـلٍ قَـادَ الْـجُيُوشَ وَقَـدْ ... قَادَتْـهُ أُنْثَـى فَـلَا عَتْـبٌ عَـلَى دِيـكِ

---

(١) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «دهاء».

(٢) في «السلفية الوهابية»: «ضرّك»!

(٣) في «السلفية الوهابية» وجريدة «العَلَم» و(أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «تنطق».

(٤) في «السلفية الوهابية»: «صائحًا كيا ككا كيك»! ووزن البيت لا يستقيم بها.

وفي (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «كَاكَا كَكَا كِيكِي»، وهي صحيحة وزنًا، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٥) في «السلفية الوهابية»: «وذاك مكر سديد قد هداك له...عقل راجح وقول غير مأفوك».

والبيت مكسور بكلمة: «راجح»! وجاء ترتيبه في «السلفية الوهابية» قبل البيت الذي قبله، والله الموفق.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

جَـاءَ الرِّيَـاضِيُّ (وِيـدَانٌ) لِيَقْبِـضَهُ فَعَـادَ بَعْـدَ جِهَـادٍ جِـدَّ مَرْبُـوكِ[(١)]

فَقُلْ لِـمَنْ ضَـلَّ في صَيْدِ الدُّيُوكِ وَلَـمْ[(٢)] يَـدْرِ الْـمُخَاتِلُ[(٣)] قَـوْلاً غَـيْرَ مَـأْفُوكِ

أَفْكَارُ (بناني)[(٤)] فِي ذَا الأَمْرِ قَدْ ظَفَرَتْ بِمَـسْلَكٍ كَـانَ قَـبْلاً غَـيْرَ مَـسْلُوكِ

* * *

(١) هذا البيت ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

كتب بعدها (بو خبزة) -بعد أن أثبتها في هامش نسخته-: «فقل لمن ضل إلخ»؛ أي: هذا مطلع البيت الذي يأتي بعد هذه المجموعة من الأبيات، وبفعله هذا أهمل (بو خبزة) بيتًا يأتي بين المجموعة التي أثبتها، والبيت الذي مطلعه: «فقل لمن ضل..»، وهو:

إِنْ ذَلَّ حُبًّـا لِأُنْثَـاهُ فَكَـمْ بَطَـلٍ قَادَتْـهُ أُنْثَـى فَـلَا عَتْـبٌ عَـلَى دِيـكِ

وهو بمعنى أحد الأبيات التي أثبتها (بو خبزة)، وقد وَضَعَ (الهلالي) دائرة بخط اليد حول: (فلا عتب على ديك)، وكتب في الهامش: (لأمرٍ غير مفكوك)؛ ليصبح البيت:

إِنْ ذَلَّ حُبًّـا لِأُنْثَـاهُ فَكَـمْ بَطَـلٍ قَادَتْـهُ أُنْثَـى لِأَمْـرٍ غَـيْرِ مَفْكُـوكِ

ثم أضاف (الهلالي) بعده بيتًا في الهامش بخط اليد، وهو:

وَقَيَّدَتْـهُ بِـسِحْرٍ مِـنْ لَوَاحِظِهَـا حَتَّـى تَرَدَّى فَـلَا عَتْـبٌ عَـلَى دِيكِي

وإنْ كانت هذه الإضافات غير مكتملة في نسخة (بو خبزة) بسبب التصوير، وإنما أخذناها من نسخة الأصل، ثم قال (بو خبزة): «قلتُ: والبيت المتعلق بويدَان أضافه المؤلف بعد ٢٥ سنة، كما كتب إليَّ من مكناس -رحمه الله-».

(٢) في «السلفية الوهابية» جاءت «ولم» في بداية الشطر الثاني!

(٣) في «السلفية الوهابية»: «المقاتل».

(٤) الهلالان زيادة من (بو خبزة)، وصدر هذا البيت لا يستقيم وزنًا، والإشكال في ضبط كلمة (بناني)، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[تقريظ كتاب «الشمائل»]

[١١٧] وكنت قد اجتمعت في وجدة بالسري النبيل المجاهد الوطني السيد عبد الله ابن سعيد السلوي، حين لم يكن بالمغرب جهاد ولا وطنية، إلا ما كان من الأمير محمد بن عبد الكريم[١] في الريف، وقد نفاه[٢] الفرنسيون من بلده سلا إلى وجدة بعدما سلبوا منه أرضًا زراعية، فأغلظ لهم القول فنفوه إلى وجدة؛ فكتب تقريرًا يذكر فيه مظالمهم وعسفهم وجورهم ونقضهم للعهود في سبع صفحات، ووجه ذلك إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، ولكن الفرنسيين لم يتركوا رسالته تصل إلى رئيسهم.

وقد نقموا عليه أنه كان مندوبًا للسلطان في طنجة لما زارها ملك ألمانيا (ڤلهلم)[٣] سنة ١٩٠٤م وكانت بريطانيا وفرنسا تريدان أن تتفقا على أن تَسْكُتَ فرنسا وتسلم لبريطانية التصرف في مصر وتكافئها بريطانية بأن تسلم لها استعمار المغرب على أن يُسَكِّتَا إسبانية بعظم تعرقه: وهو ناحية الريف التي هي من أفقر بلاد المغرب.

والذي كان يحول دون هذا الاتفاق هو ألمانيا؛ فزار ملك ألمانيا طنجة في ذلك الوقت، وكان المغاربة يظنون أن خلاصهم على يد ألمانيا، فأقام مندوب السلطان السيد عبد الله بن سعيد السلوي لملك ألمانيا احتفالاً لم يسبق له نظير؛ فأوغر ذلك صدور الفرنسيين وأسرُّوها في أنفسهم، وامتلئوا غيظًا على المجاهد المغربي البطل.

فلما تمَّ لهم فتح المدن المهمة من المغرب التي على شاطئ البحرين الشمالي والغربي عمدت إلى الانتقام منه، ولكن لم تلن له قناة، بل قابل الحكام الفرنسيين بغاية

---

(١) «الخطابي». (بو خبزة).

(٢) «أي: ابن سعيد». (بو خبزة).

(٣) في الأصل بالفاء، وما ذكرته هو النطق الألماني لاسمه، وفي الألمان من يلفظ اسمه (ڤللم) بالفاء المثلثة وإدغام الهاء.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الغلظة والاحتقار، في الوقت الذي كان المغاربة في غاية الرعب والخوف منهم، حتى إنهم ليكادون[١] يعبدونهم من دون الله.

وكان السيد عبد الله بن سعيد مع تلك الشجاعة والشهامة أديبًا نادر المثال، يحفظ «نفح الطيب» بأسفاره الأربعة، ويستحضر في المحادثة كل ما فيه من نثر ونظم[٢]، ويتصرف فيه تصرف المالك في ملكه؛ فكانت مجالسه حدائق ذات بهجة حافلة بطرائف الأدب، وكان يحبني ويستزيرني؛ فكنت أقضي معه أوقاتًا تشد إليها الرحال.

وفي ذات يوم افتتح مساجلة في تقريظ كتاب «الشمائل» للترمذي؛ فنظمنا مجتمعين البيتين التاليين من **بحر المتقارب**:

كِتَـــابُ الـــشَّمَائِلِ لَا يَنْبَغِـــي ... لِـــمَنْ يَبْتَغِـــي الْـــخَيْرَ أَنْ يَتْرُكَـــهْ

كِتَـــابٌ حَـــوَى سِـــيرَةَ الْمُـــصْطَفَى ... فَلِلَّـــــــهِ لِلَّـــــــهِ مَـــا أَبْرَكَـــهْ

قولنا: (ما أبركه)؛ صيغ فيه فعل التعجب من بورك، وهو عند النحاة ممنوع من وجهين:

أحدهما: أنه رباعي.

والثاني: أنه مبنيٌّ لنائب الفاعل، وما ورد منه في كلام العرب يقتصر عليه ولا يقاس عليه، وهذا مما ورد عن العرب.

---

(١) في الأصل: «لا يكادون»! والتصحيح من (بو خبزة) على هامش «الديوان».

(٢) «لا يخفى ما في هذا الكلام من المبالغة». (بو خبزة).

قال أبو عبيدة: للهلالي في مقالة «دواء الشاكين وقامع المشككين» رقم (٢٢)، المنشورة في مجلة «دعوة الحق» المغربية، السنة الخامسة، العدد العاشر، (ص ١٧-٢٠) كلمة جيدة عن عبد الله بن سعيد السلوي، ومما قال فيها عنه: «أخبرني أن والده ألزمه أن يحفظ كتاب «نفح الطيب»، وهو أربعة من المجلدات؛ فقال: فحفظته».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

قال ابن منظور في «لسان العرب»[1]: «وما أبركه، جاء فعلُ التعجب على نية المفعول».اهـ.

(١) (١٠/ ٣٩٦ - مصورة دار الفكر).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

(حرف اللام)

[اللامية][1]

[١١٨] وقلتُ في المدينة ٢٠/ ٥/ ١٣٤٧هـ [البحر السريع]:

أَصْبَحَ دِينُ[2] الْحَقِّ فِي طَيْبَةٍ ... مِثْلَ يَتِيمٍ مَا لَهُ كَافِلُ

أَنْصَارُهُ مُسْتَضْعَفُونَ[3] عَلَى ... قِلَّتِهِمْ وَضِدُّهُمْ صَائِلُ

مَنْ يَأْمُرُنْ بِالْعُرْفِ أَوْ يَنْهَ عَنْ ... نُكْرٍ يَغُلْهُ مِنْهُمُ غَائِلُ

يَكِيدُهُ زَعِيمُهُمْ مِثْلَ مَا ... يَكِيدُهُ السُّوقَةُ وَالسَّافِلُ

وَذَنْبُهُ عِنْدَهُمُ جَلَّ أَنْ ... يَشْمَلَهُ مِنْ عَفْوِهِمْ[4] شَامِلُ

---

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٧١ - ١٧٣)، وقال في أولها: «ذكر ما قلته من الشعر أيام إقامتي الأولى في المدينة»، والعنوان من «الدعوة إلى الله»، ولهذه الأشعار مناسبة، ذكرناها بالتفصيل؛ انظر المقاطع (٢٣، ٢٤، ٣١)، ثم وجدتُ الأبيات في (الدفتر الخاص) (ق ٨٣-٨٨) للهلالي، وقبلها: «وقلتُ فيما اقتضى ذلك بالمدينة في ٢٠/ من جمادى سنة ١٣٤٧. . .»، وساقها مع أربعة أبيات زائدة تحت (اعتذار)، ولم يذكر فيه الكلام بعد الأبيات، وأثبت في أعلى الصفحة: «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «قولُ».

(٣) سقطت (نون) (مستضعفون) من «منحة الكبير المتعالي»، وأثبتها في مكانها (بو خبزة) بالقلم.

(٤) أو: «مَنْ عَفْوُهُمْ».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

إِذْ كُلُّ ذَنْبٍ عِنْدَهُمْ دُونَ ذَنْـ ... ـبِ مَنْ يَغَارُ إِنْ بَدَا بَاطِلُ

وَيَرْمُقُونَهُ بِأَبْصَارِهِمْ ... شَزْرًا وَفِيهَا حِقْدُهُمْ جَائِلُ

وَإِنْ رَأَى شِرْكًا وَأَنْكَرَهُ ... بِالقَوْلِ فَهْوَ الظَّالِمُ الْعَائِلُ

قَدْ عَكَسُوا حُكْمَ إِلَهِ الْوَرَى ... فِي الشِّرْكِ بِئْسَ الْفِعْلُ وَالْفَاعِلُ

اللهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ مَعًا ... وَهْوَ لِكُلِّ تَائِبٍ قَابِلُ

إِلَّا الَّذِي قَدْ جَاءَ بِالشِّرْكِ فَهْـ ... ـوَ آيِسٌ مِنْ عَفْوِهِ عَاطِلُ

لِأَنَّهُ أَكْبَرُ ذَنْبٍ وَأَدْ ... هَى مُنْكَرٍ[1] يَعْمَلُهُ العَامِلُ

إِنْكَارُهُ التَّوْحِيدَ حَتْمًا فَمَنْ ... أَقَرَّهُ فَدِينُهُ بَاطِلُ

فَكَيْفَ مَنْ يُنْكِرُ إِنْكَارَهُ ... مُسْتَغْضِبًا إِنْ عَذَلَ الْعَاذِلُ[2]

وَيَنْصُرُ الشِّرْكَ عَلَى عِلْمِهِ ... بِسُوءِ عُقْبَى مَنْ لَهُ مَائِلُ

إِنْ جَاءَهُ مُسْتَنْصِرًا صَالِحٌ ... شَاكٍ لَهُ لِنَصْرِهِ آمِلُ

قَدْ غَرَّهُ بِزَعْمِهِ أَنَّهُ ... مُحَقِّقٌ دِينَ الْهُدَى كَامِلُ

يَكُنْ كَمَنْ قَدِ اسْتَجَارَ بِعَمْـ ... ـرٍو فَأَتَاهُ حَتْفُهُ الْعَاجِلُ

يَأْمُرُ بِالرِّفْقِ وَبِاللِّينِ فِي ... حَقِّ الإِلَهِ صَفْحُهُ شَامِلُ

وَمَنْ يَرُمْ مِنْ حَقِّهِ ذَرَّةً ... فَهْوَ عَلَيْهِ ضَيْغَمٌ[3] صَائِلُ

---

(١) في «الدعوة إلى الله»: «. . . ذنب ورد أو منكر . . .».

(٢) هذا البيت من (الدفتر الخاص)، وسقط من «منحة الكبير المتعالي» و«الدعوة إلى الله».

(٣) أثبتها في (الدفتر الخاص): «سبع»! ورسم فوقها المثبت، **قال أبو الفضل**: والمثبت هو =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

لَا سَـامِعٌ عَـذْلاً وَلَا رَاحِـمٌ ضَـعْفًا وَلَا شَـكَاتَهُ قَابِـلُ
يَـسْلُبُ مَـنْ يَـأْمُرُ بِـالْعُرْفِ حَقْـ ـقًا قَـدْ[1] حَبَاهُ الْـمَالِكُ الْعَـادِلُ
وَيَـسْتَبِدُّ بِـالأُمُورِ مَعًـا حَتَّـى القَـضَا فَهْـوَ بِـهِ دَاخِـلُ
إِنْ وَافَـقَ الْـحُكْمُ هَـوَاهُ مَـضَى أَوْ لَا يَـحُلْ مِـنْ دُونِـهِ حَائِـلُ

* قصة ابن منصور[2]:

وَيْـحَ ابْـنَ مَنْـصُورٍ غَـدَاةً أَتَـا ـهُ وَهْـوَ لِانْتِـصَارِهِ آمِـلُ

الصواب وزنًا، والله الموفق.

(١) في «منحة الكبير المتعالي» و(الدفتر الخاص): «. .حقًّا قد. .»! **قال أبو الفضل**: وما أثبته هو الصواب وزنًا، والله الموفق.

(٢) هو محمد بن منصور، إمام قرية من القرى التابعة لإمارة المدينة، نسيت اسمها، كان صالحًا حريصًا على الخير، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى لله، وهو شاب من أهل نجد، وقعت له مع الأمير قضيتان:

الأولى هي التي ذكرتُ في القصيدة: كان ماشيًا إلى قبا؛ فلقي رجلاً من شيعة المدينة يشرب الدخان؛ فأمره بإلقائه، فأبى، فأخذه من يده وألقاه على الأرض، فأمسك به الشيعي، وقال: أخاصمك إلى الأمير؛ فتعجب ابن منصور وقال: أنت تخاصمني إلى الأمير أو أنا أخاصمك إليه؛ فأينا المذنب؟! فقال الشيعي: أنت المذنب الظالم! فَانطَلَقَ إلى الأمير، وتبعه محمد بن منصور؛ فلمَّا وَصَلَا إلى الأمير ذكر الشيعي ما وقع بينه وبين ابن منصور، فقال: إنَّ ما قاله واقع، وأنا اقتصرت في تغيير المنكر على أدنى ما يجب؛ وهو أخذ لفافة الدخان من يده وإلقاؤها على الأرض، وهو يستحق عقابًا أكثر من هذا.

فضرب الأمير ابن منصور ووبَّخه، وقال له: ما لك وله؟! كان يشرب الدخان في الفضاء خارج البلد! ومَن جعلك رقيبًا عليه؟! هل أنت من جماعة الأمر بالمعروف؟! فقال ابن منصور: إنَّ الأمر بالمعروف واجبٌ على كُلِّ مسلم عمومًا، وخصوصًا على الأمراء؛ فغضب عليه وضربه. أفاده الهلالي في «الدعوة إلى الله» (ص ١٧٨-١٧٩).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الرَّافِضِيُّ خَصْمُهُ طَالِبٌ ... تَعْزِيرَهُ بِكَيْدِهِ عَامِلُ

الرَّافِضِيُّ قَالَ يَا سَيِّدِي ... إِنَّكَ أَنْتَ الْحَاكِمُ الْفَاضِلُ

كُنْتُ أَسِيرُ فِي طَرِيقِ قُبَا ... وَشُرْبُ تَتْنٍ شُغْلِيَ الشَّاغِلُ

فَجَاءَنِي هَذَا بِظُلْمٍ فَقَا ... لَ أَلْقِ هَذَا التَّتْنَ يَا جَاهِلُ

قُلْتُ لَهُ دَعِ الفُضُولَ وَرُحْ ... مِثْلُكَ مَا أَنَا بِهِ حَافِلُ

تَنَاوَلَ التَّتْنَ وَأَلْقَاهُ مِنْ ... يَدِي فَبِي مِنْ فِعْلِهِ خَابِلُ

وَهَذِهِ يَا سَيِّدِي قِصَّتِي ... فَاحْكُمْ فَإِنَّ حُكْمَكَ الْفَاصِلُ

قَالَ الأَمِيرُ لِابْنِ مَنْصُورٍ[1] هَلْ ... وَقَعَ مَا قَدْ قَالَ ذَا القَائِلُ

---

(١) كان ابن منصور يَدُقُّ الأبوابَ على أهل القرية قبل الفجر يوقظهم للصلاة؛ فنهاه أهل القرية عن ذلك، فلم ينته؛ فضربوه، وعَلِمَ أنَّه إذا اشتكى إلى الأمير لا يأخذ له حقًّا ولا يدفع عنه ضيمًا؛ فانتظر حتى جاء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن -رحمه الله- من الرياض مارًّا بالمدينة إلى مكة؛ فكتب شكوى وسلَّمها إليَّ راجيًا أنْ أُبلِّغها إلى الملك؛ فأخذتها حتى وضعتها في يد الملك؛ فقرأها وسلَّمها إلى الشيخ عبد الله بن حسن -رحمه الله-؛ ليحكم فيها؛ فدعا الشيخُ الأميرَ وسلَّمها له، وقال له: كيف يقع هذا في إمارتك؟ فقال: ما جاءني ولا أخبرني -وأظهر تحمسًا لنصره-، وقال للشيخ: كُنْ مطمئنًا؛ فإني سأعاقب أولئك الأنذال عقابًا يردعهم!

فلمَّا توجه الملك عبد العزيز ومعه الشيخ عبد الله بن حسن إلى مكة دعا الأمير الذين ضربوه، وأحضر ابن منصور، وأوصى حاشيته أنْ يطلبوا منه العفو عنهم، ويلحوا عليه في ذلك؛ فوبَّخهم الأميرُ! وسبَّهم! وهَمَّ بضربهم؛ فقام أصحابه وقالوا: أيها الأمير! أصلحك الله، مهلاً؛ لعله يصفح عنهم! فطلبوا منه الصفح، وألحُّوا عليه، وأظهر أهلُ القرية التوبةَ؛ فعَرَفَ أنه مخذولٌ، وأنَّ الأمرَ بُيِّتَ بليلٍ؛ فصفح عنهم، ولم يحصل على طائل.

ولم أدرج هذه القصة في القصيدة؛ لأنها وقعت بعد نظمها. قاله الهلالي في «الدعوة إلى الله» (١٧٩).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

قَـالَ نَعَـمْ سَـلَّمَكَ اللهُ مَـا ... ذَكَـرَهُ فَكُلُّـهُ حَاصِـلُ

وَقَادَنِـي لَـكَ فَقُلْـتُ لَـهُ ... تَـسْعَى إِلَى حَتْفِـكَ يَـا سَـافِلُ

وَالْيَـوْمَ ظَنِّـي فِيـكَ أَنْ تُعْـلِيَ الْـ ... ـحَقَّ وَأَنْ يَـنْخَفِضَ الْبَاطِـلُ

مَـا كَـانَ مِـنْ أَمْـرِ الأَمِـيرِ سِـوَى ... رُكُـوبِ عَـارٍ مَـا لَـهُ غَاسِـلُ

إِلَّا بِتَوْبَـةِ نَـصُوحٍ وَحُبْـ ... ـبِ الْـجَاهِ سَـدٌّ دُونَـهَا حَائِـلُ

تَنَـاوَلَ الْعَـصَى وَأَمْعَـنَ فِـي ... ضَرْبِ فَتًـى عَـنِ الأَذَى غَافِـلُ

وَهْـوَ إِمَـامُ مَـسْجِدٍ طَالِـبٌ ... لِعِلْـمِ حَـقٍّ وَبِـهِ عَامِـلُ

* ضيم الحق:

خَدَشَ وَجْهَ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ النْـ ... ـنَـهَارِ حَتَّـى دَمُـهُ سَـائِلُ

ضَرْبُ الْـمُوَحِّدِ لِإِرْضَـاءِ ذِي الرْ ... رَفْـضِ بَـلَاءٌ غَمُّـهُ طَائِـلُ

نَـهَاهُ عَـنْ ذَلِـكَ نُـصْحًا لَـهُ ... يَوْمَئِـذٍ شَـقِيقُهُ الْفَاضِـلُ

قَـالَ لَـهُ خَـفِ الإِلَـهَ فَـذَا ... أَمْـرٌ عَظِـيمٌ شَرُّهُ هَائِـلُ

ضَرْبُكَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعُرْفِ[1] فِي ... طَيْبَـةَ لَا يَـرْضَى بِـهِ عَاقِـلُ

* فرح الفساق وحزن أهل الحق:

يَـا فَرْحَـةَ الفُـسَّاقِ يَوْمَئِـذٍ ... طُـرًّا بِـمَا ارْتَكَبَـهُ الْعَامِـلُ

وَحُـزْنَ أَهْـلِ الْـحَقِّ أَنَّـهُمُ ... مِـنْ ذَا الْـمُصَابِ كُلُّهُـمْ ذَاهِـلُ

---

(١) في «الدعوة إلى الله»: «بِعُرْفٍ»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَذَا نَمُـــوذَجٌ لِأَفْعَالِـــهِ وَجُلُّهَـا عَـنِ الْـهُدَى مَائِـلُ

تَلَـوُّنُ الْـحِزْبَاءِ فِـي قَوْلِـهِ وَفِعْلِـهِ لَا حَبَّـذَا الْفَاعِـلُ

فَـأَيْنَ رِفْقُـهُ بَـلَى إِنَّـهُ لِلْمُجْـرِمِينَ وَحْـدَهُمْ شَـامِلُ

لَكِـنَّ أَهْـلَ الأَمْـرِ بِـالْعُرْفِ لَا[1] يَنَالُـهُمْ مِـنْ رِفْقِـهِ نَائِـلُ

رِفْـقٌ بِـذِي شِرْكٍ وَذِي بِدْعَـةٍ وَذُو الرَّشَـادِ لَـيْسَ يَـسْتَاهِلُ

وَحَـسْبُهُ مِـنْ رِفْقِـهِ أَنَّـهُ بِـسَوْطِهِ لِرَأْسِـهِ[2] صَـامِلُ

كَـأَنَّ ذَا الْـمَغْرُورَ يَحْـسَبُ أَنْ نَ[3] اللهَ عَـنْ أَعْمَالِـهِ غَافِـلُ

بَـاعَ الْـهُدَى بِعَـرَضٍ عَاجِـلٍ وَعَـنْ قَرِيـبٍ كُلُّـهُ زَائِـلُ

مَـنْ بَـاعَ بِالْعَاجِـلِ آجِلَـهُ يَفُوتُـهُ الْعَاجِـلُ وَالآجِـلُ

لَـمْ يَعْتَـبِرْ مَـا قَـالَ خَـيْرُ الْـوَرَى[4] يَـا حَبَّـذَا الْـمَقُولُ وَالْقَائِـلُ

مَـنْ يُـحْدِثُ الْـحَدَثَ فِـي طَيْبَـةٍ عَلَيْـهِ لَعْـنُ رَبِّـهِ نَـازِلُ

وَلَعْنَـةُ الأَمْـلَاكِ وَالنَّـاسِ أَجْـ ـمَعِينَ قَـدْ صَـحَّحَهُ النَّاقِـلُ

مَهْـمَا أَتَـى بِمُنْكَـرٍ مُوبِـقٍ يَقُـلْ كَـذَا أَمَرَنِـي الْعَاهِـلُ

---

(١) بدلها في (الدفتر الخاص): «لأنه»!

(٢) في (الدفتر الخاص): «في رأسه».

(٣) في (الدفتر الخاص): «. . .يحسب أنَّ. . .»! **قال أبو الفضل**: والصواب وزنًا ما أثبته، والله الموفق.

(٤) يشير إلى حديثٍ في «الصحيحين»، سبق ذكري له في التعليق على مقطع (٢٤).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَإِنْ أَتَـاهُ الأَمْـرُ مِنْـهُ بِإِصْـ ـلَاحٍ فَـمَا هُـوَ بِـهِ عَامِـلُ
مُعْتَـذِرٌ بِأَنَّـهُ قَـدْ يَـرَى الشْـ ـشَاهِدُ مَـا يَـجْهَلُهُ الرَّاحِـلُ

* تبرئة الإمام:

حَاشَـا إِمَـامِ الْمُـسْلِمِينَ فَـلَا يَـرْضَى بِـمَا يَفْعَـلُ ذَا الْـخَاتِلُ[1]
قَـوَّامُ لَيْـلٍ خَـائِفٌ رَبَّـهُ فَـوْقَ الَّـذِي يَأْمَلُـهُ الآمِـلُ
ذُو ذِلَّـةٍ عَـلَى الأُلَى آمَنُـوا وَعِـزَّةٍ إِذَا اعْتَـدَى الْـجَاهِلُ
نُـورُ الْـهُدَى بِوَجْهِـهِ[2] لَائِـحٌ مَـا هُـوَ مَخْـسُوفٌ وَلَا آفِـلُ
مَـنْ يَـرَهُ بَدِيهَـةً حَبَّـهُ[3] بَـدْرٌ عَـلَاهُ مُـشْرِقٌ كَامِـلُ
سُـبْحَانَ مَـنْ أَلْبَـسَهُ حُلَّـةً مِـنْ فَـضْلِهِ فَهْـوَ بِـهَا رَافِـلُ
مِـنْ مُعْجِـزَاتِ الْمُـصْطَفَى أَمْـرُهُ[4] لِأَنَّـهُ بِـهَدْيِهِ عَامِـلُ
يَـا أَوْحَـدَ الْأَمْـلَاكِ يَـا أَوَّلَ الشْـ ـسَبْعَةِ يَـا مَـنْ بِـرُّهُ هَاطِـلُ
عَبْـدَ الْعَزِيـزِ الْعَلَـمَ الْفَـرْدَ مَـنْ عَـزَّ بِـهِ دِيـنُ الْـهُدَى الْكَامِـلُ

---

(١) في (الدفتر الخاص): «الفاعل».

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «بوجه»!

(٣) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله»: «يحبُّه»!

(٤) جاءت «أمره» في «منحة الكبير المتعالي» و(الدفتر الخاص) و«الدعوة إلى الله» في أول الشطر الثاني من البيت!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

ابْـنَ سُـعُودٍ[١] سَـعِدَ النَّـاسُ مُـذْ ... بَـدَا لَـهُـمْ فَغَمُّهُـمْ زَائِـلُ[٢]

تَـشْكُو إِلَيْـكَ طَيْبَـةٌ أَمْرَهَـا ... فَالـدِّينُ فِيهَـا مَـا لَـهُ كَافِـلُ

أَزْكَـى سَـلَامٍ طَيِّـبٍ كَامِـلٍ ... إِلَـيْكُمُ مِـنْ رَبِّنَـا وَاصِـلُ

يُرْوَى عَنِ الرِّيَاضِ عَنْ زَهْرِهَا ... إِلَى الرِّيَـاضِ طِيبُـهُ حَامِـلُ

* اعتذار[٣]:

لَوْ كُنْتُ سَحْبَانَ[٤] اللُّغَى لَمْ يَفِي ... وَصْـفَكَ[٥] مَـا أَنَـا لَـهُ قَائِـلُ

مَا ضَرَّنِي النُّقْصَانُ فِي مَنْطِقِي ... وَحُـبُّكُمْ وَسْـطَ الْحَـشَا كَامِـلُ

فَـدُمْ لِـدِينِ الْـحَقِّ مُنْتَـصِرًا ... وَخَـاذِلاً لِـمَنْ لَـهُ خَـاذِلُ

وَلِلْمُلُـوكِ شَمْـسُهُمْ أَبَـدًا ... وَلِلْعُـصَاةِ الـصَّيِّبُ الْوَابِـلُ

ومع ذلك كلِّه؛ نجح عبد العزيز بن إبراهيم[٦] في وشايته، ولما أحس بأن وشايته

---

(١) في (الدفتر الخاص): «ابن السعود»!

(٢) سقط هذا البيت من بعض طبعات «الدعوة إلى الله»!

وفي بعض طبعاته: «. . . مُذْ ... ذُبَدَا . . .»!

(٣) هذا العنوان وما تحته من أبيات من (الدفتر الخاص) فقط.

(٤) «سَحْبَانُ: رجلٌ من وائلٍ مشهورٌ بفصاحتِهِ وبلاغتِهِ»؛ انظر «المعجم الوسيط» (مادة: سحب)، و(يفي): فعلٌ مضارعٌ مجزوم بحذف حرف العلة، لكن للضرورة الشعرية -للوزن- لم تحذف، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٥) أثبتها «مدحك»، ثم رسم فوقها: «وصفك».

(٦) سبقت ترجمته في التعليق على مقطع (٢٣).

نالت قبولاً عند الملك عمد إلى راتبي فأمر وكيل المالية بوقفه.

وأما صاحبي؛ فقد نقل من منصبه بالمدينة إلى مكة، وصار كما كان من عامة الوعاظ في المسجد الحرام، وتوجهت أنا للحج، ولما انتهى الحج قلت لصاحبي الشيخ محمد بن عبد الرزاق: ينبغي لنا أن نزور الملك كما هي العادة للسلام عليه بعد الحج.

وبعد تردد وافقني؛ فاكترينا حمارين ركبنا عليهما إلى قصر الملك، وكان ذلك في ذي الحجة سنة ١٣٤٧هـ، فلما وصلنا قلنا للحاجب -واسمه: ابن جميعة-: نريد السلام على الملك؛ فسألنا عن أسمائنا؛ فتعجبنا من سؤاله؛ لأنه يعرفنا حق المعرفة! وقال: انتظرا! فغاب قليلاً ثم رجع، فقال: يقول الملك: إن جئتما للسلام فادخلا، وإن كان عندكما كلام؛ فإنه لا يلقاكما إلا بمحضر من العلماء.

فقلنا: جئنا للسلام وعندنا كلام، فذهب ثم رجع، وقال: لن يلقاكما إلا بمحضر من العلماء، فرجعنا ولن نجد حمارين فمشينا على القدم من قصر الملك في المحصب -ويُسمَّى في هذا الزمان: المعابدة- إلى المسجد الحرام.

وفي أثناء الطريق غضب عليَّ صاحبي، وقال لي: أنت الذي تسببت لي في هذه الإهانة، كيف ينزل السفير التركي وهو كافر[1] من الكماليين في مدرسة متصلة بالمسجد الحرام، مَوقُوفةٍ على طلبة العلم، وبعث له السيارة إذا أراد أن يزوره، ونحن نُهين أنفسنا ونذهب لزيارته متحملين مشقة ركوب الحمار والمشي في الغبار والزحام، ثم لا يأذن لنا في الدخول عليه؟!!

فقلت: يا أخي هَوِّنْ عليك، فقد كَذَبَ علينا ذلك الخبيث ووشى بنا، وسيظهر الحق ويزهق الباطل؛ فهل تريد أن تحارب الرجل ونحن في مملكته؟! فقال: أما أنا؛ فلا أعود لزيارته!

---

(١) التكفير على التعيين له ضوابط وشروط، وهذا السفير جاء حاجًّا، وتكفيره أمر ليس بالهين؛ فتنبه!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وبعد ذلك بأيام أراد الشيخ محمد بن عبد اللطيف وابن أخيه الشيخ محمد بن إبراهيم الذي هو اليوم[١] مُفتي المملكة، أرادا أن يزورا الملك عبد العزيز؛ فرافقتُهما، وأُجلست غير بعيد من الملك، وكان الشيخ صالح التونسي الذي كان إمامًا في جامع بني أمية بالمحراب المالكيّ، ثم انتقل إلى المدينة على أمل أن يكون إمامًا في المسجد النبوي وخطيبًا، ولكنه لم يبلغ أمله فصار مدرسًا فقط، أي واعظًا، وكان له وجهان، وجه للحجاج، وأعداء السعوديين من أهل الحجاز، ووجه للملك ورجال الدولة وعلماء السعوديين، فإذا خلا بالأولين طعن في السعوديين، وقال: إن هؤلاء وهَّابيون ضلال كفار! سلطهم الله علينا بذنوبنا! نسأل الله أن يفرج عنا!

وإذا اجتمع بالآخرين يقول لهم: نحن لا نستطيع أن نشكركم على إحسانكم! ولكن نسأل الله أن يجازيكم عنا خيرًا! لقد كنا كفارًا فعلمتمونا الإسلام الصحيح!

فانكشف أمره عند الملك عبد العزيز، وعزله من الوعظ، فبقي في بيته متمارضًا أكثر من سنة، ثم استشفع ببعض الشفعاء ليزور الملك ويعفو عنه، وصادف أن هذا الرجل، وهو الشيخ صالح بن الفضل التونسي زار الملك في ذلك المساء، وأُجلس أيضًا غير بعيد منه، فتكلم وقال: يا جلالة الملك جعلتم الرئاسة علينا لأناس ذوي عُنْفٍ وشِدَّةٍ مُنفِّرينَ، كانوا يضيقون علينا الخناق ويرهقوننا، ويلتمسون عيوبنا، ويتجسسون علينا، ويلازموننا ملازمة الظل لشاخصه!

فقلتُ في نفسي: يا رب أنت المستعان، جئتُ إلى هنا للسعي في تخفيف غضب الملك، وجاء هذا الرجل ليزيد في الطين بِلَّة، وفي النار حطبًا، فإن كلامه كان يعنيني ويعني صاحبي الشيخ محمد بن عبد الرزاق؛ لأني أنا كنت مراقبًا على المدرسين في المسجد النبوي، وهو كان معينًا لي في ذلك وخطيبًا في المسجد النبوي.

ولما جاءنا الأمر بإنشاء حلقات دروس للمزوِّرين؛ كَلَّفْنَا الشيخَ صالحًا -هذا!-

---

(١) أي: آنذاك.

بتدريس توحيد العبادة، وأعطيناه كتابًا ألزمناه تدريسه؛ فصار يحيد عن بيان[١] أمور التوحيد، ويروغ روغان الثعلب؛ فمثلاً إذا وجد في الكتاب أن الحلف بغير الله شرك، ولا يجوز؛ حاد عن تقرير هذا المعنى، وأخذ يشرح مسائل اليمين والكفارات! وترك المعنى المطلوب! وإذا وجد في الكتاب أن الذبح لغير الله شرك؛ أخذ يشرح مسائل الذكاة من قطع المرئ والودجين، والتسمية، وما إلى ذلك!

فدعوناه إلى مكتب المراقبة وقلنا له: يا شيخ صالح، أنت لا تجهل ما نقصد بهذه الدروس، وبهذه الكتب؛ فكيف تحرِّف الكلم عن مواضعه؛ فهذا هو الذي عناه بشكواه إلى الملك!

فلمَّا أتمَّ كلامه؛ رأيتُ أنَّ السكوت لا يسعني؛ فقمتُ وقلت: يا جلالة الملك، أتأذن لي في الكلام؟

قال: تكلم.

فقلت: يا شيخ صالح، سأتكلَّم بالواقع؛ فإن كنتُ كاذبًا فكذبني، أليس قد جاءنا أمر من نائب جلالة الملك بأن نوزع الدروس على المدرسين في المسجد النبوي؛ ليعلِّموا المزوِّرين التوحيد، والزيارة الشرعية، والأخلاق؛ فأعطيناك كتابًا في التوحيد؛ فصرتَ تخرج عن الموضوع عمدًا، وتُحرِّف المعنى فرارًا من تقرير التوحيد، وضربتُ له أمثلةً كما تقدَّم؛ فسكت! ولم ينبس ببنت شفة!

فقال الملك عبد العزيز: (حقًّا الله يسلمك، ما عندنا إلا إنسان أحمق، أو إنسان منافق، اللِّي فيه الحركة ما به بركة)؛ هذا ما حفظتُه من كلامه، ومقصودُهُ بالأحمق: أنا، وبالمنافق: الشيخ صالح.

ثم قال بعد كلام: (واحد يروح إلى الحناكية ليجتمع بطوارف الدويش، وابن

---

(١) في الأصل: «بين»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

عبد الرزاق يقف على منبر النبي ﷺ ويقول: لعنة الله عليكم يا أهل المدينة، والله لو يثبت عليه هذا الكلام؛ لأقطع رأسه)، ومقصوده بقوله: (واحد يروح إلى الحناكية) هو: أنا، لم يصرح باسمي؛ لأنيِّ كنتُ حاضرًا، وصرح باسم[(١)] صاحبي؛ لأنه كان غائبًا.

ومن جملة ما قال في ذلك المجلس، يُعرِّضُ بي أيضًا: (ناس اعترضوا علينا في مسألة عيد الجلوس، لكن صاحب «المنار» جزاه الله خير[(٢)] جاوبهم بالحسك).

يشير إلى أن جماعة من جلسائه أشاروا عليه بأن يقيم احتفالاً بِعِيدِ جلوسِهِ على عرش المملكة، ويدعو إلى ذلك الصحافيين، وسفراء الدول؛ فيقدمون له التهاني، ويكون ذلك توكيدًا لاعترافهم بحكومته؛ فدعانا الشيخ عبد الظاهر أبو السمح خطيب المسجد الحرام أن نكتب إلى الملك عبد العزيز، وننصح له أن لا ينشئ عيد جلوس؛ لأن ذلك ليس من شأن السلف الصالح من الخلفاء والملوك الصالحين، إذ ليس في الإسلام إلا عيدان اثنان، عيد الأضحى وعيد الفطر؛ فلا يجوز إحداث عيد ثالث، ونحن ننهى الناس عن إقامة الموالد؛ لأنها بدعة؛ فماذا نقول لهم الآن؟!!

فقلت له: اكتب ونحن نوقع؛ فكتب كتابًا فيه غلظة وشدَّة، فقلنا له: لو لطَّفْتَ عبارتَهُ وليَّنْتَهَا، لقد قال الله تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون، وقد بلغ في التَّوكُّل مبلغه[(٣)]: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]؛ فقال الشيخ أبو السمح: أَلِأَجْلِ أَنْ وَشَى بكما أميرُ المدينة؛ فغضب عليكما الملكُ، صِرْتُمَا تخافان؟! فقلتُ له:

أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ[(٤)]

---

(١) في الأصل: «باسمي»!

(٢) كذا في الأصل، وحقها: «خيرًا».

(٣) في الأصل: «مبلغ».

(٤) هو عجز بيت، أوله: (والهجر أقتل مما أُراقبه)، وهو للمتنبي، كما في «مجمع الحكم =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

لم يبقَ لنا شيء نخاف عليه، وإنما نخاف عليك أنتَ؛ فأعاد الكتابَ ولطَّفه بعضَ الشيء ووقعه، ووقَّعنا معه أنا، وابنُ عبد الرزاق، والشيخُ حامد الفقيه، وأبو بكر جابر، وستةٌ آخرون، وسائر العلماء امتنعوا من التوقيع، ومنهم صديقنا الشيخ بهجة البيطار؛ فقلنا له: لماذا لا توقِّع؟ قال: (ما بدو يفيد سيدي) -باللغة العامية-: هذه النصيحة لا تفيد، ووقع معنا -أيضًا- الشيخ محمد بن راشد من أهل نجد.

ومع ذلك؛ لم يغضب عبد العزيز على صاحب الفكرة؛ لأنه كان من أنصاره قبل أن يكون مليكًا على الحجاز.

ومن الخصال التي كانت في هذا الملك أنه كان يُفرِّق بين مَن كان معه قبل فتحه مكة وبين مَن جاء من بعد.

ثم سافر الملك عبد العزيز إلى الشرق؛ لقتال الخارجين عليه؛ فانهزموا والتجأوا إلى العراق، فسلَّمتهم الحكومة العراقية إليه، ولما رجع ظافرًا وَجَدَ أن مجلس الشورى بموافقة نائب الملك الأمير فيصل انتخبني أنا وابن عبد الرزاق للتدريس في المعهد السعودي؛ لِقِلَّةِ الإقبال عليه، وتنفير أعداء السعوديين من الانتساب إلى هذا المعهد؛ فظنَّ مجلسُ الشورى أننا إذا تولينا التدريس فيه؛ يُقْبَلُ عليه، وتحسنُ سُمعتُهُ؛ فكان الأمر كذلك، خصوصًا وقد كان معنا العالم السَّلفي ذو الخُلُق الوفي الشيخ محمد بهجة البيطار[1].

فلما عاد الملك عبد العزيز؛ وجدنا قد رُقِّينا إلى مرتبة لا نستحقها -في نظره-، لا لعدم كفاءتنا لها، ولكن لأننا من المغضوب عليهم؛ فجمع العلماء وقال لهم: (لا يبقى الهلالي وابن عبد الرزاق في المعهد السعودي؛ فابحثوا لنا عن أستاذين يحلان

والأمثال»، وعُزِيَ للطغراني، قاله في «لامية العجم»، كذا في «خزانة الأدب» (١/ ١٨٨)، وانظر تعليق العلامة عبد السلام هارون عليه.

(١) ظفرتُ بعدَّة مراسلات بخط الهلالي له، وهي مفيدة جدًّا، أدرجتُها بتمامها وكمالها، مع تصوير بعض أصولها في كتابي «مراسلات الهلالي»؛ يسَّر الله لي إتمامه بخير وعافية.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

محلهما)[1]؛ فلم يسعهم أن يعارضوه، فرشَّحُوا الشيخ عبد الله المطلق لمكان أحدنا، ولم يجدوا مَن يناسب لمكان آخر؛ فأمر الملك عبد العزيز الشيخ محمدًا الشاوي -وهو أحد القضاة في نجد- أن يترك القضاء، وأن يدرس في المعهد السعودي؛ فَنُقِلْنَا من المعهد السعودي إلى الوعظ في المسجد الحرام؛ فكان ذلك سبب عزمي على ترك العمل في المملكة السعودية.

---

(١) ظفرتُ بالكتاب الذي وجهه الملك عبد العزيز آل سعود بذلك، وهذه صورته، وهو ضمن كتابي «مراسلات الهلالي»؛ يسر الله نشره بخير وعافية:

بسم الله الرحمن الرحيم

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وتمام هذه القصة عجيب، لم أنشط له الآن، ولعلِّي أعود إليه[(١)].

---

(١) قال الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط في كتابه «المحات من الماضي» (ص ٣٣٢-٣٣٤) مُبيِّنًا شيئًا من شخصية شيخه تقي الدين الهلالي -وله صلة بما ذكره الهلالي أيضًا-؛ قال ما نصه:

«المخبر الذي يكشف الأفذاذ من الرجال، ويترجم عن مواهبهم ومدى استعدادهم للإسهام في كل ما يعود على المجتمع بالخير، ويأخذ به قُدُمًا نحو الكمال والتمام، قوة الشخصية واتزانها، وسلامة تصورها للأمور، وتقديرها بحيث تكون مسيرتها في اتجاه بعيد عن النَّزَق ومهابط الأمور؛ فمن ذا الذي يرتقي إلى هذه الفضائل، ويأخذ بزمام القافلة ليوصلها إلى المستوى الرفيع؟!

قد يكونون كثيرين في الأُمَّة؛ فالخيِّرون لن تقفر منهم الأرض، غير أن من بينهم المغمور الذي لم يحط نفسه بهالةٍ من الدعاية يوجه بها الأنظار إليه؛ فهو في مجتمعه أشبه بكنز مجهول، لا ينتفع به على الرغم من أنه جمع بين العلم وسعة الأفق واتساع أبعاد المعرفة، وغير ذلك من المحامد والفضائل.

هذه مقدمة أعتقد أنها واقع بعض الناس ممن يعيش -كما يقال- على هامش الحياة، خاصة في أعقاب الزمن عندما أصبح للمادة بريق خادع يصدر بعضهم عن وحيها؛ فلا يعبأ إلا بمن له رصيد منها يصول في حدودها، ويجول ويندمج في إطار الماديين، ويأخذ في مناهجم، أرأيت العالم النحرير، والكاتب اللامع، والمحاضر اللبق، والخطيب المفوه؛ كل أولئك وغيرهم من أرباب المواهب إذا لم يكن لديهم رصيد من المادة أضحوا مثلاً لا للاقتداء بهم والسير على نهجهم والأخذ بمسيرتهم، بل ليحاطوا بسياج منيع يحول دون الانتفاع من مواهبهم لتتاح الفرصة لمن لم يدركوا سبقهم أن يقفزوا على ظهورهم.

وأضرب المثل في هذا المقال بالعلماء الذين لا يشق لهم غبار؛ فالعلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثوا العلم، وكل فردٍ في الأُمَّة من حقه أن يأخذ بقسطه من هذا الميراث سواء كان توزيعه في مسجد أم جامعة أم مجمع في أية زاوية من الأرض، غير أنه مع الأسف أضحى المغمور من العلماء وكأنه في قوقعة، ولقد كتبت في عدد من المقالات تحت هذا العنوان: (شخصيات لها أثرها في نفسي)، وكان من بينها مَن مُنِي بالجحود ونكران الجميل والإدبار عنه، وقطع الصلة به لا لشيء سوى أنه لا يحسن أن يلبس لكل زمن لَبُوسًا، ولا يعمد إلى الاستجداء ومد اليد لغيره ليكون له رصيد من المادة مرموق؛ قناعةً برزقه، وتجافيًا على إذلال النفس، وترفعًا بمكانة علمه أن يهبط به عن المستوى الذي رفعه إليه، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]؛ فهذه الرِّفعة التي شرَّف الله بها العلماء هي في الواقع أفضل من أي رصيد ماديٍّ مهما =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[حالي بكم حال]

[١١٩] وقلتُ بِبَيْتِ الشيخ نصيف بِجُدة في محرم سنة ١٣٤٨هـ، وقد تذاكرت مع ابنه حسين نصيف -رحمه الله- عبارةً تجري على ألسنة المتأدبين من أهل الحجاز عندما يسأله سائل عن حاله، يجيبونه: (حالي بكم حال)، و(حال) معناها: حلوة؛ فنظمتُ هذين البيتين، وضمَّنتُهما تلك العبارة [البحر الطويل]:

بلغ من فخامته وضخامته، ونظر الناس إليه بعين الاعتبار.

ولعل بعض القرَّاء يتساءل عن الباعث لكتابة هذه المقدمة؟

والجواب: إنها نفثة مصدور نظر إلى بعض مَن لهم حق الصدارة بالعلم والمواهب، وإذ به مهملاً كما يقولون، وعلى سبيل المثل أذكر من بين مَن مُنِي بالتجاهل فضيلة شيخنا تقي الدين الهلالي؛ إنه عالم ضليع في علم الحديث، بل وفي علوم الدين واللغة العربية، وهو من علماء المغرب، قدم إلى مكة للإسهام بقسط في إشاعة العلم والتوجيه، ولكنه كان من المغمورين؛ لأنه خطط لمسيرته بأن لا يخرج بها عن مسلك العلماء في الحفاظ على علمه من الهبوط به، تتلمذتُ عليه في المسجد الحرام؛ فقرأتُ عليه «صحيح البخاري» و«مسلم»، وعديدًا من كتب السنة؛ فكان ممن لا يشق له غبار في ميدانه، ودرستُ عليه -أيضًا- في علوم اللغة العربية كتاب «مُلحة الإعراب» أول دراستي للغة؛ فكان يشرح المنظومة بيتًا بيتًا، ثم يقرأ عليها الشرح بما لا يترك أمام الطالب غموضًا أو لبسًا، كما درستُ عليه في المعهد الكثير من علوم الدين كلها في إطار السنة، ثم انتقل إلى المدينة المنورة ليقوم بواجبه فيها مُدرِّسًا في المسجد النبوي؛ فنفع الله به في مجاله، وعندما افتتحت الجامعة الإسلامية عُيِّن فيها مُدرِّسًا؛ فكان فَذًّا في المدرسين؛ ينظم الشعر، ويتمثل بالكثير منه، كما كان يمد المجلات الإسلامية بكتاباته الهادية الهادفة دفاعًا عن الإسلام، ودحضًا لمفتريات خصومه، وإيضاحًا للعقيدة السلفية، كان حُرَّ الضمير، لا يقبل الضيم، ولا يستنيم لمن ينال منه، له مؤلفات لا أذكر شيئًا منها الآن لبُعد العهد وضعف الذاكرة، يمتاز بالشجاعة الأدبية التي كانت خُلُقًا له وسجيةً لا تنفك عنه، وحسبك بها منقبة، لا يتهيب لسلطان من يفرض عليه سلطانه خاصة فيما يجب من تقرير الحق.

انقطعت صلتي بفضيلته منذ أن ارتحل إلى المدينة، غير أن شخصيته -بمجموع ما حوته من الفضائل- أثَّرت في نفسي، ولعلي أُوفَّق للسير على دربه وإن غدوت مغمورًا مثله».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أَلَا رُبَّ إِخْـــوَانٍ كِـــرَامٍ صَـــحِبْتُهُمْ فَلَـــمْ أَرَ مِـــنْهُمْ غَـــيْرَ بِـــرٍّ وَإِجْـــلَالِ

وَقَـدْ سَأَلُونِـي كَيْـفَ أَنْـتَ فَقُلْـتُ فِـي جَوَابِي لَهُمْ يَا قَوْمِ (حَالِي بِكُمْ حَالِ)

* * *

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[الاستسقاء بذبح الخيل][1]

---

(١) أورد الهلاليُّ هذه القصيدة في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص ٧٨-٨٠)، وهذا العنوان منه، وقال قبلها: «وفي تلك الأيام المجدبة بلغنا استسقاء آخر عجيب وغريب، وذلك أنَّ أهل سريف -وهي قبيلة في شمال المغرب- أشار عليهم أحد الدجاجلة بما زعم أنَّه قرأه في كتيب من كتب الخرافات والأساطير يسمى: «خزينة الأسرار»، وذلك أنَّه إذا وقع الجذب وانقطع المطر، وأراد الناس الغيث؛ يعمدون إلى مهر من الخيل؛ فيكتبون على جبهته قوله -تعالى- من سورة الشورى [٢٨]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، ثم يذبحون المهر، ويعلقون رأسه في فرع شجرة عالية؛ فإنهم يمطرون، فعل ذلك أهل سريف فخيبهم الله! وفي ذلك قلت القصيدة التالية».

والأبيات التي أمامها علامة (*) ساقطة منه ومن «منحة الكبير المتعالي»، وأثبتُّها من «السراج المنير» (ص ٣٤-٣٨)، وسمَّاها الهلالي فيه: «القصيدة الحمزية»، وأورد أبياتًا ليست مثبتة في «الدعوة إلى الله»، وعلامة ذلك: (*)؛ فهي أمام كل بيت في «السراج» فقط، وما بين الهلالين ساقط منه، وهو من كتاب «الدعوة إلى الله»، ومثبت في «منحة الكبير المتعالي».

وقال الهلالي في «السراج»: «جُلُّ هذه الأبيات بعد كلام: ويناسب هنا إدراج القصيدة الحمزية التي نظمتها في شيخ الموالد الدجال المشرك المدعو: «حمزة»، إمام مسجد في الدار البيضاء، ونصها...».

ونشرت في مجلة «الهدي النبوي» المصرية، المجلد (٣١)، العدد الثاني، بتأريخ صفر سنة ١٣٨٦هـ، (ص ٣٢-٣٥)، وليس فيها ما عليه علامة (*)، والعنوان في «الهدي النبوي»: «لا تذبحوا لغير الله».

وذكرها الهلالي في رسالةٍ وجهها لمحمود مهدي الاستنبولي مُؤرَّخةً بـ(٢٦/ ١/ ١٣٨٨هـ) قال له فيها: «ولا أزال أذكرُ أنكم استحسنتم قصيدةً في ذم البدعة والدعوة إلى السنة، نشرتُها في مجلة «الهدي النبوي»، وكنتُ أُريد أنْ أنشر غيرها؛ فتوقفت المجلة»، انظر كتابي «رسائل العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي للعلماء والوجهاء».

وفي رسالة أخرى له مؤرخة بـ ١٨/ ٥/ ١٣٨٦هـ الموافق ٣/ ٩/ ١٩٦٦م، قال له فيها: «ولم أزل أقرأ ما تنشره في «الهدي النبوي»؛ فأفرح به، ومنه علمتُ أن القصيدة التي نظمتُها في قبيلة (سريف) المشركين أعجبتك؛ فأخبرك أني قلتُ كثيرًا من الشعر منذ أوائل الشباب؛ فمنه ما نُشِرَ في المجلات والصحف المختلفة الأوطان، ومنه ما ضاع قبل أن ينشر، ومنه ما يزال محفوظًا عندي، ولي في تقريع =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

. . . . . .

المقلِّدين والمشركين -أفرادًا وجماعات- قصائد تُقِرُّ عينَ كلِّ مُوحِّدٍ نبيلٍ، وتسخن عين كلِّ مُشركٍ ذليلٍ».

وفصَّل الهلالي في رسالة مؤرخة بـ ٣/ ١/ ١٣٨٧هـ، وجهها من مكناس لتلميذه علي بن أحمد الريسوني الحسني في مناسبة قول هذه القصيدة، وهذا نصُّ كلامه:

«أما صلاة الاستسقاء التي ذكرها لك السيد عبد القادر الطود؛ فلها حكاية: فقد قحط المطر في تلك القطر في تلك السنة، واستسقى أهل القصر استسقاءً شركيًّا؛ فنادى المنادي بأمر من القائد الملالي يأمر الناس أن يستعدوا للخروج في يوم معلوم لطلب الغيث من المدفونين تحت التراب، واشتروا ثيرانًا وكباشًا، وأكبر الثيران كان ثورًا أسود جعلوه قُربانًا للسيد أبي غالب، وخرج القائد والقاضي والناس كلهم حفاة حاسري الرؤوس خاشعين متذللين، يتقدمهم الثور الأسود؛ فذبحوا على الآلهة الكبار كل واحد ثورًا، وذبحوا على الصغار كبشًا؛ فخيبهم الله!

ثم أمرهم أحد الدجاجلة أن يجمعوا سبعين ألف حصاة، ويجمع القراء؛ فيوزعون عليهم الحصى بحيث يقرأ على كل حصاة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٣٨]، ثم جمعوا ذلك الحصا في أكياس، وربطوا أفواهها بحبال وشدوا أطرافها إلى الأشجار، ووضعوا الأكياس في نهرٍ جارٍ، وقال لهم دجالهم: إن الأكياس متى استقرت في الماء، أخذ المطر ينزل مدرارًا، ولا يزال كذلك حتى يكتفوا ويخرج الأكياس من الناس، وإن لم يخرجوها استمر المطر حتى يقع طوفان ويغرق الناس؛ فقلتُ: آمنا بالله! وكفرنا بأحجارهم! فلم تنزل عليهم قطرة واحدة!

وأخذ أهل سريف مهرًا من الخيل، وكتبوا على جبهته الآية المذكورة، وقطعوا رأسه وعلقوه في شجرة -في ذلك قصيدة طويلة قلتُ في جملتها، ثم وجدتُ عندي منها نسخة تجدها مع هذا الكتاب-، وقد خيبهم الله جميعًا!

فجاءني بعض أصحابنا وطلبوا مني أن أصلي الاستسقاء، وكانوا خائفين من القائد والقاضي، وكان عددهم لا يزيد على أربعين، وأحدهم معلم صبيان؛ فجاء بصبيانه وعددهم خمسون؛ فكان الجميع زهاء تسعين؛ فصلينا في مصلى العيد؛ فجاء الله بالمطر!

واعترف بذلك المشركون، حتى أن القائد الملالي نفسه -وكان يبغضني كثيرًا؛ لأنه تيجاني- قال لأصحابه: أيكم يصنع لنا طعامًا على هذا المطر؟ فانتدب لذلك أحد أصحابه، وقال له قائل منهم: ينبغي =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أو

[الحمزية]

[١٢٠] وقلتُ بالقصر الكبير في ٩/ رجب/ ١٣٦٤، لما بلغني أن أهل قرية من قُرى جَبَل العَلَم، وتُسمى: (سريف)[١] لما قحط المطر؛ فأمرهم أحد الدجاجلة بذبح فرس وكتابة آية من القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨] على جبهته بعد قطع رأسه، وتعليقه في شجرة عالية استنزالاً للمطر -بزعمه!-؛ ففعلوا ما أمرهم به، وخيب الله سعيهم، فلم تنزل عليهم قطرة واحدة؛ فقلت في ذلك القصيدة التالية [البحر الوافر]:

بَكَى قَوْمٌ عَلَى جَاهٍ وَمَالِ ... وَأَعْوَلَ[٢] آخَرُونَ مِنَ الْهُزَالِ

وَبَعْضُهُمُ بَكَى فِي إِثْرِ خِلٍّ ... بُعَيْدَ الأُنْسِ آذَنَ بِارْتِحَالِ

وَبَعْضُهُمُ يَنُوحُ عَلَى شَبَابٍ ... تَوَلَّى ثُمَّ بُدِّلَ بِاعْتِلَالِ

وَدِينُ اللهِ أَصْبَحَ فِي ضَيَاعٍ ... وَلَا بَاكٍ عَلَيْهِ وَلَا مُبَالِ

بِدَهْرٍ صَارَ فِيهِ الْعُرْفُ نُكْرًا ... وَنُورُ الْحَقِّ غُطِّيَ بِالضَّلَالِ

وَسُنَّةُ خَيْرِ خَلْقِ اللهِ أَضْحَتْ ... تُنَادِي أَيْنَ أَنْتُمْ يَا رِجَالِي

أن ندعو محمد تقي الدين الهلالي؛ لأنه هو الذي صلى صلاة الاستسقاء، وعلى إثر صلاته جاء المطر، وبعث إليَّ السيد العربي الشاوش -وكان من المحبين لي-؛ فذهبتُ وتغديتُ معهم، وتكلمتُ لهم بكلام طويل لا يتسع المكان لذكره».

(١) «الصواب: (أهل سْريف)، وهم قبيلة لا قرية، وبعيدة من جبل العلم، قريبة من مدينة القصر الكبير، والدجال الذي أمرهم بذبح الفرس هو الفقيه أحمد الشرادي من القبيلة المذكورة». (بو خبزة).

(٢) في «الهدي النبوي» (٣٥): «وأعدل»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

طَغَـى وَبَغَـى عَلَيْهَـا ذُو ابْتِـدَاعٍ ... خَبِيـثٌ سَـالِكٌ سُـبُلَ الْـخَبَالِ[١]

[مَتَـى مَـا][٢] شَـاهَدَ الْغُرَبَـاءَ هَبُّـوا ... لِنُـصْرَتِهَا تَوَعَّـدَ بِالْقِتَـالِ

وَغَرَّتْـهُ جُـمُوعٌ وَافِـرَاتٌ ... حَوَالَيْـهِ تُوَالِـي مَـنْ يُوَالِـي

وَسَـاعَدَهُ عُمُـومُ الْـجَهْلِ حَتَّـى ... لَقَـدْ شَـمِلَ الأَسَـافِلَ وَالأَعَالِـي

* أَلَا يَـا حَـمْزَةُ الْـمَغْرُورُ مَهْـلاً ... لَقَـدْ عَـرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْوَبَـالِ

* أَتَـدْعُو لِلنِّـزَالِ لُيُـوثَ غَـابٍ ... وَلَـمْ تَـكُ قَـطُّ مِـنْ أَهْـلِ النِّـضَالِ

* وَتَبْتَـدِعُ الْـمَوَالِدَ قَـصْدَ أَكْـلٍ ... لِـسُحْتٍ سَـالِكًا سُـبُلَ الْـخَبَالِ

* وَتَغْـضَبُ أَنْ يَـجِيءَ الْيَـوْمَ نُـورٌ ... مِـنَ الـسُّنَنِ الْـمُطَهَّرَةِ الْعَوَالِـي

* فَيَـسْحَتَ مَـا خَرَقْـتَ مِـنَ ابْتِـدَاعٍ ... وَيَـسْقِيكَ الأَلِـيمَ مِـنَ النَّكَـالِ

* وَمَـنْ طَلَـبَ الْقِتَـالَ بِـلَا سِـلَاحٍ ... سَـيُهْزَمُ ثُـمَّ يَـرْدَى فِـي الْقِتَـالِ

وَحِـزْبُ اللهِ يَغْلِـبُ كُـلَّ حِـزْبٍ ... وَيَنْـصُرُهُ الْـمُهَيْمِنُ ذُو الْـجَلَالِ

فَيُـصْلِتُ مِـنْ كِتَـابِ اللهِ بِيـضًا ... مُهَنَّـدَةً تُـضِيءُ دُجَـى اللَّيَالِـي

وَمِـنْ سُـنَنِ الرَّسُـولِ لَـهُ سِـهَامٌ ... وَمِـنْ حُجَـجِ الأُصُـولِ لَـهُ عَوَالِـي

وَأَهْـلُ الْـرَّأْيِ[٣] كُلُّهُـمُ بُغَـاثٌ ... يَتَـامَى فِـي الْـحَدِيثِ[٤] ذَوُوا اخْتِبَـالِ

---

(١) في «السراج المنير» (٣٥): «خبيثٌ جاحدٌ للحقّ غالٍ»، وفي «الدعوة إلى الله»: «الخيال».

(٢) في «الهدي النبوي» (٣٥): «ولما».

(٣) في «السراج المنير» (٣٦): «الشرك».

(٤) في «السراج المنير»: «في العلوم».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَمَنْ يُعْرِضْ عَنِ السُّنَنِ الْعَوَالِي ... يَذُقْ مُرَّ الْهَزِيمَةِ فِي النِّزَالِ

وَيُكْسَى الْخِزْيَ فِي دُنْيَاهُ دَوْمًا ... وَفِي أُخْرَاهُ يُقْرَى بِالنَّكَالِ[1]

* وَمَا لَكَ فِي الْمَوَالِدِ مِنْ دَلِيلٍ ... مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ التَّوَالِي

* وَمَا لَكَ فِي الصَّحَابَةِ مِنْ إِمَامٍ ... وَلَا فِي التَّابِعِينَ ذَوِي الْكَمَالِ

* وَبَعْدَهُمُ الْفُحُولُ ذَوُوا اجْتِهَادٍ ... حَمَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ ذِي الْخِلَالِ

* بِدِينِ الشِّرْكِ تَأْكُلُ كُلَّ يَوْمٍ ... لِذَلِكَ قَدْ سَمِنْتَ مِنَ الْهُزَالِ

* وَمَنْ يَأْكُلْ بِدِينِ الْحَقِّ يُسْلَكْ ... عَذَابًا فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَآلِ

* فَكَيْفَ الآكِلُونَ بِدِينِ شِرْكٍ ... وَبِالْبِدَعِ الْمُقَطَّعَةِ الْحِبَالِ

* أَلَا لَا أَشْبَعَ الرَّحْمَنُ بَطْنًا ... لِأَفَّاكٍ يَعِيشُ بِالِاحْتِيَالِ

* تَمُوتُ الْحُرَّةُ الشَّمَّاءُ جُوعًا ... وَتَحْفَظُ ثَدْيَهَا فِي كُلِّ حَالِ

* وَلَا تَرْضَى بِبَيْعِ الدُّرِّ نُبْلاً ... فَكَيْفَ بِعِرْضِهَا يُشْرَى بِحَالِ

* وَبَيْعُ الْعِرْضِ عِنْدَ الْحُرِّ شَيْنٌ ... وَبَيْعُ الدِّينِ أَقْرَبُ لِلْوَبَالِ

* أَلَا يَا حَمْزَةٌ أَسْلِمْ وَطَهِّرْ ... فُؤَادَكَ كَيْ تَعِيشَ مِنَ الْحَلَالِ

* وَتُبْ مِنْ كُلِّ شِرْكٍ وَابْتِدَاعٍ ... تَنَلْ خَيْرًا وترْقَى لِلْمَعَالِي

* فَيُغْنِيكَ الْكَرِيمُ بِفَيْضِ جُودٍ ... وَتَأْتِيكَ الْمَوَاهِبُ بِالتَّوَالِي

* فَكَمْ مِنْ بَائِسٍ لَمَّا تَحَلَّى ... بِدِينِ الْحَقِّ أُكْرِمَ بِالنَّوَالِ

---

(١) عجز البيت في «السراج المنير» هكذا: «وبالنيران في أخراهُ صالي».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

* حَبَاهُ اللهُ بَعْدَ النَّحْسِ سَعْدًا ... وَأَلْبَسَهُ جَدِيدًا بَعْدَ بَالِ
* نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ الْيَوْمَ نُصْحِي ... وَإِنْ تُعْرِضْ فَإِنِّي لَا أُبَالِي
* وَأَخْتِمُ بِالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيٍّ ... عَظِيمٍ فِي الْمَقَالِ وَفِي الْفِعَالِ
* صَلَاةً تَشْمَلُ الْأَصْحَابَ طُرًّا ... وَقَبْلَ الصَّحْبِ تَشْمَلُ خَيْرَ آلِ
* دَوَامًا مَا بَدَا فِي اللَّيْلِ نَجْمٌ ... يُضِيءُ وَمَا تَلَا الْقُرْآنَ تَالِي

(وَمِنْ سُنَنِ الرَّسُولِ وَمُقْتَفِيهِ،[1] ... سُؤَالُ الْغَيْثِ مِنْ مَوْلَى النَّوَالِ
مِنَ الرَّحْمَنِ لَا يَدْعُونَ شَيْئًا ... سِوَاهُ مُخْلِصِينَ فِي الِابْتِهَالِ
إِلَى أَنْ جَاءَ بَعْدَهُمُ خُلُوفٌ ... دَعَوْا أَهْلَ الْمَقَابِرِ بِاهْتِبَالِ
وَقَدْ ذَبَحُوا لَهُمْ بَقَرًا وَشَاءً ... وَقَدْ نَحَرُوا السِّمَانَ مِنَ الْجِمَالِ
وَمَنْ يَذْبَحْ لِغَيْرِ اللهِ يُلْعَنْ ... مَقَالُ الْمُصْطَفَى خَيْرُ الْمَقَالِ[2]
وَأَعْجَبُ بِدْعَةٍ فِيمَا سَمِعْنَا ... وَأَعْرَقُ فِي الْجَهَالَةِ وَالْخَبَالِ
أُمُورٌ عَنْ سَرِيفٍ قَدْ أَتَتْنَا ... تَوَاتَرَ نَقْلُهَا بَيْنَ الرِّجَالِ
فَقَدْ عَمَدُوا إِلَى مُهْرٍ كَرِيمٍ ... مِنَ الْخَيْلِ الْمُطَهَّمَةِ الْغَوَالِي
فَحَزُّوا رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ ظُلْمًا ... وَلَمْ يُذْنِبْ إِلَى أَحَدٍ بِحَالِ
وَقَدْ كَتَبُوا بِجَبْهَتِهِ سُطُورًا ... مِنَ الْقُرْآنِ يَا لَكَ مِنْ ضَلَالِ

---

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«الهدي النبوي»، وفي باقي المصادر: «وتابعيه».

(٢) الإشارة إلى قوله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ». «الهدي النبوي».

قلتُ: ومضى تخريجه في (ص ٨٣).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَتِلْـــكَ إِهَانَـــةٌ لِلـــذِّكْرِ جَلَّـــتْ ... صِـــفَاتُ اللهِ عَـــنْ هَـــذِي الْـــخِلَالِ

وَلَـــوْ تَبِعُـــوا الْكِتَـــابَ وَعَظَّمُـــوهُ ... مَـــعَ الـــسُّنَنِ الْـــمُطَهَّرَةِ الْعَوَالِـــي

لَأَسْـــقَاهُمْ إِلَـــهُ النَّـــاسِ رَيًّـــا[1] ... بِـــلَا ذَبْـــحٍ لِـــخَيْلٍ أَوْ بِغَـــالِ

وَمَـــنْ يُعْـــرِضْ عَـــنِ الْقُـــرْآنِ يُـــسْلَكْ ... عَـــذَابًا[2] قَـــوْلُ رَبِّـــكَ ذِي التَّعَالِـــي[3]

وَالِاسْتِـــسْقَا بِـــذَبْحِ الْـــخَيْلِ بِـــدْعٌ ... غَرِيـــبٌ لَـــمْ نَـــرَى[4] لَـــهُ مِـــنْ مِثَـــالِ

أَأَهْـــلَ سَرِيـــفِ اتَّئِـــدُوا وَتُوبُـــوا ... إِلَى الرَّحْـــمَنِ مِـــنْ هَـــذَا الْـــمُحَالِ

فَـــرَبُّ النَّـــاسِ صِـــدْقًا وَحِّـــدُوهُ ... وَقَفُّـــوا لِلنَّبِـــي بَحْـــرِ الْكَـــمَالِ)[5]

* * *

(١) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«الهدي النبوي»، وفي «الدعوة إلى الله»: «غَيْثًا».

وسقط عجز البيت السابق وصدر هذا البيت من طبعة دار الكتاب والسنة من «الدعوة إلى الله» (ص ٩٦).

(٢) الإشارة إلى قوله: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]. «الهدي النبوي».

(٣) في «الهدي النبوي»: «المعالي».

(٤) كذا في «منحة الكبير المتعالي» و«الهدي النبوي»، وهو الصواب للضرورة الشعرية، وفي «الدعوة إلى الله»: «نر»!

(٥) البيت الأخير ليس في «الهدي النبوي»، وفي «الدعوة إلى الله»: «وحدوده»! بدل «وحّدوه»، وللهلالي في «الهدي النبوي» تعقيب وكلام طويل عقب القصيدة، ذكرناه في جمعنا لـ«مقالاته»، يسر الله نشرها.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[أَسْهُمُ الأعين][١]

[١٢١] وقلتُ في (بون)[٢] سنة ١٩٥٣م[٣] في مدح ابنة المرأة التي كنتُ ساكنًا عندها، وكانت هذه الفتاة تكتب لي الرسائل وتأخذها إلى البريد، واسمها (فرويلاين، سيمون[٤])، والألمانيون ينطقون بهذا السين زايًا، من **بحر البسيط**[٥]:

سِيمُونُ[٦] تَدْرُسُ عِلْمَ الطِّبِّ جَاهِدَةً ... كَيْمَا تُدَاوِي[٧] ذَوِي الأَسْقَامِ وَالْعِلَلِ

وَكَيْفَ تَشْفِيهِمُ يَوْمًا وَمَا فَتِئَتْ[٨] ... تُعِلُّهُمْ بِسِهَامِ الأَعْيُنِ النُّجُلِ

* * *

(١) وقفنا على هذين البيتين في (أصل خطي) تابع لنسخة «الديوان» الأصل دون كلام قبلها ولا بعدها، ثم ظفرتُ بهذَينِ البيتين ضمن أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وفيه المقدمة التي مع البيتين، مع اختلاف يسير، وسيأتي التنبيه على ذلك.

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «بُن».

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «ثلاثٍ وخمسين وتسع مئة وألف بتأريخ النصارى».

(٤) «سيمون» غير ظاهرة في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي) بسبب التصوير.

(٥) «من بحر البسيط» ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي).

(٦) في (الأصل الخطي): «زيمون».

(٧) في (الأصل الخطي): «تشافي».

(٨) في (الأصل الخطي): «برحت».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[مفارقات][1]

[١٢٢] وقلتُ في (بون)[2] سنة ١٩٣٨[3] في مدح (فَرَاوْ شَيْفِر) من مدينة (أويس كريشكي[4]) [البحر البسيط]:

قَـصَّابَةٌ سَـلَبَتْ لُبِّـي وَأَذْهَانِـي ... حُسْنٌ بِهَا مَا لَهُ فِي النَّاسِ مِنْ مِثْلِ

تُقَطِّـعُ اللَّحْـمَ بِالسِّكِينِ تُنْـضِدُهُ ... وَقَطَّعَـتْ مُهْجَتِـي بِـالأَعْيُنِ النُّجُـلِ

قَـدْ سَـاقَهَا الْـحَظُّ لِلْقَـصَّابِ زَوْجَتَـهُ ... وَصَـدَّ عَنْهَـا مُلُوكًـا سَـادَةَ الـدُّوَلِ

لَـوْ أَنَّ خُلَّـةَ (إِدْوَرْدٍ) تُـشَابِهُهَا ... مَا نَالَـهُ فِي اعْتِزَالِ الْـمُلْكِ مِنْ عَذَلِ

هَـذَا دَلِيـلٌ بِـأَنَّ الْقِـسْمَ لَـيْسَ عَـلَى ... حُكْـمِ الْبَرِيَّـةِ فِـي سَـهْلٍ وَلَا جَبَـلِ

* * *

ذات الغلالة الحمراء[5]

[١٢٣] وقلتُ في نوفمبر سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م: دَعَتْ إذاعة لندن العربية[6] إلى

---

(١) ظفرتُ بهذه الأبيات ضمن أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون.

(٢) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «بُن».

(٣) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «ثمان وثلاثين وتسع مئة وألف».

(٤) في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون الخطي): «أويس كرْيكس».

(٥) وقفتُ على أصل لها ملحق مع نسخة الأصل من «الديوان»، مضروب على الآلة الراقمة، والقصيدة عليها العنوان المثبت، والمقدمات المثبتة غير موجودة فيه، وتبدأ بالشعر مباشرة، وسبق أن ذكرنا في تقديمنا للديوان بعض الصور البلاغية فيها.

(٦) ظفرتُ بجواب الإذاعة البريطانية للهلالي على مشاركته في المسابقة الشعرية بالقصيدة =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مباراة شعرية، ساهمتُ فيها بهذه القصيدة؛ فلم أحصل على الجائزة، وقد سمعت القصائد الثلاث التي حصلت على الجوائز، فرأيتُ أنَّ إحداهن تستحق الجائزة، والثنتين الأخريين لا تستحقان شيئًا، وقصيدتي كما يراها القارئ -وإن لم تكن في غاية البلاغة-؛ فهي خير من تينك القصيدتَيْنِ الرَّابحتَيْنِ.

ولا أدري ما هو سبب الحَيف في الحكم؛ أهو فساد ذوق الحاكمين واختيارهم الغث على السمين؟! أم حزازة باقية من زمان الحرب حين كانت هذه الإذاعة تمطرني وابلاً من الشتائم بسبب تعاوني مع الألمانيين قبل استيلائهم على فرنسا وامتناع الإذاعة الألمانية من إذاعة الأحاديث المعادية لفرنسا؟!

وأنا أعذر البريطانيين في شَتْمِهم لي زمان الحرب؛ لأنِّي أذعتُ قصائد ومقالات آلمتهم كما آلمت شركاءهم الفرنسيين، ولكني لا أعذرهم أن حقدوا عليَّ بعد الحرب بـ ١٤ سنة، وهذه هي القصيدة، وهي من **بحر الكامل**:

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَقَامِ الْعَالِي ... عَذْرَاءُ ذَاتُ مَلَاحَةٍ وَجَمَالِ

يُعْشِي سَنَاهَا النَّاظِرِينَ إِذَا بَدَتْ ... وَيُصَابُ مُبْصِرُهَا بِشِبْهِ خَبَالِ

لَوْ شَامَ بَارِقَ حُسْنِهَا مُتَرَهِّبٌ ... مُتَعَبِّدٌ فِي خَشْيَةٍ وَجَلَالِ

لَصَبَا إِلَيْهَا عَاشِقًا مُتَوَلِّهًا ... قَدْ صُمَّ مَسْمَعُهُ عَنِ الْعُذَّالِ

بِغَلَالَةٍ حَمْرَاءَ تَخْطُرُ إِنْ مَشَتْ ... تَسْبِي الْعُقُولَ بِرِقَّةٍ وَدَلَالِ

عُشَّاقُهَا جَمٌّ وَلَكِنْ يَا تُرَى ... مَنْ ذَا الَّذِي يَحْظَى بِنَيْلِ وِصَالِ

مَنْ ذَا الَّذِي تَخْتَارُهُ بَعْلاً لَهَا ... فَيَعِيشُ فِي سَعْدٍ وَفِي إِقْبَالِ

طُوبَى لَهُ نَالَ السَّعَادَةَ وَالْمُنَى ... سَيَعِيشُ مَغْبُوطًا رَخِيَّ الْبَالِ

الآتية؛ انظر النماذج المرفقة أول الكتاب، والله الموفق للصواب.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الْغَـمُّ لَـيْسَ بِطَـائِفٍ بِفِنَائِـهِ ... أَمَّـا الْـحُبُورُ فَعِنْـدَهُ مُتَـوَالِ

يَـحْيَى عَزِيـزًا فِـي الأَنَـامِ مُـبَجَّلاً ... وَيَكُـونُ فِـي أَمْـنٍ مِـنَ الأَهْـوَالِ

تَتَنَـافَسُ الأَقْـوَامُ فِـي إِرْضَـائِهِ ... وَيَـرَوْنَ ذَلِـكَ غَايَـةَ الآمَـالِ

لَكِـنَّ مَهْـرَ عَرُوسِـنَا صَـعْبٌ فَـلَا ... تُغْـرَى بِحُـسْنٍ أَوْ بِـوَفْرَةِ مَـالِ

الْعِلْـمُ وَالأَخْـلَاقُ مِرْقَـاةٌ إِلَى ... فِرْدَوْسِـهَا الأَعْـلَى الْعَزِيـزِ الْغَالِـي

وَلَقَـدْ وَصَـفْتُ جَمَالَـهَا وَكَمَالَـهَا ... وَجَلَوْتُـهَا لِلْبَاحِـثِ الْـجَوَّالِ

هَـذَا لَـوَ انَّ[1] لَـهَا شَـبِيهًا فِـي الْـوَرَى ... وَهِـيَ الَّتِـي جَلَّـتْ عَـنِ الأَمْثَـالِ

قُـلْ لِلَّـذِي خَطَـبَ الْـمَلِيحَةَ ضِـلَّةً ... مِـنْ غَـيْرِ مَهْـرٍ يَـا أَخَـا الْـجُهَّالِ

هَيْهَـاتَ أَنْ تَـحْظَى بِرُؤْيَـةِ وَجْهِهَـا ... مِـنْ غَـيْرِ مَـا عِلْـمٍ وَلَا أَعْـمَالِ

حُرِّيَّـةٌ حُورِيَّـةٌ تَـبْغِي وَأَنْـ ... ـتَ مُـدَنَّسٌ بِخَلَائِـقِ الأَنْـذَالِ

دَعْـوَاكَ فِـي الْـحُبِّ الْعَزِيـزِ مَكَانُـهُ ... كَالْقَـصْرِ شِـيدَ عَـلَى كَثِيـبِ رِمَـالِ

أَسْرَفْـتَ فِـي طَلَـبِ الْـمُحَالَ فَخِبْـتَ إِذْ ... لَـمْ تَقْـرِنِ الأَقْـوَالَ بِالأَفْعَـالِ

هَـبْ أَنَّـهَا جَـاءَتْ بِغَـيْرِ صَـدَاقِهَا ... وَغَـدَتْ بِمَنْزِلِـكَ الْـخَرَابِ الْبَالِـي

كَيْـفَ انْتِفَاعُـكَ بِـالْعَرُوسِ وَأَنْـتَ فِـي ... بَحْـرٍ مِـنَ الأَدْرَانِ وَالأَوْحَـالِ

هَيِّـئْ لَـهَا صَرْحًـا مُنِيفًـا شَامِـخًا ... مِثْـلَ ابْـنِ دَاوُودَ الْعَظِـيمِ الْعَالِـي

لَـمَّا دَعَـا بَلْقِـيسَ أَمَّـتْ قَـصْرَهُ ... فِـي غَايَـةِ التَّعْظِـيمِ وَالإِجْـلَالِ

---

(١) تقرأ بهمزة وصلٍ للوزن.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَبِـذَا يَطِيـبُ مُقَامُهَـا وَبَقَاؤُهَـا أَبَـدًا بِـذِي الْأَحْقَـابِ وَالْأَجْيَـالِ

وَلَقَـدْ نَـصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْـتَ تَفُـزْ وَإِنْ تُعْـرِضْ فَـإِنِّـي آسِـفٌ لَا قَـالِ

* * *

[الافتخار بالنَّسَب]

[١٢٤] وقلتُ بِخُنِيفِرَة في ٢٦/ ٣/ ١٣٨٢هـ؛ فيمن يفتخر بالنسب، من مجزوء الرجز:

صَـدَفْتَ عَـنْ أَمْـرِ النَّبِـي لَـسْتَ إِذَنْ مِـنْ أَهْلِـهِ

لَـوْ صَـحَّ أَنْ تُنْمَـى لَـهُ دُونَ اقْتِفَـاءِ قَوْلِـهِ

لَـمَا نَفَـى اللهُ ابْـنَ نُـو حٍ مَـعْ سُـمُوٍّ أَصْـلِهِ

فَخْـرُ امْـرِئٍ بِنَسَـبٍ آيَـةُ فَقْـدِ عَقْلِـهِ

وَدِينِـهِ وَعِلْمِـهِ وَفَـضْلِهِ وَنُبْلِـهِ

* * *

[القصيدة الحازميّة][1]

[١٢٥] وقلتُ في نصيحةِ حازم طه الموصلي بطلب منه في أوائل سنة ١٣٨٢هـ، بعضها قلتُه بلا تكلف؛ فجاء سليمًا منسجمًا، وبعضها قلتُه بتكلُّفٍ؛ لأنَّ حازمًا أخذ يستنجزني الوعد بإنجازها.

---

(١) وقفنا على هذه القصيدة في (أصل مرقوم على الآلة الكاتبة) تابع لنسخة «الديوان» الأصل، دون مقدمة، وبالعنوان المثبت.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وكان حازمٌ فتًى من أهل الموصل يحبني ويغلو في تعظيمي، حتى كان يسافر من الموصل إلى بغداد لزيارتي، ثم استشارني في التوجه إلى مصر والدراسة في الأزهر؛ فأشرتُ عليه بذلك، وكان لا يخطو خطوةً في دراسته إلَّا بإرشادي، ثم أخذ يتوانى في ردِّ الجواب، ثم يعتذر، وبعد ما نظمتُ هذه القصيدة، وبعثتُ بها إليه؛ أجابني وأخبرني بوصولها، وكان ذلك آخر العهد به؛ فانقلب ذلك الغلو في المحبة والاتصال إلى قطيعة وابتعاد وإهمال؛ فسبحان مَن يُغيِّر ولا يَتَغيَّر، وأُنشد هنا ما قلتُه في النونية الآتية في حرف النون[1] [البحر الطويل]:

وَكَمْ مِنْ صَدِيقٍ كُنْتُ أَرْجُو وَفَاءَهُ ... وَلَا أَمْتَرِي فِي صِدْقِهِ بَيْنَ إِخْوَانِي

فَقَلَّبَ لِي ظَهْرَ الْمِجَنِّ وَخَانَنِي ... وَبَدَّلَ وُدِّي بِالْجَفَا وَبِهِجْرَانِ

ذَكَرْتُ بِهِ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ[2] قَبْلَنَا ... بِشِعْرٍ بَلِيغٍ قَالَهُ مُنْذُ أَزْمَانِ

(إِذَا قُلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيتُهُ ... وَقَرَّتْ بِهِ العَيْنَانِ)[3] أَصْبَحَ يَشْنَانِي[4]

(كَذَلِكَ حَظِّي لَا أُصَاحِبُ وَاحِدًا ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا)[5] كَانَ لِي جِدَّ خَوَّانِ

وهذه هي القصيدة من بحر الطويل:

أَلَا هَلْ أَتَاهَا أَنَّنِي بَعْدَ بَيْنِهَا ... أَبِيتُ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي أَسْعَدِ الْحَالِ

---

(١) انظر مقطع رقم (١٦٩).

(٢) يشير إلى بيتين يأتي ذكرهما في التعليق على (مقطع ١٦٩).

(٣) هذا الهلال من وضعنا.

(٤) في «منحة الكبير المتعالي»: «يشنان»!

(٥) الهلالان من إضافتنا.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أُوَحِّـدُ رَبَّ النَّـاسِ لَا شَيْءَ غَـيْرُهُ ... وَأَعْبُـدُهُ فِـي كُـلِّ قَوْلِـي وَأَفْعَالِـي (١)

وَأَدْعُـو إِلَى التَّوْحِيـدِ كُـلَّ مُوَفَّـقٍ ... سَـعِيدٍ وَأَدْعُـو أَهْـلَ شِرْكٍ وَتَـضْلَالِ

وَأَحْـمِلُ مَـا أَلْقَى مِـنَ الْـهَمِّ وَالْأَسَى ... وَحَرْبًـا عَوَانًـا مِـنْ طَغَـامٍ وَجُهَّـالِ

وَمَـا لِـي وَلِـيٌّ أَوْ نَـصِيرٌ يُعِينُنِـي ... سِوَى اللهِ فِـي سَـهْلِ الْبِلَادِ وَأَجْبَـالِ

بَلَى إِنَّ لِي فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ إِخْوَةٌ ... وَكُلُّهُمُ فِـي الدِّينِ يَسْتَرْخِصُ الْغَالِي (٢)

أَذَاقَهُـمُ الرَّحْـمَنُ شَـهْدَ مَـحَبَّةٍ ... لَـهُ وَلِـخَيْرِ الْـخَلْقِ خَـاتَمِ أَرْسَـالِ

وَلَـمْ يَرْهَبُـوا فِـي اللهِ لَوْمَـةَ لَائِـمٍ ... وَلَا صَـدَّهُمْ عَنْـهُ مَكَايِـدُ أَنْـذَالِ

يَسُلُّونَ سَيْفَ الْحَقِّ يَسْطَعُ فِي الدُّجَى ... فَتُشْرِقُ مِنْـهُ الْأَرْضُ وَالْعَالَـمُ الْعَالِـي (٣)

فَلَا شَمْسَ فِي الدُّنْيَا تُضِيءُ كَضَوْئِهِ ... لَـدَى كُـلِّ قَلْـبٍ لِلْهِدَايَـةِ مَيَّـالِ

وَيُلْقُـونَ شُـهْبًا مِـنْ كَـلَامٍ إِلَـهِنَا ... وَمِنْ سُنَّةِ الْـمُخْتَارِ يُصْلِي بِهَا الصَّالِي (٤)

وَيَـشْقَى بِـهَا مَـنْ كَـانَ لِلشِّرْكِ نَـاصِرًا ... وَلِلْبِدْعَـةِ الـسَّوْدَاءِ مِـنْ كُـلِّ مُـحْتَالِ

يُـحَارِبُ دِيـنَ الْـحَقِّ مِـنْ أَجْـلِ شِـقْوَةٍ ... وَيَعْبُـدُ أَهْـلَ الْـحَظِّ وَالْـجَاهِ وَالْـمَالِ

يُقَـدِّسُ دِينَـا مَـعْ زِيَـادَةِ رَائِـهِ ... وَأَمَّـا بِـدُونِ الـرَّاءِ فَهْـوَ لَـهُ قَـالِ

---

(١) في (الأصل المرقوم): «وأفعال»!

(٢) في (الأصل المرقوم): «الغال»!

(٣) في (الأصل المرقوم): «العال»!

(٤) في (الأصل المرقوم): «الصال»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

إِلَيْكَ أَسُوقُ النُّصْحَ حَازِمَ فَانْتَبِهْ ... وَكُنْ حَازِمًا فِي كُلِّ قَوْلٍ[1] وَأَفْعَالِ

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ ... تَنَالُ الْمُنَى فِيمَا يَجِيءُ وَفِي الْحَالِ

وَكُنْ دَاعِيًا لِلْحَقِّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَلَا تَخْشَ لَوْمًا مِنْ عُدَاةٍ وَعُذَّالِ

وَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ بِالنَّصْرِ حِزْبَهُ ... وَأَوْعَدَ أَعْدَاهُمْ بِخِزْيٍ وَإِذْلَالِ

سَوَاءٌ بِمَحْيَاهُمْ وَبَعْدَ مَمَاتِهِمْ ... فَتَعْسًا لِأَهْلِ الْجُبْنِ وَالرَّيْبِ وَالْخَالِ

وَلَا تَأْخُذَنْ يَوْمًا عَلَى الدِّينِ أُجْرَةً ... فَذَلِكَ مَا يُفْضِي لِخُسْرٍ وَإِخْلَالِ

وَدُونَكَ بَيْتًا قَالَهُ قَبْلُ مَنْ مَضَى ... فَأَصْبَحَ حُكْمًا سَائِرًا سَيْرَ أَمْثَالِ

(وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رُشْوَةً ... ضَعِيفُ هَوًى يَشْرِي الْمَحَبَّةَ بِالْمَالِ)

وَلَمْ يَجْتَمِعْ حُبَّانِ يَوْمًا لِوَامِقٍ ... وَلَا عَبْدَ يَرْضَى سَيِّدَيْنِ عَلَى حَالِ

وَقَدِّمْ مُرَادَ اللهِ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَنَلْ ... مُرَادَكَ فِي الدُّنْيَا بِعِزٍّ وَإِقْبَالِ

وَإِنْ صِرْتَ أُسْتَاذًا وَأَمَّكَ طَالِبٌ ... فَسَعْهُ بِتَرْحِيبٍ وَبِشْرٍ وَإِجْلَالِ

وَإِيَّاكَ وَاسْتِخْدَامَهُ فَهْوَ بِدْعَةٌ ... تَنَزَّهَ عَنْ أَوْضَارِهَا كُلُّ مِفْضَالِ

وَلَا تَسْعَ فِي إِظْهَارِ عِلْمٍ تَكَلُّفًا ... لِتَحْظَى بِجَاهٍ فِعْلَ أَرْعَنَ مُخْتَالِ[2]

وَكُنْ عَبْدَهُ حَقًّا تَكُنْ خَيْرَ سَيِّدٍ ... لَدَى خَلْقِهِ مِنْ صَالِحِينَ وَكُمَّالِ

---

(١) غير واضحة في (الأصل المرقوم)، وقد كتب فوقها بخط اليد: «فعل»، ومِن ثَمَّ ضرب فوق (وأفعال) وكتب بجانبها: «وأقوال».

(٢) في (الأصل المرقوم): «محتال».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَلَا تَخْضَعَنْ يَوْمًا لِصَاحِبِ مَنْصِبٍ ... وَإِنْ كَانَ ذَا جَاهٍ عَظِيمٍ وَإِفْضَالِ

فَمَا قَسَمَ الرَّزَّاقُ لَا[1] بُدَّ حَاصِلٌ ... فَفِيمَ احْتِمَالُ الذُّلِّ وَالطَّمَعِ الْخَالِ

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ مَعْ هَدْيِ أَحْمَدٍ ... ضِيَاءُ دَيَاجِيرٍ يَفُوزُ بِهِ التَّالِي

[وَكُنْ لِلُغَاتِ الْعُرْبِ وَالْعُجْمِ دَارِسًا ... لِتَفْتَحَ مِنْ أَغْلَاقِهَا كُلَّ أَقْفَالِ

فَكَمْ فَتَحَتْ بَابًا مِنَ الْخَيْرِ مُغْلَقًا ... وَكَمْ يَسَّرَتْ أَمْرًا عَنَا بَعْدَ إِشْكَالِ

وَكَمْ لَيَّنَتْ قَلْبًا وَقَدْ كَانَ قَاسِيًا ... فَأَصْبَحَ[2] مِنْ بَعْدِ الْجَفَا جِدَّ مَيَّالِ

وَكَمْ أَوْضَحَتْ حَقًّا فَآمَنَ كَافِرٌ ... وَدَانَ بِدِينِ الْحَقِّ مِنْ بَعْدِ تَضْلَالِ

وَذَا زَمَنٌ أَضْحَى لَهُ[3] النَّاسُ كُلُّهُمْ ... كَسُكَّانِ مِصْرٍ فِي اجْتِمَاعٍ وَأَحْوَالِ

وَمَنْ كَانَ لَا يَدْرِي سِوَى لُغَةِ غَدَا ... كَأَعْرَجَ يَمْشِي فِي قُيُودٍ وَأَغْلَالِ

وَدَارِي لِسَانَ الْقَوْمِ يَأْمَنُ مَكْرَهُمْ ... كَذَلِكَ قَالَ النَّاسُ مِنْ قَبْلِ أَجْيَالِ][4]

وَقَدْ أَمَرَ الْمُخْتَارُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ... لِسَانَ يَهُودَ ادْرُسْهُ تَكْتُبْ وَتَقْرَا لِي

تَعَلَّمَهُ فِي الْحَالِ زَيْدٌ وَلَمْ يَزِدْ ... عَلَى نِصْفِ شَهْرٍ فِي تَمَامٍ وَإِكْمَالِ

وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَا ... بِغَيْرِ حِسَابٍ دُونَ وَزْنٍ وَمِكْيَالِ

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «فلا»، وضرب على الفاء منه بخط القلم، وهو الصواب وزنًا. (أبو الفضل).

(٢) في «السلفية الوهابية»: «وأصبح».

(٣) في (الأصل المرقوم): «به».

(٤) ما بين المعقوفتين أورده صاحب «السلفية الوهابية» (٤٩).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَخُذْهَا عَلَى مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ كُلْفَةٍ ... بِنَظْمٍ رَكِيكٍ لَا جَمِيلٍ وَلَا حَالِ[1]

وَلِلشِّعْرِ أَوْقَاتٌ يَلِينُ انْقِيَادُهُ ... وَيَعْسُرُ أُخْرَى لَا يَدِينُ لِمِقْوَالِ

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ القَرِيضِ[2] فَعَاذِرٌ ... وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ سَيَنْصُرُ عُذَّالِي

إِذَا رَضِيَتْ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي ... فَغِرْبَانُهَا لَا يَخْطُرُونَ عَلَى بَالِي

* * *

[نظم مشترك]

[١٢٦] وكان الشيخ أحمد سكيرج[3] لا ينقطع عن نظم الشعر في كل ما يعرض له من جدٍّ أو هزل، وكثيرًا ما ينظم شطر بيت؛ فيأمرني بإنجازه، ثم ينظم شطرًا آخر؛ فأشفعه أنا بشطر ثان، وهكذا؛ فننظم شعرًا كثيرًا، ولا نقيِّده.

ومما عَلِقَ بذهني من ذلك: أننا كنا نتغدى يومًا عنده في وجدة، وكان معنا بوابه؛ رجلٌ كهلٌ، يُدْعَى محمدًا الصميلي؛ فدنَتْ منه هِرَّةٌ؛ فأعطاها شيئًا من الطعام؛ فقال الشيخ [البحر الكامل]:

إِنَّ الصُّمَيْلِي لَا يَزَالُ مُوَاسِيًا ... (كُلَّ الْكِلَابِ وَكُلَّ هِرٍّ سَائِلْ)

يُعْطِيهِمُ كُلَّ الْعِظَامِ وَرُبَّمَا ... (أَعْطَاهُمُ خُبْزًا وَمَا هُوَ آكِلْ)

الشطران الأخيران لي، والأولان له.

---

(١) من حَلَا يَحْلُو؛ أي: جَمُل وحَسُنَ.

(٢) في «منحة الكبير المتعالي» وفي (الأصل المرقوم): «القريظ»! لكنها صححت في (الأصل المرقوم) بخط اليد، والله الموفق.

(٣) ترجمته في التعليق على مقطع (١١٤).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وهذا يُذكِّرُنا بما وقع لبشَّار بن بُرْد مع خادِمَتِهِ؛ فإنها سمعته يتغزَّل بالنِّساء؛ فأخذتها الغيرةُ، وقالت: كيف تقول الشعر في مدح جميع النساء، وأنا التي أقوم بخدمتك لم تقل فيَّ شيئًا؟! وكان اسمها: ربابة؛ فقال من **بحر الهزج**[(١)]:

رَبَابَـــةُ رَبَّـــةُ الْبَيْـــتِ تَـــصُبَّ الْـــخَلَّ فِـــي الزَّيْـــتِ
لَـــهَا عَـــشْرُ دَجَاجَـــاتٍ وَدِيـــكٌ حَـــسَنُ الْـــصَوْتِ[(٢)]

ففرحَتْ بذلك، ورضيَتْ عنه.

[مدح الشيخ أحمد سكيرج][(٣)]

[١٢٧] وهذه القصيدة اللامية قلتُها في مدح الشيخ أحمد سكيرج[(٤)]، واطَّلع عليها

---

(١) بل من **مجزوء الوافر**؛ «حيث دخل حشو هذا البحر (العَصْبُ)؛ فتصبح (مُفَاعَلَتُنْ): (مَفَاعِيْلُنْ)، وهذا الزحاف سائغٌ يكثر دخوله على الوافر، ويقرِّبه من الهزج، وعندما تُعْصَبُ جميع تفعيلات (أجزاء) الوافر المجزوء، لا يبقى بينه وبين الهزج فارق، وقد نبدأ بقراءة قصيدة فنظنُّ أنها من الهزج، ولكن حين نرى بعض تفعيلاتها على (مُفَاعَلَتُنْ) يتبيَّن لنا أنها من مجزوء الوافر»: «المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر» (ص ١٥٩-١٦٠).

وهكذا وفقني الله -تعالى- إلى معرفة بحر هذَين البيتَين بوقوفي على هذه التفعيلة (مُفَاعَلَتُنْ)، وهي أول تفعيلة لصدر البيت الأول، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) «ديوان بشار بن برد» (ص ٥٢)، وانظر «الأغاني» (٣/ ١٥٦)، و«تاريخ دمشق» (٤٩/ ٨١)، و«التذكرة الحمدونية» (٧/ ٣٠٢).

(٣) وقفنا على هذه القصيدة في (أصل خطي) تابع لنسخة «الديوان» الأصل، وجاء قبلها: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ قال محمد بن عبد القادر الهلالي يمدح الشيخ سيدي أحمد سكيرج -رضي الله عنه-: . . .»، وفيها زيادات تقصَّد الهلالي حذفها من «الديوان»، تراها في النموذج الخطي المرفق أول هذا الكتاب، والزيادات عليها علامة (*) بخط اليد.

(٤) ترجمته في التعليق على مقطع (١١٤).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الأستاذ الأديب السيد عبد الرحمن بن زيدان العَلَوي[(١)]؛ فأظهر إعجابه بها[(٢)].

وهذا نصها، وهي من بحر البسيط:

عُـجْ بِالـدِّيَارِ لَـدَى أَوْلَادِ جـلَّالِ[(٣)] فَرَبْـعُ وَاضِـحَةٍ[(٤)] بِـهَا تَـجَلَّى لِـي

فَاسْـتَعْبَرَتْ مُقْلَتِـي مِـمَّا شَـهِدْتُ بِـهَا بِـدَمْعٍ احْـمَرَّ[(٥)] فَـوْقَ الْـخَدِّ سَـيَّالِ

هُنَـا تَـذَكَّرْتُ مَـا قَـدْ فَـاتَ مِـنْ نِعَـمٍ بِقُـرْبِ وَاضِـحَةٍ فِـي أَنْعَـمِ الْبَـالِ

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن زيدان بن إسماعيل الحسني، العلوي، السجلماسي، أبو زيد، مؤرخ، شاعر، ولد ونشأ بمكناسة الزيتون، واستكمل دراسته في جامعة القرويين بفاس، وولي نقابة الأشراف بمكناس وزرهون، وزار مصر حاجًّا، واستقرَّ في الدار البيضاء، يدير المدرسة الحربية المغربية فيها، توفي بمكناس سنة ١٣٦٥- ١٩٤٦م، من مؤلفاته «إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» في خمس مجلات منه: «الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة»، وله «ديوان شعر» أكثره مدائح نبويَّة؛ ترجمته في «الأعلام» (٤/ ١١١)، و«معجم المؤلفين» (٥/ ١٧٧).

(٢) قال تلميذ الهلالي، وزوج ابنته، الأستاذ عبد الكبير البكري في مقالة له ترجم فيها للهلالي عند وفاته، وهي بعنوان: «نجم أفل»؛ نشرت في صحيفة «الميثاق» المغربية، العدد (٥٣٨)، السنة (٢٤)، بتأريخ فاتح ذي القَعْدة سنة ١٤٠٧هـ:

«وفي يوم من الأيام فاجأ -أي الهلالي- الناس بقصيدة رائعة مدح بها الشيخ سكيرج قاضي وجدة؛ فكشفت الغطاء عن شخصيته، وهنا قال الشيخ لأحد أصدقائه: إن هذا الشاب سوف لا يكتفي بما عندي، ولا بما في القرويين، وسيشرق ويشتدُّ خبره، وتحقَّقَتْ فراسةُ الشيخ. . .».

(٣) (أولاد جلال): قرية من قُرى سجلماسة. (الأصل الخطي).

(٤) عَلَمٌ. (الأصل الخطي).

(٥) في «منحة الكبير المتعالي»: «أحمر» بهمزة قطع! ولتوضيح المعنى: جاء في «لسان العرب» (مادة: خضب): «والأشبه أن يكون أراد المبالغة في البكاء حتى احْمَرَّ دمعُهُ؛ فخضب الحصى»، وفي «المعجم الوسيط»: «احْمَرَّ البأسُ: اشتدَّ»؛ فالصواب -وزنًا ومعنًى- ما أثبته، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

حَتَّى رَأَيْتُ رُسُومَ الدَّارِ عَافِيَةً ... إِلَّا نُؤِيًّا كَرَقْمِ الدَّفْتَرِ الْبَالِي

فَقِفْ بِهَا زَمَنًا نَذْكُرْ مَحَاسِنَهَا ... فَذِكْرُهَا هَاجَ مِنِّي كُلُّ بَلْبَالِ

رَعَى الْإِلَهُ لَيَالِيًا أَقَمْتُ بِهَا ... قَضَيْتُ فِيهَا لُبَانَاتِي وَآمَالِي

أَزْمَانُ وَاضِحَةٍ بِالْوَصْلِ نَاضِحَةٌ ... جَمْرَ اشْتِيَاقِي بِإِسْعَافٍ وَإِقْبَالِ

أَزْمَانُ وَاضِحَةٍ بِالْحُسْنِ فَاضِحَةٌ ... شَمْسَ الضُّحَى وَلَآلِي الْبَحْرِ فِي الْقَالِ

أَزْمَانُ وَاضِحَةٍ بِالْقُرْبِ صَادِحَةٌ ... بِنَغْمَةٍ تُبْرِئُ الْعَلِيلَ فِي الْحَالِ

الْوَرْدُ مِنْ وَجْنَتَيْهَا نَالَ حُمْرَتَهُ ... وَالرِّيقُ مِنْ فَمِهَا يُزْرِي بِجِرْيَالِ[1]

وَالْمِسْكُ أَنْفَاسُهَا وَالشَّمْسُ طَلْعَتُهَا ... وَالْبَانُ قَامَةُ ذَاتِ الْمَنْظَرِ الْهَالِي

وَالْخَصْرُ مِنْهَا نَحِيفٌ زَانَهُ خَمْصٌ ... وَالرِّدْفُ فِي عِظَمٍ حَالٍ لِأَهْوَالِي

الْحَتْفُ فِي لَحْظِهَا إِذَا انْبَرَتْ وَرَنَتْ ... تَسْبِي الْعَفِيفَ وَإِنْ يَكُنْ مِنَ ابْدَالِ[2]

يَا ظَبْيَةً أَتْلَفَتْ مِنْ هَجْرِهَا خَلَدِي ... هَلَّا تُجِيرِينَ صَبًّا قَلْبُهُ صَالِي[3]

---

(١) والجِريال -بالكسر-: صِبْغٌ أحمر، وحُمْرَةُ الذَّهب، وسُلَافَةُ العُصْفُر، وما خَلُصَ من لونٍ أحمرَ وغيرِهِ، والخَمْرُ ألوانها كالجريالة فيهما. (الأصل الخطي).

قلتُ: والمذكور من «القاموس المحيط» (ص ١٢٦١) بالحرف.

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «أبدال»! بهمزة قطع، والصواب وزنًا قلبها لهمزة وصل، ثم رأيتُها كذلك في (الأصل الخطي) بهمزة وصل، والله الموفق. (أبو الفضل).

قلتُ: ولم يثبت في (الأبدال) شيء بالصفة التي يعتقدها الصوفية، وأتيتُ على جميع أحاديثها في مقدمة تحقيقي لرسالة «أهل الصفة» لابن تيميَّة؛ يسر الله نشرها بخير وعافية.

(٣) في (الأصل الخطي): «صال».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

رِقِّـي لِحَالِـي فَـإِنِّي مُـدْنَفٌ وَصِـبٌ ... وَاشْـفِي الْكَلِـيمَ بِلَحْـظٍ مِنْـكِ قَتَّـالِ

وَارْثِـي لِمُـضْنًى بُلِـي بِالْعِـشْقِ مُغْتَرِبًـا ... حَاشَـاكِ أَنْ تُـشْمِتِي بِـي الْيَـوْمَ عُذَّالِـي

فَقَـالَ لِـي صَـاحِبِي لَقَـدْ أَطَلْـتَ هُنَـا ... مُكْثًـا وَمَـا يَنْفَـعُ الْبُكَـا بِـأَطْلَالِ

وَقَـالَ لِـي صَـاحِبِي مَـا أَنْـتَ فَاعِلُـهُ ... وَأَهْـلُ وَاضِـحَةٍ بَـانُوا بِتَرْحَـالِ[1]

وَالـشَّمْسُ قَـدْ غَرَبَـتْ وَاللَّيْـلُ مُعْتَكِـرٌ ... وَالـسُّبْلُ قَـدْ مُلِئَـتْ بِكُـلِّ أَوْحَـالِ

مَـنِ الْـمُجِيرُ لَنَـا[2] مِـمَّا نُكَابِـدُهُ ... فَقُلْـتُ أَحْـمَدُنَا ذُو الْمَنْـصِبِ الْعَالِـي

الْقُـدْوَةُ الْـجَامِعُ الْفَـرْدُ الَّـذِي شَـهِدَتْ[3] ... لَـهُ الْـمَقَادِيرُ بَـيْنَ أَهْـلِ الإِفْـضَالِ[4]

الطَّائِرُ الصِّيتَ عِنْدَ الْعُرْبِ مَعْ عَجَمٍ ... فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ فِي سَهْلٍ وَأَجْبَالِ

مِسْكٌ أَرِيجٌ لِـذَا يُـدْعَى سُـكَيْرِجُ مِـنْ ... مَنْ نَصَرُوا الْمُصْطَفَى بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

هُـمْ يُـؤْثِرُونَ عَـلَى أَنْفُـسِهِمْ كَرَمًـا ... وَإِنْ يَكُونُـوا ذَوِي فَقْـرٍ وَإِقْـلَالِ

الْعَالِـمُ الْعَامِـلُ الْبَحْـرُ الَّـذِي جُـمِعَتْ ... فِيـهِ الْـمَحَاسِنُ فَـارْتَقَى لِإِكْـمَالِ

زَيْـنُ الْـمَحَافِلِ مَعْـدَنُ الْفَوَاضِـلِ مِـنْ ... نَـسْلِ الْأَفَاضِـلِ مِفْـضَالاً بِمِفْـضَالِ

---

(١) فوق «باتوا بترحال» في (الأصل الخطي) علامة (ـــــ)، وفي هامشها: «خ: ساروا بإجمال»؛ أي: في نسخة «ساروا بإجمال» بدل ما فوقه خط، ومنهج السلف في النسخ وضع الخط فوق الكلام لا تحته.

(٢) فوق «من المجير لنا» في (الأصل الخطي) علامة (ـــــ)، وفي هامشها: «خ: مَن المُخلِّصُنَا»، وانظر الهامش السابق.

(٣) في (الأصل الخطي): «عظمت».

(٤) تقرأ بهمزة وصلٍ للوزن، وهي كذا في «منحة الكبير المتعالي»، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

قَدْ طَأْطَأَتْ رَأْسَهَا الْعُلَى لَهُ فَعَلَا ... حَتَّى انْتَهَى لِمَقَامٍ سَوْمُهُ غَالِ

كُلُّ الْعُلُومِ لَهُ طَوْعٌ يُقَلِّبُهَا ... كَمَا يَشَاءُ بِلَا فِكْرٍ وَإِعْمَالِ

يَلْقَى الْوُفُودَ طَلِيقَ الْوَجْهِ مُبْتَسِمًا ... عَلَيْهِمُ بِرُّهُ يَجْرِي[1] بِتَهْطَالِ

إِنْ يَنْظُرُوا وَجْهَهُ تَاهُوا بِهِ فَرَحًا ... أَوْ يَسْمَعُوا لَفْظَهُ يَا طِيبَ أَقْوَالِ

مَنْ يَنْظُرْنُهُ بَدِيهَةً مَحَبَّتُهُ ... تَجْرِي كَمَجْرَى الدَّمَا مِنْهُ بِأَوْصَالِ

سَلِ التَّآلِيفَ كَمْ عِلْمٍ قَدَ اوْدَعَهَا[2] ... تُخْبِرْكَ عَنْهُ بِتَفْصِيلٍ وَإِجْمَالِ

سَلِ الْمَنَابِرَ عَنْهُ كَمْ أَبَانَ بِهَا ... جَوَاهِرًا كُلَّ عَنْهَا كُلُّ مِقْوَالِ

سَلِ الْمَدَارِسَ كَمْ بَثَّ الدُّرُوسَ بِهَا ... وَكَمْ بِهَا حَلَّ مِنْ عَوِيصِ إِشْكَالِ[3]

سَلِ التَّلَامِيذَ كَمْ تِلْمِيذَ أَوْصَلَهُ ... لَنَيْلِ بُغْيَتِهِ أَتَمَّ إِيصَالِ

سَلِ الْعُفَاةَ لَهُ فَكَمْ قَدَ اثْقَلَهُمْ[2] ... بِكُلِّ بِرٍّ وَخَيْرٍ أَيَّ إِثْقَالِ

شَاعَتْ فَضَائِلُهُ وَذَاعَ نَائِلُهُ ... وَاللهُ شَرَّفَهُ رَغْمًا عَلَى الْقَالِي

تَرَاهُ وَاللهُ يَرْعَاهُ وَيَحْفَظُهُ ... كَأَنَّهُ زَهَرٌ فِي كُمِّهِ جَالِ

تَرَاهُ وَاللهُ يُعْلِيهِ وَيُكْرِمُهُ ... كَأَنَّهُ قَمَرٌ فِي جَوِّهِ عَالِ

تَرَاهُ بَلَّغَهُ الرَّحْمَنُ مُنْيَتَهُ ... كَأَنَّهُ أَسَدٌ حَامٍ لِأَشْبَالِ

---

(١) ووجه آخر: (بِرُّهُ يُجْرِي).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي» بهمزة قطع! والصواب وزنًا قلبها لهمزة وصلٍ، ثم رأيتُها كذلك في (الأصل الخطي)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في (الأصل الخطي): «أفعال».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

تَـــرَاهُ زَادَ إِلَـــهُ النَّـــاسِ حُرْمَتَـــهُ ... فِـــي النَّـــاسِ حُـــفَّ بِتَعْظِـــيمٍ وَإِجْـــلَالِ

هذا ما حصلت عليه من هذه القصيدة، و أظن أن السيد عبد الكريم سكيرج حذف منها ما يتعلق بالطريقة والتصوف[(١)]، لعلمه أنني لا أرغب فيه، وهذا من فرط ذكائه.

ولما أنشدتُ الشَّيخَ هذه القصيدة جادت قريحتُهُ بهذه الأبيات من بحرها ورويها[(٢)]:

جَـــزَاكَ رَبُّـــكَ يَـــا أَجَـــلَّ مِفْـــضَالِ ... عَـــلَى ثَنَـــاءٍ بِـــهِ طَوَّقْـــتَ أَمْثَالِـــي

مَا كُنْتُ أَهْلاً لِعُشْرِ الْعُشْرِ مِنْ عُشُرٍ ... مِـــمَّا ذَكَـــرْتَ بِتَفْـــصِيلٍ وَإِجْـــمَالِ

وَمَـا ذَكَـرْتَ سَـوَى مَـا أَنْـتَ مُتَّصِفٌ ... بِـهِ وَفَـضْلُكَ فِـي أُولِـي الْعُـلَى عَـالِ

نَظَرْتَ أَوْصَافَكَ الْحُسْنَى وَقَدْ كَمُلَتْ ... فَـصِرْتَ تَنْـسِبُهَا لِـي غَـيْرَ مُـحْتَالِ

للهِ دَرُّكَ مِـــنْ هِلَالِـــيٍّ[(٣)] حَـــسُنَتْ ... أَخْلَاقُـــهُ وَلَدَيْـــهِ حُـــسْنُ أَعْـــمَالِ

لَـــدَيْكَ حُـــسْنُ اعْتِقَـــادٍ زَانَـــهُ أَدَبٌ ... مَـعْ حُـسْنِ ظَـنٍّ سَـمَا مِقْـدَارُهُ الْقَالِـي[(٤)]

مَـــاذَا أَقُـــولُ وَقَـــدْ طَـــوَّقْتَنِي دُرَرًا ... مِقْـدَارُهَا قَـدْ غَـلَا عَـلَى ذَوِي الْـمَالِ

---

(١) نعم؛ هو كذلك، حذف منها ثلاثة عشر بيتًا، تراها في (الأصل الخطي) المرفق في أول «الديوان»، وعليها علامة (*).

(٢) في (الأصل الخطي) بدل الكلام الذي بعد الأبيات: «فأجابه الشيخ الممدوح بقطعة، وهي: . . .».

(٣) كذا صدر البيت في «منحة الكبير المتعالي»، وهو مكسور! والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) حذف من «الديوان»، وأثبتُّهُ من (الأصل الخطي)، وحسن المعتقد عند الشيخ سكيرج ليس بحسن؛ إذ هو تيجاني، وحذفه ولده عبد الكريم، ولما كان الهلالي -على الحق والحقيقة- على معتقد حسن، أثبتُّ البيت، بخلاف الأبيات المنوّه بها والساقطة؛ فاكتفيتُ بإثبات مصورة (الأصل) في النماذج المرفقة أول «الديوان»، والله الموفق.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَلَـيْسَ عِنْـدِيَ مَـا يُوفِـي بِقِيمَتِهَـا ... سِـوَى دُعَـاءٍ يُـرَى مِـنْ خَـيْرِ أَفْعَـالِ

وَاللهُ يُبْقِيـكَ فِـي عِـزٍّ وَفِـي شَرَفٍ ... حَتَّـى تَنَـالَ الَّـذِي تَرْجُـو مِـنَ آمَـالِ

وَاللهُ يُرْقِيـكَ فِـي مَرَاتِـبٍ كَمُلَـتْ ... تَـسْمُو بِـهَا مُطْمَـئِنَّ الْقَلْـبِ وَالْبَـالِ

* * *

[صوت مهراس][1]

[١٢٨] وقلتُ -بإشارة من أحد الرفاق- في صوت مهراس يُدَقُّ فيه التوابل للغداء، ونحن في سفينة شراعية في نهر شط العرب بجنوب البصرة مع الشيخ مصطفى آل إبراهيم بقصد الصيد والنزهة، وكان ذلك في ٤ جمادى الثانية سنة ١٣٤٥هـ من **بحر الطويل**:

أَحِـنُّ إِلَى صَـوْتِ الْـمَهَارِسِ بِالـضُّحَى ... إِذَا دُقَّ فِيهَـا لِلْغَـدَاءِ التَّوَابِـلُ

وَيُعْجِبُنِـي اللَّحْـمُ الْـحَنِيذُ بِـرُزِّهِ ... وَلَا سِـيَّمَا إِنْ كَـانَ فِيـهِ الْفَلَافِـلُ

* * *

[مدح أهل الشلالة]

[١٢٩] ولما وصلتُ المشرية بعد غيبة ٤٤ سنة؛ كان أهل الشلالة الساكنون في المشرية هم أشد الناس إكرامًا لي، حتى المتمسكون بالطريقة التيجانية منهم لم يمنعهم تمسكهم أن يكرموني ويضيفوني؛ فنظمتُ الأبيات الثلاثة الأولى من هذه القصيدة في مدحهم بالمشرية، ونظمتُ سائرها في الطريق، ثم أكملتُها هنا بمكناس، وذلك يوم ٩ ربيع

---

(١) ما تحته في (الدفتر الخاص) بالهلالي (ق ٢٩)، وفي آخره «نقل»؛ أي: إلى «الديوان»، وفيه مثله إلى قوله: «سفينة شراعية»، وبعدها: «في نهر الشط العراقي، يوم ٤ جمادى الثانية ١٣٤٢هـ»، هكذا (١٣٤٢هـ)، بينما في «الديوان»: (١٣٤٥هـ)؛ فليحرر.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الثاني ١٣٨٦ - ٢٨ يوليوز ١٩٦٦ [البحر الطويل]:

خَلِيلَيَّ عُوجَا بِي عَلَى كُلِّ شَلَّالِي ... أَصِيلٍ كَرِيمٍ مَاجِدِ الْعَمِّ وَالْخَالِ

أُنَاسٌ حَبَاهُمْ رَبُّهُمْ بِشَجَاعَةٍ ... وَصِدْقٍ بِأَقْوَالٍ وَنُبْلٍ بِأَفْعَالِ

وَجَارُهُمُ دَوْمًا عَزِيزٌ مُكَرَّمٌ ... إِذَا سِيمَ جَارُ الآخَرِينِ بِإِذْلَالِ

وَضَيْفُهُمُ يَنْسَى مِنَ الْبِرِّ أَهْلَهُ ... وَإِنْ كَانَ ذَا أَهْلٍ كَثِيرٍ وَذَا مَالِ

وَمَنْ كَانَ فِيهِمْ آمِنٌ مِنْ أَذَاهُمُ ... وَيَأْتِيهِ مِنْهُمْ كُلُّ بِرٍّ وَإِجْلَالِ

إِذَا وَعَدُوا أَوْفُوا بِكُلِّ وُعُودِهِمْ ... وَإِنْ كَانَ فِي الْإِيفَا رُكُوبٌ لِأَهْوَالِ

وَكُلُّ امْرِئٍ يَأْتِي إِلَيْهِمْ مُفَاخِرًا ... يَبُوءُ بِخُسْرَانٍ عَلَى أَسْوَإِ الْحَالِ

وَلَيْسُوا كَقَوْمٍ يَغْمُرُونَ أَخَاهُمُ ... وَجِيرَانُهُمْ سَوْءًا بِفِعْلٍ وَأَقْوَالِ

وَمَنْ رَامَ فِي الْأَخْلَاقِ يَبْلُغُ شَأْوَهُمْ ... يُقَالُ لَهُ قَدْ جِئْتَ جَهْلاً بِتَضْلَالِ

وَمَنْ شَكَّ فِي ذَا فَلْيَزُرْهُمْ فَإِنَّهُ ... يَرَى أَنَّنِي فِي مَدْحِهِمْ لَسْتُ بِالْغَالِي

وَمَالِيَ لَا أُثْنِي عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ ... حَبَوْنِي قَدِيمًا كُلَّ خَيْرٍ وَإِفْضَالِ

وَتَارِكُ شُكْرَ النَّاسِ إِنْ أَحْسَنُوا لَهُ ... كَتَارِكِ شُكْرَ الْخَالِقِ الْمُنْعِمِ الْعَالِي

كَذَاكَ رَوَى أَهْلُ الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِي ... عَلَيْهِ صَلَاةُ اللهِ وَالصَّحْبِ وَالْآلِ

فَكُنْ عَاذِرِي فِي حُبِّهِمْ غَيْرَ عَاذِلٍ ... فَإِنِّيَ لَا أُصْغِي إِلَى قَوْلِ عُذَّالِي

مَكَارِمُ جَاءَتْ مِنْ جُدُودٍ أَمَاجِدٍ ... مَيَامِنَ أَشْرَافٍ مَعَاقِدَ آمَالِ

وَكُلُّ أُنَاسٍ يَتْبَعُونَ أُصُولَهُمْ ... فَوُرَّاثُ أَبْطَالٍ وَوُرَّاثُ أَنْذَالِ

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَا ... لَهُ الْحَمْدُ دَوْمًا فِي بُكُورٍ وَآصَالِ

وَمَنْ يَبْتَغِي الْمَعْرُوفَ مِنْ وَارِثِي الْخَنَا ... كَطَالِبِ شُرْبٍ فِي الْفَلَاةِ مِنَ الْآلِ

أبن[1] لَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ ... سُلَالَةُ آبَاءٍ أَمَاجِدَ أَبْطَالِ

بِشُلَّالَةٍ طَابَتْ مَنَابِتُ دَوْحِهِمْ ... وَأَغْصَانُهَا تَسْمُو إِلَى الْأُفُقِ الْعَالِي

وَآتَتْ ثِمَارًا يَانِعَاتٍ لِمُجْتَنٍ ... إِذَا كَانَ ذَا جِدٍّ وَلَمْ يَكُ بِالْآلِي

وَمَنْ رَامَ نَيْلاً لِلْعُلَى بِتَقَاعُسٍ ... فَقَدْ رَامَ نَسْجًا جَيِّدًا دُونَ مِنْوَالِ

أَلَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ أُهْدِي إِلَيْكُمُ ... وَصِيَّةَ مُصْفِي النُّصْحِ لَيْسَ بِمُحْتَالِ

خُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ نَبِيِّ اللهِ خَاتَمِ أَرْسَالِ[2]

وَلَا تَطْلُبُوا الْحَاجَاتِ إِلَّا مِنَ الَّذِي ... لَهُ الْخَلْقُ وَالتَّدْبِيرُ فِي كُلِّ مَا حَالِ

فَمَنْ يَدْعُ[3] غَيْرَ اللهِ يَوْمًا لِحَاجَةٍ ... يُدَنَّسْ بِإِشْرَاكٍ وَيُمْنَى بِأَنْكَالِ

وَلَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَافِعٌ ... وَمَا لَهُ فِيهِ مِنْ نَصِيرٍ وَلَا وَالِ

وَإِيَّاكُمُ وَالْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّهَا ... حَبَائِلُ يَرْجُو صَيْدَهَا كُلُّ دَجَّالِ

فَقَبْلَ وَفَاةِ الْمُصْطَفَى تَمَّ دِينُنَا ... وَأَكْمَلَهُ الرَّحْمَنُ أَحْسَنَ إِكْمَالِ

---

(١) كذا رسمها في «منحة الكبير المتعالي»، ومعنى البيت واضح، لكن رسم هذه اللفظة لا يسعف بما يُناسب، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «الارسال»! ولا يستقيم الوزن إلا بالتعديل الذي أجريته، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «يدعو»! وهذا الفعل فعل شرطٍ مجزوم بحذف حرف العلة، وجوابه: (يدنس)، ووزن البيت يستقيم بسلامة الحالة الإعرابية للبيت، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَمَنْ زَادَ فِيهِ مِثْلُ مَنْ هُوَ نَاقِصٌ كِلَا ذَيْنِ مِنْ قَوْمٍ مَفَالِيسَ ضُلَّالِ
وَصَلِّ وَسَلِّمْ يَا إِلَهِي عَلَى النَّبِي وَآلٍ وَأَصْحَابٍ أَمَاجِدَ كُمَّالِ

حماقة معلمي الصبيان

[١٣٠] يزعم مؤلفو كتب الأدب وجامعو الأخبار أنَّ معلِّمي الصِّبيان متَّصفون بالحماقة، ولهم في ذلك حكايات، وأنشد بعضهم في هذا المعنى، من **بحر الطويل**:

وَكَيْفَ يُرَجَّى الْعَقْلُ وَالدِّينُ عِنْدَ مَنْ يَرُوحُ عَلَى أُنْثَى وَيَغْدُو عَلَى طِفْلِ

فعارضتُهُ بقولي مِن بحره ورويِّه، وهو من أول ما قلتُه في الشِّعر:

صَدَقْتَ إِذَا مَا كُنْتَ تَقْصِدُ بَعْضَهُمْ وَإِلَّا فَفِيهِمْ صَالِحُونَ ذَوُو عَقْلِ

[شعر مُؤنِّب لمجاهر]

[١٣١] وقلتُ في القصر الكبير في ١٣/ ١٢/ ٦٣هـ على لسان مُؤنِّبٍ لمُجاهِرٍ من **الطويل**:

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي الْفَعُولِيَّ مَأْلُكًا فَأَنْتَ لَئِيمُ الْأَصْلِ لِلْعَمِّ وَالْخَالِ
وَقَدْ كُنْتَ قِدْمًا لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةً تَقُومُ بِصِهْرِيجٍ لِإِسْعَافِ نُزَّالِ
وَتَعْرِضُ فِي سُوقِ الْمَخَازِي خَبِيئَةً أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَطَّالِ
كَمِثْلِ أَتَانٍ حُلِّئَتْ[1] فِي مَنَاهِلٍ تَطُوفُ بِهَا الْأَعْيَارُ تَشْحَاجُهَا[2] عَالِ

---

(١) من (الحُلَاءَة): وهو حجرٌ يُستشفى بحُكاكتِهِ من الرمد؛ انظر «المعجم الوسيط» (١/ ١٩١).

(٢) من شحج البغل والغراب: غَلُظَ صَوْتُهُ؛ انظر «القاموس» (٢٤٩).

وَمِنْ بَعْدِ ذَاكَ الْخِزْيِ تَطْمَعُ فِي الْعُلَى ... أَأُنْسِيتَ مَا أَسْلَفْتَ فِي الْعُمُرِ الْخَالِي
وَيَسْمُو إِلَيْكَ الْقَوْمُ إِذْ أَنْتَ رَاكِعٌ ... سُمُوَّ حُبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالِ
وَتَكْحَلُ عَيْنَ الظَّهْرِ مِنْكَ بِمِرْوَدٍ ... يَجُولُ بِهِ وَسْطَ الْحَشَا كُلُّ جَوَّالِ

* * *

[هجو أمْ مدح]

[١٣٢] وقلتُ في هجو وزير المعارف في العراق حين خطب خطبة رفع فيها المضاف إليه، واسم هذا الوزير خليل، وكان ذلك حوالي سنة ١٩٥٠م [البحر البسيط]:

رَفْعُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ يَا خَلِيلَ غَدَا ... يُبْكِي الْخَلِيلَ وَجَرٌّ لِلْمَفَاعِيلِ
إِنَّ الْوِزَارَةَ مُذْ أَصْبَحْتَ تَرْأَسُهَا ... صَارَتْ وِزَارَةَ تَجْهِيلٍ وَتَضْلِيلِ

فأما البيت الأول؛ فهو حق وصدق.

وأما البيت الثاني؛ فغير صحيح، فإنَّ هذا الرجل هو أفضل وزراء المعارف في المدة التي قضيتُها أستاذًا في العراق، وهي اثنتا عشرة (١٢) سنة، ولكن أعداءه كانوا يبثون دعاية فيها تحامل عليه؛ لأنه كان شَهْمًا حازمًا ماضيًا في الأمور لا يُحابي ولا يُداهن، يُحبُّ الأساتذة الذين يُؤدُّون واجبَهم كاملاً، ويرفع قدرهم، ويكرمهم، ويقضي حاجاتهم بدون تردد، ويكره الأساتذة الذين يتقاعسون عن أداء واجبهم، ويحتقرهم، ويعاقبهم بما يستحقون، وكان أعداؤه كثيرًا؛ لأنه كان صهر نوري السعيد.

ومن فضائله: أنه كان في كل احتفال يرافقني بنفسه إلى المائدة، ولا يترك ذلك لأحد غيره، وإذا حضر الملك فيصل والوصي عبد الإله إلى كلية الملكة عالية -التي كنتُ أستاذًا فيها- كان يبحثُ عنِّي حتى يخرجني من مخبئي، ويقدمني لهما، ويثني عليَّ أمامهما.

وقد وَقَفَ موقف شهامة وإنصاف في منحي لقب أستاذ جامعي، مع أن بعض

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

الحسدة من مجلس الأساتذة الأعلى سعوا في تعويقي عن إدراك هذا المنصب.

ومن فضائله: أن زوجة الدكتور فاضل الجمالي الأميريكية سعت مدة سنة في الترفيع لنفسها، ويسميها المغاربة (الترقية) فما تمَّ لها ما أرادَتْ، وكنتُ أنا وهي في درجة واحدة؛ رَفَعَ راتبي، كما رَفَعَ راتبها بدون طلب قدَّمْتُهُ، ولم أكن حاضرًا، بل كنتُ في لبنان؛ فلما رجعتُ وجدتُ راتبي قد زاد؛ فسألت الموظفين؛ فأخبروني بما فعل الوزير.

وقد امتحنَهُ المهدويُّ في محكمته القرقوشية التي هي من مهازل التاريخ! -وجرائمها لا تخفى!-، وأطالوا حبسه، ولكن الله حفظه من القتل، وقد علمتُ أنه أطلق سراحه منذ زمان، والله -تعالى- يعوضه عن تلك المحن خيرًا ورفعة.

واسمه الكامل: خليل كنة[1]، وهو يستحق المدح، ولعل الله ييسر مدحه؛ فأثبتُهُ في هذا الديوان نظمًا، كما مدحتُهُ نثرًا.

---

(١) هو خليل بن إسماعيل بن كنّة البياني، ولد سنة ١٩١٠م في مدينة الفالوجة، أكمل الابتدائية في (النقيض الأهلية) ببغداد، والثانوية في الجامعة الأمريكية ببيروت، وتخرج في كلية الحقوق العراقية سنة ١٩٣٢م، عُيِّن في عدَّة مراكز: مديرًا لأموال القاصرين ومشاورًا قانونيًّا في وزارة الاقتصاد، وبعد حركة مايس عُيِّن مديرًا لشركة كهرباء بغداد، وأثناء دراسته في الحقوق انضم إلى دعاة حركة القومية العربية، وهو عضو مؤسس من أعضاء حزب الاستقلال العراقي، أُنشئ في إبريل سنة ١٩٤٦م برئاسة محمد مهدي كبة، وأخرج جريدة ناطقة باسمه، هي «لواء الاستقلال» التي ظلت تصدر حتى عام ١٩٥٤م حين أُلغي امتيازها، وكان (كنة) طموحًا لتزعم الحزب، ولهذا السبب اصطدم بالحزب ومؤسسه، وخرج منه وأصدر كراسًا عن ذلك في سنة التأسيس نفسها بعنوان: «هذه استقالتي من حزب الاستقلال»، ثم انضمَّ إلى منهج النظام آنذاك؛ فعيِّن وزيرًا للمعارف، فوزيرًا للمالية في بحر الخمسينات، ثم نيطت به رئاسة مجلس النواب سنة ١٩٥٨م قبل قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م؛ فأصدر عن أعماله في هذا المجلس كراسًا بعنوان: «خطاب في الجلسة التي عقدها مجلس النواب ٢٩ أيار ١٩٥٨م»، وبعد قيام ثورة ١٤ تموز سافر إلى بيروت، وفي سنة ١٩٦٦م أصدر كتابه المعروف «العراق أمسه وغده»، وكتب سنة ١٩٩٤م مذكراته السياسية؛ انظر «الموسوعة العربية العالمية» (١/ ٢٦٤)، و«موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين» (٦٨).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[هجو مزوِّر المغاربة بالمدينة النبوية][1]

[١٣٣] وقلتُ في أوائل محرم ١٣٨٨هـ الموافق إبريل ٦٨م في مُزَوِّرِ المغاربة بالمدينة النَّبويَّة، بعدما رأيتُ من بَذَائِهِ وسوءِ خُلُقِهِ، وقبحِ معاملته للحجاج، وتنمُّرِهِ عليهم؛ وكأنهم أسارى بين يديه، يسومهم سوء العذاب، ويذلهم ويهينهم، واسم هذا المزور: أحمد حوالة، من **مخلع البسيط**[2]، ووزنه: مستفعلن فاعلن فعولن (مرتين):

مُـــزَوِّرٌ وَاسْـــمُهُ حَوَالَـــةْ ... قَـــدْ جَـــمَعَ الـــزُّورَ وَالنَّذَالَـــةْ

كَلْـــبٌ مَـــلَا وَكْـــرَهُ نُبَاحَـــا ... لِكُـــلِّ حَـــاجٍّ مَتَـــى بَـــدَا لَـــهْ

طَيْبَـــةُ دَارُ الرَّسُـــولِ تَـــشْكُو ... قَـــدْ أَنْكَـــرَتْ فِعْلَـــهُ وَقَالَـــهْ

تَقُـــولُ يَـــا قَـــوْمُ طَهِّرُونِـــي ... مِـــنْ فَـــاجِرٍ لَـــجَّ فِـــي الـــضَّلَالَةْ

وَأَخْرِجُـــوهُ عَـــلَى جَحِـــيمٍ ... لِكَـــيْ يُلَاقِـــي بِـــهِ نَكَالَـــهْ

فَلَـــمْ يَـــزَلْ وَجْهُـــهُ وَقَاحًـــا ... وَلَـــمْ يَـــزَلْ قَوْلُـــهُ جَهَالَـــهْ

مِـــنْ طَمَـــعٍ لَـــمْ يَـــزَلْ وَحِـــرْصٍ ... يَحْـــسَبُ مَـــالَ الْـــحَجِيجِ مَالَـــهْ

يَمْتَـــصُّهُمْ كَـــالْبَعُوضِ حَتَّـــى ... يَـــتْرُكَهُمْ فِـــي أَخَـــسِّ حَالَـــهْ

---

(١) حدثني بعض (تلميذ الهلالي) في بيته في مكة المكرمة في صفر سنة ١٤٣٠هـ بهذه القصيدة، وذكر أن للهلالي بيتين في هجو (حوالة) هذا؛ هما:

الله شيخًا واقفًا قابضًا على مذاكيره ... في ظرفـــه ســـيل نـــسناسِ

فـــإن كـــان مجنونًـــا فـــإن جنونـــه ... عُبـــالٌ عقـــام مـــا لـــه مـــن آسِي

(٢) انظر التعليق على مقطع (٤٢).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

يَـدْعُو عَلَيْـهِ الْـحَجِيجُ أَنْ لَا يُـصْلِحَ رَبُّ الْعِبَـادِ حَالَـهْ

وَلَا يَزِيـــدُهُ إِلَّا خُـــبْلاً[1] حَتَّـى يُـرَى دَاخِـلَ الْـحِبَالَهْ

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «خبالاً»! وصدر البيت كذا مكسور، ولاستقامة الوزن لا بُدَّ من إبدال كلمة (خَبَالاً) بـ(خُبْلاً)؛ كما ترى في المتن، ومن ثَمَّ اختلاس ألف كلمة (إلَّا)؛ أي قراءتها كأنها: (إلَّ)، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

(حرف الميم)

[هجو ماء العينين الشنقيطي][1]

---

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٢١-١٢٣)، وقال قبلها: «إذا أردتَ أنْ تعرف طريقة ماء العينين وتلامذته؛ فعليك بكتابه المُسمَّى «نعت البدايات»؛ فإنك ترى فيه عجب العجاب من الضلال والغلو، ومن جملة ما قاله بعض الغُلاة في قصيدة له يطري فيها شيخه ماء العينين:

مَنْ فَاتَهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ مُضَرٍ ... وَفَاتَهُ الشَّيْخُ مَا الْعَيْنَيْنِ مَحْرُومُ

وقد رددتُ عليه بقصيدة، أنقلها هنا»، وذكرها.

وذكر الهلالي في كتاب «الدعوة إلى الله» (ص ١٣٧) أيضًا أنه طبع في دهلي أربع قصائد سمّاها «الهاديات»، وأنَّ هذه القصيدة من ضمنها، وذكر -أيضًا- في «السراج المنير» (ص ٦٩-٧٠): «أنَّ أصحاب الطرائق المتصوفة في كل مكان كانوا عونًا لأعداء البلاد المستعبدين لقومهم، إلا طريقتين اثنتين لا تعرف لهما ثالثة في المغرب الأكبر: الطريقة السنوسية في طرابلس...، وطريقة الشيخ ماء العينين في جنوب المغرب».

وماء العينين هذا؛ هو: أبو محمد مصطفى بن محمد فاضل بن محمد مامَيْن الشنقيطي القلقمي، أبو الأنوار، من قبيلة القلاقمة، من عرب شنقيط.

مولده ببلدة الحوض سنة ١٢٤٦هـ الموافق ١٨٣٠م، ووفاته في تزنيت من مدن السوس الأقصى، وَفَدَ على ملوك المغرب في رحلته إلى الحج، وحظي عندهم، وكان -مع اشتغاله بالحديث واللغة والسير- له معرفة بما يُسمَّى «علم خواص الأسماء، والجداول، والدوائر، والأوفاق، وسر الحرف»، وقصده الناس لهذا، قال صاحب «معجم الشيوخ»: «وأخباره في العلم، والطريق، والسياسة واسعة تحتاج إلى مؤلف خاص». =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[١٣٤] وقلتُ حين كنتُ في الهند سنة ١٣٤٢هـ؛ أنشأتُ اثني عشر بيتًا منها على ظهر القطار بين بمباي ودهلي، وسائرها بدهلي بمسجد المرحوم حاجي علي جان الحديثي -أدام الله عِمَارَتَهُ-، وسببها أني تذكرتُ بيتًا لبعض غلاة متصوفة الزمان، وهو

يستفاد مما كتب عنه: أنه كانت له مواقف ووقائع في مقاومة الاستعمارين الفرنسي والإسباني في المغرب، وأنَّ الشعب المغربي أسند إليه في العام الأخير من حياته قيادة الجهاد، واجتمع لديه جيش من تلاميذه، ومن رجاله، ومن قبائل الرقيبات، وأولاد دليم، وأولاد أبي السباع، والنكنة، والشلوح، وسائر قبائل السوس، وزحف نحو فاس -العاصمة يومئذٍ- لإنقاذها، وكادَتْ ثورته تعم المغرب كله لولا أن حشد له الفرنسيون قواهم وتغلبوا عليه.

ومرض؛ فعاد إلى مدينة تزنيت الواقعة على ٩٥ كيلومترًا من جنوب أغادير، و٦٠ من إفني؛ فتوفي ودفن بها، وذلك في سنة ١٣٢٨هـ الموافق ١٩١٠م.

قال صاحب «المعسول»: «لمَّا تمكن المولى عبد الحفيظ، ودخل فاسًا؛ سافر الشيخ ماء العينين من تزنيت إلى فاس محاذيًا سفح الأطلس؛ لأنه لا يأمن في السهول؛ فأرسل الفرنسيون المحتلون للدار البيضاء -وما يليها- إلى الملك بفاس؛ ينذرونه بأنهم يعدون كل مَن مدَّ يده بالمعونة إلى ماء العينين عدوًّا لهم، فأوعز الملك إلى عبد الله بن يعيش بأَنْ يتلقى الشيخ في الطريق برسالة من الملك؛ ليرجع عن فاس، ثم لمَّا وصل الشيخ إلى تادلة، أراد الفرنسيون أَنْ يتسربوا إليه ليلاً؛ ليستحوذوا عليه، وحفظه الله منهم؛ فنشأت عن ذلك حرب بين أهل تادلة والفرنسيين، اصطلى فيها هؤلاء بنار مستعرة في يوم مذكور، ورجع الشيخ متوغلاً الأطلس؛ فطلع من آيت عتاب إلى أَنْ نزل على رأس الوادي في سوس؛ فحط رحله في تزنيت، حيث لفظ نفسه الأخير وشيكًا».

له كتب كثيرة، المطبوع منها: «شرح راموز الحديث»، «نعت البدايات وتوصيف النهايات»، «تبيين الغموض على النظم المسمى بنعت العروض»، «مغري الناظر والسامع على تعلم العلم النافع»، «مبصر المتشوف»، «دليل الرفاق على شمس الاتفاق»، «مذهب المخوف على دعوات الحروف»، «المرافق على الموافق» -مطبوع بتحقيقي في مجلدين-، «مفيد الحاضرة والبادية».

ترجمته في: «الوسيط في أخبار شنقيط» (٣٦٠)، و«المعسول» (٤/ ٨٣-١٠١)، و«معجم المطبوعات العربية» (١٦٠١)، و«الأعلام» (٧/ ٢٤٣-٢٤٤)، ومجلة «صحراء المغرب» (عدد ٢٤، محرم، سنة ١٣٧٨هـ)، وفيها بحث مستفيض في نسبه، وطريقته، وأبنائه، وسيرته.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مطلع قصيدة أطرى فيها شيخه -إلهه!-، وذلك حيث يقول:

مَنْ فَاتَهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ مُضَرٍ ... وَفَاتَهُ الشَّيْخُ (مَا الْعَيْنَيْنِ) مَحْرُومُ

فالتابعون ومَن بعدهم من الصالحين إلى يوم القيامة -كلهم!- محرومون -على زعمه!-، وهذا لا يستغرب ممن اتخذ من دون الله وليًّا -عافانا الله بمنه- [البحر البسيط]:

مَنْ فَاتَهُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ مُضَرٍ ... وقَدْ قَفَا نَهْجَهُ، مَا ذَاكَ مَحْرُومُ

إِنْ رَدَّ كُلَّ نِزَاعٍ لِلْإِلَهِ إِلَى ... كِتَابِهِ، فَلَهُ، يَحِقُّ تَحْكِيمُ

وَلِلرَّسُولِ إِلَى حَدِيثِهِ،[1] فَبِذَا ... أَمْرُ الْإِلَهِ[2] أَتَانَا وَهْوَ مَكْتُومُ

لَا لِلشُّيُوخِ وَلَا لِلرَّأْيِ مِنْ شِيَعٍ ... لَدَيْهِمُ، حَبْلُ ذِكْرِ اللهِ مَصْرُومُ

وَكَمْ حَدِيثٍ بِهِ، عُرْضَ الْجِدَارِ رَمَوْا ... إِسْنَادُهُ، مِثْلُ شَمْسِ الصَّحْوِ[3] مَعْلُومُ

إِذْ خَالَفَ الرَّأْيَ وَهْوَ الْأَصْلُ عَنْدَهُمُ، ... كَأَنَّ صَاحِبَ ذَاكَ[4] الرَّأْيِ مَعْصُومُ

مَا لِلرَّسُولِ لَدَيْهِمْ غَيْرُ الِاسْمِ فَقَطْ ... وَصَاحِبُ الرَّأْيِ مَتْبُوعٌ وَمَأْمُومُ

وَآيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ مُحْكَمَةٌ ... تَفْسِيرُهَا عَنْ نَبِيِّ اللهِ مَفْهُومُ

تَعَمَّدُوا سَلْبَ مَعْنَاهَا الْمُرَادِ بِهَا ... وَحَمَّلُوهَا أَوَابِدًا[5] بِهَا لِيمُوا

---

(١) «آثاره». (بو خبزة).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «الله»، والصواب -وَزْنًا- ما أثبتناه من «الدعوة إلى الله».

(٣) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله»: «صَحْوِ الشَّمْسِ».

(٤) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله»: «هذا».

(٥) في «الدعوة إلى الله»: «مفاهيمًا».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مَضَى الصَّحَابَةُ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِهِمُ ... وَالتَّابِعُونَ وَعِقْدُ الدِّينِ مَنْظُومُ

كَذَا الأَئِمَّةُ مِثْلُ الشَّافِعِيِّ وَمَا ... لِكَ وَأَحْمَدَ لَمْ يُلْمَزْ لَهُمْ خِيمُ[1]

وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَتَوْا بِدَعًا ... قَدِ افْتَقَوْا إِثْرَ يُونَانٍ مَشَائِيمُ

وَحَكَّمُوا عَقْلَهُمْ فِي اللهِ جَلَّ وَهُمْ ... جُهَّالُ أَنْفُسِهِمْ وَذَاكَ مَذْمُومُ

فَوَصَفُوهُ بِمَا أَوْحَتْ وَسَاوِسُهُمْ ... وَعِنْدَهُمْ وَصْفُهُ بِالذِّكْرِ تَجْسِيمُ

إِنْ قَصَّرَ اللهُ وَالْمُخْتَارُ فِي صِفَةٍ ... وَصَحْبُهُ كَيْفَ يُرْجَى بَعْدُ تَفْهِيمُ

أَوْ أَنْزَلَ اللهُ آيَاتٍ مُكَفِّرَةً ... فَالْكُفْرُ يُحْمَدُ وَالْإِسْلَامُ مَذْمُومُ

تَاللهِ إِنَّ أُولَاءِ الْقَوْمَ فِي عَمَهٍ ... بَنَوْا عَلَى غَيْرِ أُسٍّ فَهْوَ مَهْدُومُ

قَدْ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِ اللهِ وَانْتَبَذُوا ... بَيْدَاءَ سَالِكُهَا لَا شَكَّ مَقْصُومُ

مَنْ رَامَ تَكْذِيبَ قَوْلِ اللهِ أَوْ سُنَنٍ ... يَقُولُ ذَا لَازِمٌ وَذَاكَ مَلْزُومُ

وَالْحَقُّ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يُسْتَدَلَّ لَهُ ... لَكِنَّ طَرْفَ أَخِي التَّقْلِيدِ مَخْرُومُ

اللهُ أَعْطَاهُ طَرْفًا يَسْتَدِلُّ بِهِ ... فَسَدَّهُ وَاقْتَفَى مَنْ هُوَ مَشْؤُومُ

وَقَالَ إِنَّا وَجَدْنَا الْأَقْدَمِينَ كَذَا ... وَالْأَقْدَمُونَ لَهُمْ يَحِقُّ تَقْدِيمُ

وَالْحَقُّ أَقْدَمُ وَالْمُخْتَارُ[2] سَابِقُهُمْ ... لِقَوْلِهِ حُقَّ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمُ

وَلَيْسَ رَبُّ الْوَرَى بِسَائِلِ أَحَدًا ... عَنْ غَيْرِهِ فَعَلَيْهِ دَامَ تَسْلِيمُ

---

(١) الخيم: الطَّبع والسَّجيَّة، وفي «منحة الكبير المتعالي»: «خيموا»! والمثبت من بعض طبعات «الدعوة إلى الله».

(٢) في «الدعوة إلى الله»: «المختار» دون الواو!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

يَـا وَيْـلَ مَـنْ لَـمْ يَكُـنْ لَـهُ بِمُتَّبِـعِ ... شَرَابُـهُ يَـوْمَ يَظْـمَا النَّـاسُ يَـحْمُومُ

وَكَيْـفَ يَتْـبَعُ ذُو التَّقْلِيـدِ سُـنَّتَهُ ... وَأَنْفُـهُ بِحِبَـالِ الْـجَهْلِ مَـخْزُومُ

إِذَا عَـصَيْتُمْ رَسُـولَ اللهِ فَـاتَّبِعُوا ... مَـنْ شِـئْتُمُ جَـمْعُكُمْ لَا شَكَّ مَهْـزُومُ

إِنْ قُلْـتَ قَـالَ رَسُـولُ اللهِ[1] يَنْتَفِـشُوا ... وَيُنْغِـضُونَ رُؤُوسَـهُمْ وَهُـمْ بُـومُ

وَيَنْبِزُونَـكَ بِالْأَلْقَـابِ مِـنْ سَـفَهٍ ... فَعِنْـدَهُمْ قَـوْلُ خَـيْرِ الرُّسْـلِ مَـشْؤُومُ

كُونُـوا حِجَـارَةً اوْ[2] حَدِيـدًا اوْ خَـشَبًا ... وَأَنْفُكُـمْ أَبَـدًا بِـالتُّرْبِ مَرْغُـومُ

مَـنْ كَـانَ قَـوْلُ رَسُـولِ اللهِ يُغْـضِبُهُ ... فَـذَاكَ فِي النَّـاسِ مَـدْحُورٌ وَمَـذْؤُومُ

وَإِنْ تَـسَتَّرَ بِـالتَّحْرِيفِ يَـخْدَعنَا ... فَلَـيْسِ يَـخْفَى عَـلَى الْعَـلَّامِ مَكْتُـومُ

أَمْـرُ النَّبِـيِّ وَأَمْـرٌ مِـنْ إِمَـامِهِمُ ... ذَا حَـاكِمٌ عِنْـدَهُمْ وَذَاكَ مَـحْكُومُ

لَـوْ وُفِّقُـوا حَكَّمُـوا قَـوْلَ النَّبِـيِّ عَـلَى ... قَـوْلِ الْإِمَـامِ وَذَا فِـي الـذِّكْرِ مَرْقُـومُ

فَـأَيْنَ الإِيـمَانُ[2] مِـنْهُمْ أَيْـنَ آيَتُـهُ ... أَيْـنَ الْـمَحَبَّةُ أَيْـنَ أَيْـنَ تَعْظِـيمُ

وَهُـمْ يَقُولُـونَ نَحْـنُ الْوَامِقُـونَ[3] لَـهُ ... وَخَـالَفُوا أَمْـرَهُ فَالْـحُبُّ مَزْعُـومُ

إِنْ كُنْـتَ وَامِقَـهُ فَلْـتَقْفُ[4] سُـنَّتَهُ ... وَالْـحُبُّ مِنْـكَ إِذَا خَالَفْـتَ مَعْـدُومُ

---

(١) من قوله في البيت السابق: «فاتبعوا» إلى هنا سقط من طبعة دار الكتاب والسنة من «الدعوة إلى الله» (ص ١٥١).

(٢) تقرأ بهمزة وصل للوزن. (أبو الفضل).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «الموامقون»! و«وَمِقَهُ -كَوَرِثَهُ- وَمْقًا وَمِقَةً: أحبَّهُ؛ فهو وَامِقٌ»؛ انظر «القاموس» (ص ١٢٠٠).

(٤) في «الدعوة إلى الله»: «فتقف».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَمَصْدَرُهُ ... مَشَايِخٌ دِينُهُمْ وَالْعِرْضُ مَثْلُومُ

هُمْ زَيَّنُوا لِلْعَوَامِ كُلَّ فَاحِشَةٍ ... وَمِنْهُمُ نَتْنُ أَكْلِ السُّحْتِ مَشْمُومُ

رَامُوا التَّأَكُّلَ[1] بِالْفَتْوَى فَصَارَ لَدَيْـ ... ـهِمْ بِالدَّرَاهِمِ تَحْلِيلٌ وَتَحْرِيمُ

لَا كَسْبَ عِنْدَهُمُ إِلَّا الْعَمَائِمَ كَالْـ ... ـيَقْطِينِ وَالْكُمُّ مِثْلُ الْخُرْجِ مَرْسُومُ

يُرْخُونَ لِلنَّاسِ أَيْدِيهِمْ تُقَبِّلُهَا ... وَمَنْ أَبَى فَهْوَ مَلْحِيٌّ[2] وَمَشْتُومُ

إِنْ كَانَ حَالُ هُدَاةِ[3] النَّاسِ يَا أَسَفًا ... كَمَا رَأَيْتَ اسْتَوَى جَهْلٌ وَتَعْلِيمُ

أَمَّا ذَوُو الطُّرْقِ مَنْ لِلصُّوفِ قَدْ نُسِبُوا ... فَلَا تَسَلْ عَنْهُمُ فَهُمْ مَشَائِيمُ

لَمْ تُرْضِهِمْ شِرْعَةُ الْمُخْتَارِ فَانْتَحَلُوا ... شَرَائِعًا كُلُّهَا إِفْكٌ وَتَأْثِيمُ

وَاسْتَعْبَدُوا[4] النَّاسَ بِاسْتِتْبَاعِهِمْ[5] سَفَهًا ... فَالْحُرُّ مُسْتَخْدَمٌ وَالْعَبْدُ مَخْدُومُ

قَالُوا عَنِ اللهِ أَخَذْنَا الشَّرَائِعَ بَلْ ... مِنَ الشَّيَاطِينِ شَرْعُ الْقَوْمِ مَفْهُومُ

هَلْ فِي شَرِيعَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ عَرْبَدَةٌ ... مِثْلُ السُّكَارَى وَرَقْصٌ ثُمَّ هَيْنُومُ[6]

هَلْ فِي شَرِيعَةِ خَيْرِ الْخَلْقِ تَصْدِيَةٌ ... مَعَ الْمُكَا وَتَجَنٌّ وَتَهْوِيمُ[7]

---

(١) في «الدعوة إلى الله»: «التآكل».

(٢) أي: مشتوم؛ في «القاموس» (١٧١٤): «لحاه يلحوه: شتمه».

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «هذاة»!

(٤) في الأصل: «استبعدوا»!

(٥) في «الدعوة إلى الله»: «استتباعهم»!

(٦) الهَيْنَمَةُ: الصوتُ الخَفِيُّ، والمراد: كلام غير مفهوم.

(٧) في «القاموس» (١٥١٣): «(التَّهْويمُ) و(التَّهَوُّمُ): هَزُّ الرأس من النُّعاس»، وكأنه يريد =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

هَـلْ لِلْخَلَائِـقِ أَرْبَـابٌ تَقَـسَّمُهَا[1] كُـلٌّ لَـهُ جُـزْءٌ فِـي النَّـاسِ مَقْـسُومُ
أَمْ لِلْخَلَائِـقِ رَبٌّ وَاحِـدٌ صَـمَدٌ وَغَـيْرُهُ مَـا لَـهُ فِـي الْـخَلْقِ بُرْعُـومُ
هَـلْ فِـي الـشَّرِيعَةِ أَقْـوَالٌ تُكَذِّبُـهَا يَقُـولُ أَصْحَابُـهَا ذَا الـسِّرُّ مَكْتُـومُ
هَـلْ فِـي الـشَّرِيعَةِ أَوْثَـانٌ مُقَدَّسَـةٌ وَحَوْلَـهَا دَمُ ذَبْـحِ الْقَـوْمِ مَـسْجُومُ
لَا يَخْـشَعُونَ لِرَبِّنَـا خُـشُوعَهُمُ لَـهَا لِأَوْجُهِهِـمْ وَيْـلٌ وَتَـسْخِيمُ
لَـوْ آمَنُـوا بِإِلَـهِ النَّـاسِ مَـا قَـصَدُوا مِـنْ دُونِـهِ مَـنْ بِكُـلِّ الْفَقْـرِ مَوْسُـومُ
مَـا قَـدَّرُوا اللهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ أَبَـدًا إِذْ كَـانَ مِـنْهُمْ عَـلَى الْـمَقْبُورِ تَـحْوِيمُ
إِذْ كَـانَ حَيًّـا بِكُـلِّ الْفَقْـرِ مُتَّـصِفٌ فَكَيْـفَ وَهْـوَ بِـتُرْبِ اللَّحْـدِ مَغْمُـومُ
قَـدْ أَخْـبَرَ الْمُـصْطَفَى بِكُـلِّ مَـا فَعَلُـوا صَـلَاةُ رَبِّي عَلَيْـهِ ثُـمَّ تَـسْلِيمُ
وَاللهَ أَسْـأَلُ أَنَّ الْـحِفْظَ يَـصْحَبُنِي وَالْعُمْـرَ بِالْعَمَـلِ الْـمَرْضِيِّ مَـخْتُومُ

* * *

[نكـاح العجـوز][2]

[١٣٥] وقلتُ على لسان مَن نكح عجوزًا [البحر الطويل]:

نَكَحْـتُ عَجُـوزًا وَهْـيَ أَكْـبَرُ مِـنْ أُمِّـي فَطَـالَ بِـهَا حُزْنِـي وَزَادَ بِـهَا غَمِّـي

(الدروشة) و(هزّ) الطرقيين رؤوسهم في حلقات الذكر.

(١) هو فعل مضارع حذفَتْ إحدى تاءيه تخفيفًا.

(٢) ظفرتُ بالبيتين في (الدفتر الخاص) للهلالي (ق ٦٨)، وفوقهما: «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَطَلَّقْتُهَا فِي الْحِينِ سَبْعِينَ[١] طَلْقَةً وَمَتَّعْتُهَا بِالضَّرْبِ وَاللَّعْنِ وَالشَّتْمِ

[عتابُ مُحِبٍّ][٢]

[١٣٦] وقلتُ هذه الأبيات -ولم أعرف سببها، ولا المخاطَب بها[٣]- [البحر الطويل]:

أَيَا أَحْمَدُ الْمَعْرُوفُ بِالْأَدَبِ الْجَمِّ مُدِيرُ دَوَالِيبِ السِّيَاسَةِ وَالْحُكْمِ

تَوَانَيْتَ فِي حَقٍّ وَمَا كَانَ شِيمَةً لِمِثْلِكَ غَمْطُ[٤] الْحَقِّ وَالْوَاجِبِ الْحَتْمِ[٥]

فَفِي الدِّينِ وَالطَّبْعِ الْكَرِيمِ تَصَافُحٌ بِوَقْتِ الْلِّقَا يَقْضِي بِهِ كُلُّ ذِي عِلْمِ

لِذَلِكَ قَدْ[٦] أَقْبَلْتُ نَحْوَكَ[٧] بَاسِطًا لِكَفِّي بَسْطَ الْوَامِقِ الصَّادِقِ الْعَزْمِ

فَلَمْ تَكْتَرِثْ[٨] حَتَّى غَدَوْتُ مُطَأْطِئًا لِرَأْسِيَ كَيْ أَحْظَى لِكَفِّكَ بِالضَّمِّ

---

(١) في الأصل: «سبعية»! والتصحيح من (بو خبزة) على هامش «الديوان».

(٢) ظفرتُ بالأبيات في (الدفتر الخاص) للهلالي (ق ١٢٦)، وقبلها: «وقلتُ هذه الأبيات ولم أعرف سببها والمخاطب بها»، ووضع بين أبياتها «نقل»؛ أي: إلى «الديوان».

(٣) «كان الدكتور حدثني بدرب الصَّبنيول بالدار البيضاء أنه قصد مرَّةً أحمد بلا فريج في قضية له؛ فلم يقابله، وحكى لي أنه نزل عنده ببغداد مُدَّة، وأنه نفعه بِعِدَّةِ أمور؛ فلعله المقصود هنا». (بو خبزة).

(٤) في (الدفتر الخاص): «غمص».

(٥) أثبت في (الدفتر الخاص) تحت الأبيات: «الحتم: العزم».

(٦) أثبتها (بو خبزة) على هامش «الديوان» بخط اليد.

(٧) في (الدفتر الخاص): «نحو»!

(٨) بعدها في «الديوان»: «بي»، وضرب عليها (بو خبزة) بالقلم.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[إرشادات للطلبة][1]

[١٣٧] وقلتُ حين كنتُ في الدورة ٢٥ صفر ١٣٤٤هـ مُخاطب الطلبة -البيت الأول ارتجالاً، وسائرها شبه ارتجال- [البحر المجتث]:

انْصَرِفُوا كَيْ تَنَامُوا ... قَدْ جَاءَ وَقْتُ الْمَنَامِ
وَاسْتَيْقِظُوا بُكْرَةً مِنْ ... قَبْلِ انْقِضَاءِ الظَّلَامِ
وَبَادِرُوا الْفَجْرَ كَيْ تَذْ ... كُرُوا[2] إِلَهَ الْأَنَامِ
كَذِكْرِ مَنْ عَضَّهُ الْجُو ... عُ لِصُنُوفِ الطَّعَامِ[3]
وَأَفْطِرُوا ثُمَّ أُمُّوا ... مَدْرَسَةَ الْإِسْلَامِ[4]
وَانْتَظِرُوا الشَّيْخَ يَأْتِي[4] ... ثُمَّ ادْخُلُوا بِسَلَامِ
ثُمَّ اجْلِسُوا بِوَقَارٍ ... وَهَيْبَةٍ[5] وَاحْتِرَامِ

---

(١) الأبيات في (الدفتر الخاص) للهلالي (ق ١٢٧)، وقبلها: «الدورة بعد صلاة العشاء ٢٥ صفر ١٣٤٤هـ، قلت مخاطب الطلبة البيت الأول ارتجالاً وسائره شبهه»، وأعلاها: «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) في (الدفتر الخاص): «. . .الفجر ولتذ كروا. . .»، ثم أثبت بعد البيت: «كي تذكروا».

(٣) دخل تفعيلة عجز هذا البيت الأولى الخَبْلُ، وهو حذف الثاني والرابع الساكنين من التفعيلة؛ فتصبح (مُسْتَفْعِلُنْ): (مُتَعِلُنْ)، وهذا الزحاف يمتنع دخوله على تفعيلة المجتث؛ إذ هي (مُسْتَفْعِ لُنْ) مكونة من وتدٍ مفروق (تَفْعِ)، والأوتاد لا تُزاحف؛ انظر «المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر» (ص ١٢٨) بتصرف، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٤) انظر التعليق على البيت السابق. (أبو الفضل).

(٥) في (الدفتر الخاص): «مع أدب»، ثم ضرب عليها، وأثبت فوقها: «وهيبة».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[وَ]إِنْ[(١)] تَـلَا الشَّيْخُ فَاصْغُوا لَـهُ بِكُـلِّ اهْـتِمَامِ
وَلَازِمُـوا الـصَّمْتَ إِلَّا مِـنْ بَعْـدِ الِاسْـتِعْلَامِ
فَـأَعْمِلُوا الْفِكْـرَ حَتَّـى تَـرَوْا وُضُـوحَ الْـمَرَامِ[(٢)]
وَبَيِّنُـوا مَـا سُـئِلْتُمْ عَنْـهُ بِكُـلِّ انْتِظَـامِ
وَلْتَلْتَزِمُـوا الْـدَّرْسَ وَالْفِقْـ ـهَ فِيـهِ أَيَّ الْتِـزَامِ

* * *

[هجو شامي من خدَّام الاستعمار][(٣)]

[١٣٨] وقلتُ في هجوِ شخصٍ شَاميٍّ نسيتُ من هو[(٤)]، ولا بدَّ أن يكون من خُدَّامِ الاستعمار كما يظهر من القصيدة، من **الطويل**:

لَـشَتَّانَ مَـا بَـيْنَ الرَّئِيسَيْنِ فِـي النَّـدَى رَئِـيسٌ بِبَغْـدَادٍ وَآخَـرُ بِالـشَّامِ
فَهَـمٌّ فَتَـى بَغْـدَادَ بَـذْلٌ وَنَجْـدَةٌ وَهَـمُّ الْفَتَـى الـشَّامِيِّ خِدْمَـةُ أَرْوَامِ

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي» و(الدفتر الخاص): «إنْ» بدون (الواو)! **قال أبو الفضل**: وبإضافتي (الواو) يستقيم الوزن، والله الموفق.

(٢) تكررت (حتى) التي في صدر البيت في أول عجزه في «منحة الكبير المتعالي» هكذا: «. . .حتى حتى تروا. . .»، وهو خطأ مطبعي أخلَّ في وزن العجز، والصواب حذفها، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) الأبيات في (الجزء الثاني) من «رحلة من الزبير» (ق ٦٨-٦٩) دون أيِّ كلام قبلها، وفوقها: «نقلت»؛ أي: إلى «الديوان».

(٤) «سميتَه في النظم: العابد». (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَتًى جَمَعَ الآلَافَ بِرًّا وَرَحْمَةً ... لِأَهْلِ فِلَسْطِينٍ بِبِضْعَةِ أَيَّامِ

وَذَلِكَ لَمَّا أَنْ دَعَاهُ جَمَاعَةٌ ... لِغَوْثٍ أَطَاعَ الشُّحَّ فَاحْتَفَّ بِالذَّامِ

وَقَالَ دَعُونِي إِنَّنِي الْيَوْمَ جَائِعٌ ... وَرِزْقِيَ لَا يَكْفِي لِرِيِّي وَإِطْعَامِي

فَلَمَّا أَلَحُّوا ضَاقَ ذَرْعًا بِقَوْلِهِمْ ... وَقَالَ ارْحَمُوا ضُرِّي وَبُؤْسِي وَإِعْدَامِي

فَقَالُوا لَهُ لَا بُدَّ مِنْ بَذْلِ نَائِلٍ ... فَأَنْتَ رَعَاكَ اللهُ قُدْوَةُ أَقْوَامِ

وَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا مَنَاصَ مِنَ الْعَطَا ... وَأَقْدَمَ فِي بَذْلِ النَّدَى كُلَّ إِقْدَامِ

وَأَجْهَدَ فِيهِ نَفْسَهُ، قَالَ دُونَكُمْ ... فَذَا رُبْعُ دِينَارٍ فَشُكْرًا لِإِنْعَامِي

يَعِزُّ عَلَيْنَا فَقْدُهُ، وَضَيَاعُهُ، ... سَأَبْكِي عَلَيْهِ آسِفًا طُولَ أَيَّامِي

فَقَالُوا لَهُ، هَذِي فُلُوسُكَ لَا تُرَعْ ... وَوَلَّوا وَخِزْيُ اللهِ مِنْ فَوْقِهِ، هَامِ

مُعِينُ فِرَنْجٍ مُفْسِدِينَ قَدِ اعْتَدَوْا ... فُسُحْقًا لِمَنْ أَمْسَى مُعِينًا لِظُلَّامِ

فَلَا رَقَأَ الرَّحْمَنُ دَمْعَكَ بَاكِيًا ... وَلَا زِلْتَ فِي ذُلٍّ وَبُؤْسٍ وَآلَامِ

فَلَيْتَ لَنَا مِنْكَ الْغَدَاةَ سُخَيْلَةً ... وَإِلَّا فَكَلْبًا نَابِحًا لِلْحِمَى حَامِ

فَذَلِكَ[1] أَجْدَى مِنْكَ نَفْعًا لِصِبْيَةٍ ... بَنِي شُهَدَا فِي دَارَةِ الْقُدْسِ أَيْتَامِ

لَقَدْ صَدَقُوا لَمَّا دَعَوْكَ بِعَابِدٍ ... فَعَابِدُ دِينَارٍ وَعَابِدُ أَصْنَامِ

وَلِلْمُعْتَدِي فِي الشَّامِ صِرْتَ مَطِيَّةً ... جَزَاكَ إِلَهُ النَّاسِ شَرًّا عَنِ الشَّامِ

* * *

(١) في «رحلة من الزبير»: «فذانك».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[في الموالد البدعية][1]

[١٣٩] وقلتُ في ٢٢ رمضان سنة ١٣٦٨ هـ، وغالب الظنِّ أنها في بغداد، فيمن يحصرون جهودهم في إقامة الحفلات العامرة بإنشاد الشعر، وقراءة الموالد الشركية، ويضيعون أركان الإسلام [البحر المتقارب]:

لَقَـــدْ صَـــيَّرُوا الـــدِّينَ أُلْعُوبَـــةً ... وَأُحْبُولَـــةً لِاقْتِنَـــاصِ الْـــحُطَامِ

وَصَـــدُّوا عَـــنِ الْـــوَحْيِ[2] لَـــمْ يَتْبَعُـــوهُ ... وَعَـــنْ سِـــيرَةِ الْـــخُلَفَاءِ الْكِـــرَامِ

* * *

هجـــاء قـــاضٍ[3]

[١٤٠] وقلتُ فيمن تعدَّى، وبدأ بالظلم، وهو الحسن العمرتي نائب قاضي شَفْشاون، من حَمِير الاستعمار وكلابه، جاء الاستقلال؛ فأخزاه الله به، فلزم بيته، ولا أدري أمات أم هو عائش، وكيفما كان الأمر؛ فهو ميت، كما قال الشاعر[4] [البحر الخفيف]:

---

(١) البيتان في (الدفتر الخاص) للهلالي (ق ٩٦)، وفوقهما: «نقلت»، وقبلهما: «وقلت في الثاني والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٨هـ فيمن . . .» إلخ المثبت هنا.

(٢) سقطت من «منحة الكبير المتعالي»، وأثبت (بو خبزة) بخط اليد بدلها: «الحق»، والمزبور من (الدفتر الخاص).

(٣) الأبيات في «السلفية الوهابية بالمغرب» (١١٢)، وفيه قبل الشعر: «قال في آخر سنة ١٩٤٦م بـ(شفشاون): . . .».

وما أمامه (*) سقط من «السلفية الوهابية»، وما بين المعقوفتين سقط من «منحة الكبير المتعالي».

(٤) هو عدي ابن الرعلاء؛ انظر: «الأصمعيات» (ص ١٥٢).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

لَـيْسَ مَـنْ مَـاتَ فَاسْـتَرَاحَ بِمَيْـتٍ ... إِنَّـمَا الْـمَيْتُ مَيِّـتُ الْأَحْيَـاءِ

إِنَّـمَا الْـمَيْتُ مَـنْ يَعِـيشُ كَئِيبًـا ... كَاسِـفًا بَالُـهُ، قَلِيـلَ الرَّجَـاءِ

وهذا ما وقع لأكثر أذناب الاستعمار، وهجوتُهُ عملاً بقوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، وكان ذلك سنة ١٩٤٦م بشَفْشاون، وهذا نصُّ القصيدة من بحر السريع:

لَنَـا فَقِيـهٌ عَالِـمٌ بَـارِعٌ ... مُـسْتَأْهِلٌ لِلـصَّفْعِ وَالـذَّمِّ

دَلِيلُنَـا[1] فِـي فِقْهِـهِ، أَنَّـهُ ... قَـدْ وَرَّثَ الْـجَدَّ مِـنَ الْأُمِّ[2]

وِزَارَةُ الْعَـدْلِ لِـذَا حَكَمَـتْ ... عَلَيْـهِ بِـالْعَزْلِ مِـنَ الْـحُكْمِ

* فَنَتَّـفَ الْمِـسْكِينُ لِـحْيَتَهُ، ... وَبَعْـدَهَا مَـاتَ مِـنَ الْغَـمِّ

الْعَـدْلُ أَضْـحَى مِـنْ خَصَائِـصِهِ، ... لَكِـنْ عَـنِ الْـحَقِّ إِلَى الظُّلْـمِ

* وَيَقْبَـلُ الرِّشْـوَةَ حَتَّـى وَلَـوْ ... أَعْطَيْتَـهُ عَظْـمًا بِـلَا لَـحْمِ

* مَـالُ الْيَتَـامَى عِنْـدَهُ طَيِّـبٌ ... كَحُوتَـةٍ صِـيدَتْ مِـنَ الْـيَمِّ

* يَـسْرِقُ حَتَّـى مِـنْ طَوَابِـعَ إِذْ ... يَلْـصَقُهَا يَوْمًـا عَـلَى الرَّسْـمِ

* عَـلَى الْعُـدُولِ الـضُّعَفَا ضَـيْغَمٌ ... يُمْطِـرُهُمْ بِالـسَّبِّ وَالـشَّتْمِ

* وَفِـي الْـوَغَى أَجْـبَنُ مِـنْ صَـافِرٍ ... فَهْـوَ إِذَنْ يُرْمَـى وَلَا يَرْمِـي

---

(١) في «السلفية الوهابية»: «حجتنا».

(٢) في «السلفية الوهابية»: «الجَدَّة مع»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

* أَحْمَقُ مَنْحُوسٌ مَتَى مَا بَدَا ... فَهْوَ غُرَابُ النَّحْسِ وَالشُّؤْمِ
* قَضَى الْهُدَى وَالْحَقَّ لَمَّا قَضَى ... مِنْ غَيْرِ مَا عَقْلٍ وَلَا عِلْمِ
وَذَا مِنَ الْأَشْرَاطِ لَا يَخْتَفِي ... فَانْتَظِرُوا السَّاعَةَ يَا قَوْمِ[1]
[فَيَا وَزِيرَ الْعَدْلِ يَا سَيِّدِي ... مُحَمَّدٌ ذَا النُّبْلِ وَالْعَزْمِ
أَعْنِي أَفِيلَالَ[2] الشَّرِيفَ الرَّضِي ... الْجَامِعَ الْعَزْمِ إِلَى الْحِلْمِ]
بَقَاءُ مِثْلِ ذَا الْغُرَابِ عَلَى ... مَنَصَّةِ الْحُكْمِ مِنَ الْجُرْمِ
وَهُوَ فِي سِلْكِ الْقَضَا وَصْمَةٌ[3] ... أَعَاذَنَا[4] اللهُ مِنَ الْوَصْمِ
* وَهْوَ عَلَى الدِّينِ غَدَا سُبَّةً ... وَحُجَّةً لِلطَّاعِنِ الْخَصْمِ
* سُلُّوا عَلَيْهِ سَيْفَ عَدْلِ الْقَضَا ... وَطَهِّرُوا الدِّينَ مِنَ الْفَدْمِ
* يَنْقَادُ بِالدِّرْهَمِ أَوْ بِالْعَصَا ... كَمَا تُقَادُ الْخَيْلُ بِاللَّجْمِ
* فَالْعَقْدُ حِلٌّ عِنْدَهُ إِنْ بَدَا ... مَالٌ فَلَا يُبْقِي عَلَى رَسْمِ
* وَيُرْغِمُ الْعَدْلَ عَلَى نَقْضِهِ ... ثُمَّ عَلَى الْجُحُودِ وَالْكَتْمِ
* وَكُلُّ أُمَّةٍ قَضَى بَيْنَهَا ... تُسَاقُ لِلْإِفْلَاسِ وَالْغُرْمِ

---

(١) في «السلفية الوهابية»: «قومي».

(٢) في «السلفية الوهابية»: «أفلال»! والمعنى لا يستقيم، ووزن صدر البيت مكسور، والتصحيح من (بو خبزة)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي» دون (الواو)، وأُثبت بالقلم.

(٤) بدلها في «السلفية الوهابية»: «بَرَّاك»! والوزن لا يستقيم بها.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

* وَهْـــوَ عَـــلَى عِلَّاتِـــهِ، مُفْلِـــسٌ يَـــشْكُو مِـــنَ الْإِمْـــلَاقِ وَالْعَـــدَمِ

* * *

[شِعْر في خضاب الشَّعْر بالسواد][1]

[١٤١] وقلتُ حين لامني الحاج طه الفياض[2] في خضاب الشعر بالسواد[3]

---

(١) البيتان في فتاويه المسماه: «العيون الزلالية» (٢/ق٣٩٧) ضمن جواب مؤرخ في ٧/ ٢/ ١٣٩٥، وقبلها: «وفي ذلك قلتُ منذ زمن»، ثم وجدتُهما في مقالتين للهلالي:

الأولى: مقالة (أهل الحديث أبو بكر الصديق رضي الله عنه)؛ المنشورة في مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، السنة السابعة، العدد (٨٠)، شعبان ١٣٩١هـ - ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٩٧١م، (ص ٥٠-٥٧)، وفي مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة السادسة، العدد الثالث، بتأريخ صفر ١٣٩٥هـ - مارس ١٩٧٥م، (ص ١٥-٢٥)، قال: «والكتم: هو الذي يُسمَّى بـ(الوسمة)، وقد قلتُ في ذلك شعرًا. . .»، وساق البيتين.

والأُخرى: مقالة (أهل الحديث عمر بن الخطاب)؛ المنشورة في مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، السنة السابعة، سنة ١٣٩١هـ، (ص ٥٢-٥٣)، وقال قبلهما: «وقلتُ في ذلك شعرًا. . .»، وساقهما.

(٢) محمد طه الفياض، ولد سنة ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م، متأدب، له عمل في الصحافة، أنشأ جريدة «السبيل» و«الفجر الجديد»، وتحوّلت إلى «صدى الشبان المسلمين»، بينه وبين الهلالي علاقات قوية، ومناصرة جيدة؛ انظر «شهور في ديار الغرب . .» (١٩٢-١٩٣، ١٩٩، ٢٠١، ٢١٥، ٢٢٥، ٢٢٦)، ولفياض اشتغال في السياسة، من أهل عانة في العراق، من كتبه المطبوعة «الإعصار الشديد في تفنيد سياسة نوري السعيد» و«صولة الحق على جولة الباطل» و«عدوان الإنكليز على واحة البريمي» و«كيف تحارب الشيوعية» و«اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية»، توفي سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، رحمه الله تعالى؛ ترجمته في «معجم المؤلفين العراقيين» (٣/ ١٩٨)، و«الإعلام» (٦/ ١٧٦)، وانظر المقطع رقم (١٥١) من هذا «الديوان».

(٣) الراجح منع الخضاب بالسواد، وللشيخ مقبل الوادعي -رحمه الله- رسالة مفردة في تقرير هذا الحكم، مع الأدلة عليه، وهي منشورة بعنوان: «تحريم الخضاب بالسواد».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

ببغداد نحو سنة ١٣٦٧هـ [البحر البسيط]:

إِنِّي لَأَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ ... أَقْفُو بِذَلِكَ خَيْرَ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

مُحَمَّدًا وَأُنَاسًا مِنْ صَحَابَتِهِ ... كَانُوا مَصَابِيحَ تَجْلُو دَاجِيَ الظُّلَمِ

***

[مدح الملك عبد العزيز آل سعود][1]

[١٤٢] في نحو ١٣٤٥هـ قرأتُ في «المنار» مقالاً لأحد علماء بلاد فارس التي تدعَى اليوم إيران؛ أثبتَ في هذا المقال بالبراهين القاطعة أن البناء على القبور مُحرَّمٌ عند أئمة آل البيت الذين ينتسب إليهم الشيعة الاثنا عشرية؛ فكتبتُ إلى مجتهدهم في البصرة ونواحيها الشيخ مهدي القَزْويني، وذكرتُ له الأحاديث التي استدل بها صاحب المقال على تحريم البناء على القبور من رواية الشيعة.

فأجابني برسالة مطولة لم يستطع أَنْ يُنكر فيها شيئًا من تلك الأحاديث، لكنه عمد إلى تحريفها، وشتم صاحب «المنار» وصاحب المقال، وتملق لي أنا، وسألني أَنْ أحكم

---

(١) «الدعوة إلى الله» (ص ١٥٩-١٦٠)، وقال قبل ذكره الأبيات: «لمَّا استقررتُ في المملكة السعودية أَعَدْتُ تأليفَ الكتاب بأسلوب أخشن، وقدمته للملك عبد العزيز -رحمة الله عليه- هديةً، وأنشدته في ذلك القصيدة التالية جالسًا إلى جنبه؛ فلم يعِبْ عليَّ ذلك لا هو، ولا أحدٌ من جلسائه، وذلك برهان قاطع على تواضعِهِ، واختياره سلوك أمراء السلف؛ فلا غرابة أَنْ رَفَعَ اللهُ قدره، ومكَّن له في الأرض، حتى أنشأ دولة عظيمة عصرية على أنقاض الدولة السعودية التي قضى عليها آل رشيد، كما شهدَتْ بذلك إذاعةُ لندن، وهذه القصيدة من بحر الكامل».

وما بين الهلالَيْنِ من الشِّعْر في أول كتاب المصنف «القاضي العدل في حكم البناء على القبور» (ص ٤-٥)، والأبيات في «مناظرتان بين رجل سني وهو محمد تقي الدين الهلالي وإمامين مجتهدين شيعيين» (ص ١٥).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

بينهم وبين «المنار»؛ فألفتُ كتابًا سميته: «القاضي العدل في حكم البناء على القبور»، وحكمتُ لصاحب «المنار» على الشيعة بمقتضى نصوص رواياتهم، إلَّا أنني ألنتُ العبارة، كما تقتضيه المحاورة، وبعثتُ الرسالة إلى السيد رشيد -رحمه الله-؛ فنشرها في «المنار» في سبع مقالات في أجزاء متوالية(١).

ثم سافرتُ إلى المملكة السعودية بقصد الإقامة فيها؛ فأعدتُ النظر في «القاضي العدل»، وخشَّنْتُ عباراته؛ إذْ لم أكن مضطرًا إلى مداراة الشيعة وأنا في المملكة السعودية، وقدَّمتُ الكتاب بشكله الثاني إلى الملك عبد العزيز؛ فأمر بطبعه.

وبَلَغَني أن السيد مهدي القزويني بعدما اطلع على هذا الكتاب ألَّف كتابًا في الردِّ عليه، ولم أطلع عليه، وتَرْك الخشونة في العبارة أولى؛ لأن الحكم إذا كان معتمدًا على البراهين لم تحتج إلى كلام جافٍ، وإنْ ضعف دليله لم يزده الجفاء إلَّا ضعفًا!

فإنْ قلتَ: إذا كان الأمر كذلك عندك؛ فلماذا أقذعتَ في الهجاء، وملأتَ «ديوانك» بالجرح والطعن حتى جعلت نشره متعذِّرًا؟!

فالجواب: إنني أفضِّل التزام الأدب في المناظرة إذا كان الخصم ملتزمًا له، وأما إذا بدأ بالظلم والشتم والقذف والطعن؛ فجزاء سيئة سيئة مثلها(٢)، ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ

---

(١) قال الهلالي في «الدعوة إلى الله»: «وكان ذلك في أغلب الظن سنة ١٣٤٤هـ».

قال أبو عبيدة: نشرت (الحلقة الأولى) من (المقالات السبع) في مجلة «المنار» المصرية، بتأريخ ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٥هـ -وليس سنة ١٣٤٤هـ- الموافق ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٧، في (المجلد الثامن والعشرين)، الجزء الأول.

وأما (الحلقة السابعة)؛ فتأريخها ٣٠ رمضان ١٣٤٦هـ الموافق ٢٢ مارس سنة ١٩٢٨، في (الجزء الأول) من (المجلد التاسع والعشرين) من المجلة نفسها، ثم رأيتُها -من قريب- منشورة في مجيليد، عن دار التوحيد، الرياض، وهي في كتابي «مقالات الهلالي»؛ يسر الله نشره بخير وعافية.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠].

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

﴿بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ [النساء: ١٤٨]، وهذا شأني مع كل مَن هجوتُهُ.

وهذا ما قلتُه في اهداء الكتاب إلى الملك عبد العزيز بن سعود، وأنشدتُها جالسًا إلى جنبه؛ فلم يعِبْ عليَّ ذلك، لا هو ولا أحدٌ من جلسائه، من بحر الكامل:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي سَعِدَتْ بِهِ ... أَرْجَاءُ مَكَّةَ وَالْحَطِيمُ وَزَمْزَمُ

وَكَسَى الْإِلَهُ بِهِ بِلَادَ الْعُرْبِ ثَوْ ... بَ أَمَانَةٍ فَغَدَتْ بِهِ تَتَنَعَّمُ

وَأَشَاعَ نُورَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ فِي ... أَرْجَائِهَا وَالْجَهْلُ فِيهَا مُظْلِمُ

وَغَدَتْ بِحِكْمَتِهِ أَهَالِيهَا وَهُمْ ... بَعْدَ الْعَدَاوَةِ فِي إِخَا لَا يُصْرَمُ

كَانَ التَّقَاطُعُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ ... حَتَّى الْقَرِيبُ قَرِيبَهُ لَا يَرْحَمُ

وَالْبَغْيُ وَالْعُدْوَانُ شِيمَتُهُمْ وَهُمْ ... شَتَّى الْعَقَائِدِ شِرْكُهُمْ مُسْتَحْكِمُ

مَا عِنْدَهُمْ مِنْ حُرْمَةٍ لِلشَّرْعِ بَلْ ... طَاغُوتُهُمْ بِالْجَهْلِ فِيهِمْ[1] يَحْكُمُ

قَطْعُ الطَّرِيقِ وَقَتْلُ سَالِكِهِ[2] لَهُمْ ... خِيمٌ وَخِيمٌ عِنْدَهُمْ لَا يَحْرُمُ

شَنُّ الْإِغَارَةِ دَأْبُهُمْ وَطَعَامُهُمْ ... وَشَرَابُهُمْ مِنْهُ وَبِئْسَ الْمَطْعَمُ

فَغَدَوْا تُقَاةً صَالِحِينَ وَخَوْفُهُمْ ... لِلَّهِ لَيْسَ يُزَالُ دَوْمًا يَعْظُمُ

بِسِيَاسَةِ الْمَلِكِ الْإِمَامِ[3] الْمُرْتَضَى ... عَبْدُ الْعَزِيزِ الْفَارِسُ الْمُسْتَلْئِمُ

هَذِي الْكَرَامَاتُ الْعِظَامُ حَقِيقَةً ... لَا مَا يَقُولُ مُشَعْوِذٌ يَتَوَهَّمُ

---

(١) في «السلفية الوهابية بالمغرب» (٢٩): «فيهم بالجهل»!

(٢) في «السلفية الوهابية بالمغرب»: «مالكه»!

(٣) تكررت في «منحة الكبير المتعالي» مرتين، وضرب (بو خبزة) على الثانية منهما بالقلم.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

(هَـذَا هُـوَ الْقُطْـبُ الْكَبِـيرُ دِيَانَـةً ... وَشَـجَاعَةً وَعَدَالَـةً إِذْ يَـحْكُمُ

قُطْـبُ الـسِّيَاسَةِ وَالْـمَكَارِمِ وَالْعُـلَا ... حَامِي الْـحَقِيقَةَ فِـي الْـوَغَى لَا يُـحْجِمُ

يَلْقَـى الْعُـدَاةَ إِذَا الْـجُيُوشُ تَلَاطَمَـتْ ... أَمْوَاجُهَـا مُسْتَبْـشِرًا يَتَبَـسَّمُ

يَلْقَـى الْوُفُـودَ وَوَجْهُـهُ[1] مُتَهَلِّـلٌ ... رَائِيـهِ مُغْتَـبِطٌ بِـهِ مُتَـنَعِّمُ

لَا يَقْـرُبُ الْحُـزْنُ امْـرَأً فِـي قُرْبِـهِ ... وَيُـحَيِّرُ الْأَلْبَـابَ إِذْ يَـتَكَلَّمُ[2]

بِطَلَاقَـةٍ وَبَلَاغَـةٍ عَرَبِيَّـةٍ ... مَـا شَانَـهَا حَـصْرٌ وَلَا مُتَلَعْـثَمُ

يَـا أَيُّـهَا الْـمَلِكُ الَّـذِي بِلِوَائِـهِ ... نَـصْرٌ وَفَـتْحٌ حَيْـثُمَا يَتَـيَمَّمُ

عَبْـدُ الْعَزِيـزِ بْـنُ الـسُّعُودِ إِمَامُنَـا ... وَإِمَـامُ مَـنْ هُـوَ فِـي الْـحَقِيقَةِ مُسْلِمُ

ذَا الْجُـزْءُ أَرْفَعُـهُ إِلَيْـكَ هَدِيَّـةً ... وَلَأَنْـتَ أَفْـضَلُ مَـنْ إِلَيْـهِ يُقَـدَّمُ

أَلَّـفْتُهُ رَدًّا عَـلَى شَـيْخِ الـرَّوَا ... فِـضِ بِالْأَدِلَّـةِ مُـبْطِلاً مَـا يَـزْعُمُ

زَعَـمَ الْبِنَـاءَ عَـلَى الْقُبُـورِ وَقَـصْدَهَا ... مِـنْ كُـلِّ أُفْـقٍ لِلـدُّعَا لَا يَـحْرُمُ

هَـذَا وَدُمْ شَمْـسًا لِـهَذَا الـدِّينِ فِـي ... أَوْجِ الـسَّعَادَةِ بِالْـمَكَارِمِ تُـنْعِمُ[3]

* * *

(١) في «الدعوة إلى الله»: «ووجه».

(٢) هذا البيت والثلاثة التي بعده من مقدمة «القاضي العدل» (٤-٥)، وليست في «منحة الكبير المتعالي»، ولا في كتاب «الدعوة إلى الله» و«مناظرتان...».

(٣) زاد بعدها في كتابه «الدعوة إلى الله»: «فتقبَّله بأحسن قبول، وأمر بطبعه؛ فأخذه رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن -رحمه الله- وسلَّمه إلى الشيخ ماجد الكردي مدير المعارف؛ فطبع منه ألف نسخة، ووزعت».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[أبو غالب الغطريف بحر المكارم][1]

(١) نشرت في جريدة «الريف» في العدد الخاص بالذكرى الأربعينية لوفاة الأمير شكيب أرسلان، السنة (١١)، العدد (٥١٨)، الأربعاء ٦ ربيع الأول عام ١٣٦٦هـ - ٢٩ يناير ١٩٤٧م، (ص ٤)، بجعل البيت الأول منها عنوانًا لها، وفيها: «القصيدة الرائعة التي ألقاها يوم الذكرى الأستاذ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي».

ونشرت في مجلة «لسان الدين»، السنة الأولى، الجزء الثامن والتاسع، ربيع الأول وربيع الثاني ١٣٦٦هـ - فبراير ومارس ١٩٤٧م، (ص ٢٦-٢٩)، بعنوان: (قصيدة رئيس تحرير هذه المجلة)، وكُتِبَ بعد القصيدة ما نصُّه:

«نشرت هذه القصيدة وغيرها من المقالات في جريدة «الريف» في جزء خاص بتأبين الأمير شكيب أرسلان، صدر بتطوان، في يوم الأربعاء ٦ ربيع الأول عام ١٣٦٦هـ، وها نحن نعيد نشرها هنا؛ ليطلع عليها مَن لا تصل إليه الصحيفة المذكورة من القُرَّاء».

وهي في كتاب «ذكرى الأمير شكيب أرسلان؛ المراثي، وحفلات التأبين، وأقوال الجرائد»، صنفها ووقف على طبعها محمد علي الطاهر (ط. القاهرة، سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م)، (ص ٣٢١ - ٣٢٢)، ولهذا الشعر خبر، ذكرَهُ الهلالي في كتابه «الدعوة إلى الله تعالى» (ص ٨٦)، ومن خلاله تعرفتُ على مصدر هذا الشعر، وهذا نص كلام الهلالي -رحمه الله تعالى-، قال بعد أنْ ذكر إيداعه في السجن بسبب أمره بالمعروف وحثه على التمسك بالسنة:

«وفي تلك الأيام كان المجاهد العظيم أمير البيان شكيب أرسلان قد توفي إلى رحمة الله؛ فأردتُ أنْ أنظم قصيدةً في رثائه، وطلبتُ أداةَ كتابةٍ، فلم يأذَنْ بذلك الأمير؛ فأخذت أنظم القصيدة بدون كتابة بيتًا فبيتًا، حتى أكملتُهَا ستة وعشرين بيتًا؛ لأنشدها في يوم تأبينه -إنْ أطلق سراحي-، أو أبعثها لتنشد في ذلك اليوم -إنْ بقيت في السجن-؛ فقضى الله -سبحانه- أنْ أخرج من السجن، وأحضر يوم التأبين، وأُنشدها فيه.

ولم أرَ مناسبةً لذكرها هنا؛ لأنها لا تتعلق بالدعوة، وقد نقلها المجاهد الكبير محمد علي الطاهر في كتابه «ذكرى الأمير شكيب أرسلان»؛ فليرجع إليه مَن شاء الاطلاع عليها».

ثم ظفرتُ بهذه القصيدة ضمن أصل خطي من مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون، وفي أولها: «نظم للنابغة الدكتور الهلالي: . . .»، ثم سردها.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[١٤٣] وبينما أنا في السجن الذي تقدَّم[١] ذكره في شَفْشَاون، بلغني خبر وفاة الأمير شكيب أرسلان -رحمة الله عليه-، وكان لقائي له ومعرفتي به وصحبتي له من أفضل ما أدركته في حياتي.

وقد ذكرتُ قليلاً من ذلك في مقالٍ نُشِرَ في كتاب «ذكرى الأمير شكيب أرسلان» الذي ألَّفه الأستاذ محمد علي الطاهر[٢]، وهو من أخلص المحبين والأنصار للأمير شكيب، ومن رفقائه في الجهاد، ومن الأصدقاء الأوفياء ذوي الشجاعة والمروءة، ولكنَّ صلابة عوده وبعده عن التملق والنفاق ضيَّق عليه الأرض، وأَوْصَدَ في وجهه أبواب الجهاد والعمل المثمر الذي كان يقوم به حين كان يحرر جريدة «الشورى» في القاهرة، وكان مكتبه دار ندوة للعظماء والأفاضل من أهل البلاد الإسلامية والعربية.

فأردتُ أَنْ أنظم قصيدةً أُعبِّرُ بها عمَّا ألَمَّ بي من الحزن والألم؛ فطلبتُ من المكلف بسجني الإذن في طلب القرطاس والقلم؛ فأبى!

فجعلتُ أنظم وأحفظ ما نظمته بيتًا بعد بيتٍ، ولمَّا خرجتُ من السجن قيدتُ ما نظمته، وألقيتُ القصيدة في احتفالٍ أقامه الأستاذ الزعيم عبد الخالق الطُّرَيْس في داره بسبب وفاة الأمير شكيب أرسلان، وهذه هي القصيدة، من **بحر الطويل**[٣]:

أَلَا بَكَّـرَ النَّـاعِي بِخَـيْرِ الْأَكَـارِمِ ... أَبِـي غَالِـبِ الْغِطْرِيـفِ بَحْـرِ الْـمَكَارِمِ[٤]

لَـهُ اهْتَـزَّتِ الْأَسْـلَاكُ فِـي كُـلِّ بَلْـدَةٍ ... وَعَـمَّ الْأَسَـى فِـي عُرْبِـهَا وَالْأَعَـاجِمِ

---

(١) في مقطع رقم (٢١).

(٢) حيَّاه الهلالي بشعر يأتي في مقطع (١٥١)، وفي التعليق عليه إشارة لمقالة للهلالي في مدحه.

(٣) «نشرت في مجلة «لسان الدين» وغيرها». (بو خبزة).

(٤) سقط هذا البيت الأول من كتاب «ذكرى الأمير شكيب أرسلان».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَلَا قَلْبَ إِلَّا وَهْوَ بِالْحُزْنِ مُفْعَمٌ ... وَلَا عَيْنَ إِلَّا قَدْ بَكَتْ بِالسَّوَاجِمِ

فَقَدْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ وَالْعُرْبِ حُجَّةً ... يُدَافِعُ عَنْهُمْ كُلَّ بَاغٍ وَظَالِمِ

سَوَاءٌ لَدَيْهِ، أَهْلُ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ... وَمَنْ كَانَ فِي نَجْدٍ وَمَنْ فِي التَّهَائِمِ

سَوَاءٌ لَدَيْهِ، خَامِلٌ مُتَوَاضِعٌ ... وَآخَرُ ذُو كِبْرٍ[1] كَثِيرُ التَّعَاظُمِ

وَكَانَ حَلِيمًا فِي التَّوَاضُعِ آيَةً ... وَلِلضُّعَفَا مِنْ قَوْمِهِ، خَيْرَ رَاحِمِ

رَفِيقًا عَلَى الْأَدْنَى شَدِيدًا عَلَى الْعِدَا ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ لِلْقَرِينِ الْمُخَاصِمِ

وَكَانَ يَقُولُ الْحَقَّ لَا مُتَهَيِّبًا ... وَلَا خَائِفًا فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمِ

وَذَا قَلَمٍ لَا يَبْلُغُ السَّيْفُ شَأْوَهُ، ... لِأَعْدَائِهِ، مِنْهُ، سَمُومُ الْأَرَاقِمِ

إِذَا صَرْصَرَتْ فَوْقَ[2] الطُّرُوسِ شَبَاتُهُ، ... تَخَالُ زَئِيرًا لِلْأُسُودِ الضَّرَاغِمِ

وَيَشْرُقُ نُورٌ يَمْلَأُ الْأَرْضَ وَالسَّمَا ... بِإِشْرَاقِهِ، يَمْحِي ظَلَامَ الْمَظَالِمِ

بَلَاغَتُهُ، فِي الشَّرْقِ قَدْ طَارَ صِيتُهَا ... وَفِي الْغَرْبِ سَلْ عَنْهَا جَمِيعَ الْأَعَاظِمِ

لَهَا أَذْعَنَ الْكُتَّابُ مِنْ[3] كُلِّ أُمَّةٍ ... وَقَدْ بَايِعُوهُ، فِي جَمِيعِ الْأَقَالِمِ

مَلِيكًا عَلَى عَرْشِ الْبَيَانِ مُتَوَّجًا ... إِذَا[4] قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِعَالِمِ

---

(١) في مطبوع «ذكرى الأمير»: «كبو»!

(٢) في مطبوع «ذكرى الأمير»: «فرق»!

(٣) كذا في «منحة الكبير المتعالي»، و«لسان الدين»، وفي «الريف» و«ذكرى الأمير»: «في».

(٤) في مطبوع «ذكرى الأمير»: «إذ»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَفِي الصُّحْفِ قَدْ[١] أَبْدَى عُقُودَ جَوَاهِرٍ ... فَأَزْرَتْ[٢] بِدُرٍّ فِي نُحُورِ النَّوَاعِمِ

وَسَارَتْ كَسُكْرِ الْخَمْرِ أَوْ سِحْرِ بَابِلٍ ... تَهِيمُ بِهَا الْأَلْبَابُ مِنْ كُلِّ فَاهِمِ

وَكَانَ لِلاسْتِعْمَارِ فِي الْحَلْقِ غُصَّةٌ ... فَكَمْ قَدْ سَقَى أَصْحَابَهُ مِنْ عَلَاقِمِ

يَشِنُّ عَلَيْهِمْ غَارَةً بَعْدَ غَارَةٍ ... فَيَفْضَحُ مَا يُخْفُونَهُ مِنْ جَرَائِمِ

فَذَاكَ الَّذِي أَبْدَى مَخَازِي فَرَنْسَةٍ ... وَطُغْيَانَ رُومَا فِي جَمِيعِ الْعَوَالِمِ

لَهُ الدُّوَلُ الْعُظْمَى أَعَدَّتْ جُهُودَهَا ... فَحَارَبَهُمْ حَتَّى انْثَنَوْا بِالْهَزَائِمِ

وَكَمْ سَخَّرُوا مِنْ أُمَّةِ الْعُرْبِ مَعْشَرًا ... فَكَانُوا عَلَيْهِ[٣] مَعْهُمُ فِي الْمَلَاحِمِ

وَلَكِنَّهُمْ بَارُوا جَمِيعًا وَخَلَّفُوا ... مَخَازِيَ تُرْوَى عَنْهُمُ فِي الْمَوَاسِمِ

وَلَمْ يُلْهِهِ مَالٌ وَلَا مَنْصِبٌ عَلَا ... وَقَدْ فَارَقَ الْأَوْطَانَ فُرْقَةَ حَازِمِ

أَقَامَ بِأَرْضِ الْغَرْبِ عِشْرِينَ حَجَّةً ... وَتِسْعًا مُثِيرًا ضَجَّةً فِي الْعَوَاصِمِ

(وَلَيْسَ شَكِيبٌ هَلْكُهُ هَلْكُ وَاحِدٍ ... وَلَكِنْ)[٤] تَدَاعَى صَرْحُ قَوْمِي الْأَكَارِمِ

سَيَبْكِي عَلَيْهِ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنَّدَى ... وَنَصْرٌ لِمَظْلُومٍ وَكَبْحٌ لِظَالِمِ

---

(١) في «الريف» و«ذكرى الأمير» و(أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون): «كم»، والمثبت من «منحة الكبير المتعالي»، وهو كذلك في «لسان الدين».

(٢) كذا في «منحة الكبير المتعالي» وفي مجلة «لسان الدين»، وفي باقي المصادر: «فازرت»!

(٣) في مطبوع «الريف» و«ذكرى الأمير»: «عليهم»!

(٤) الهلالان من «منحة الكبير المتعالي» و«لسان الدين»، ومن هنا إلى نهاية القصيدة ليس في (أصل مكتبة أحمد بن عبد السلام هارون).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَيَبْكِي عَلَيْهِ النُّبْلُ وَالطُّهْرُ وَالْإِبَا ... بُكَاءَ الثَّكَالَى فِي جُمُوعِ الْمَآتِمِ[1]

وَتَبْكِي عَلَيْهِ غَيْرَةٌ مُضَرِيَّةٌ ... كَمَا نَاحَتِ الْوَرْقَاءُ بَيْنَ الْحَمَائِمِ

عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ... سَحَائِبُ رِضْوَانٍ كَثِيرٍ وَدَائِمِ[2]

* * *

[هجو الأستاذ سليم]

[١٤٤] وقلتُ في أستاذٍ أُطْلِقَ عليه لقب دكتور دون أن يدخل الامتحان، أو يحصل شهادة، وكان ضعيفًا في مادته الأساسية وهي العربية، ورقيق الدين، أو لا دين له، تصادمتُ معه في بعض الاجتماعات للمباحثة في شأن الدروس، وكان هلوعًا يقتنص المحاضرات الإضافية من جميع الكليات، ويقضي الوقت مع الطلاب في قيل وقال، ويجمع الأموال.

ولم أُطْلِعْ على هذه القصيدة إلَّا قليلاً من الأصدقاء، ولكني منذ نظمتُها أخذ يحترمني، ويبتعد من طريقي، ولا يكاد يعارضني، حتى أني هجمتُ عليه مرة؛ فقابلني بمسالمة، ومن أجل ذلك بقيَتْ هذه القصيدة مطوية لم تنشر!

والآن؛ أثبتُها هنا ليطلع عليها مَن شاء الله، وهذه هي القصيدة، وهي من بحر الطويل[3]، في بغداد سنة ١٩٥٥م:

أَسَلِيمُ قَدْ أَخْطَأْتَ سُبْلَ سَلَامَةٍ ... مُذْ صِرْتَ تَلْمِزُنِي وَأَنْتَ ذَمِيمُ

أَوَ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ لَحْمِيَ عَلْقَمٌ ... مُسْتَوْبَلٌ مُسْتَوْخَمٌ مَسْمُومُ

---

(١) في مطبوع «الريف»: «المآثم»!

(٢) هذا البيت الأخير في مطبوع «لسان الدين» دون «الريف» و«ذكرى الأمير».

(٣) بل من بحر الكامل، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

يَـشْجَى بِـهِ الْـمُغْتَابُ لَـيْسَ يَـسِيغُهُ ... حَتَّـى يَغُـصَّ وَيُفْلَـقَ الْبَلْعُـومُ

قَـدْ صِرْتَ تَرْمِينِـي بِـدَائِكَ جَـاهِلاً ... وَغَـدَوْتَ مِـنْ وَادِي الـضَّلَالِ تَهِـيمُ

كَـمْ أَرْعَـنٍ يَـسْعَى لِـيَكْلِمَ بِالْـخَنَا ... عِـرْضَ الْـبَرَاءِ وَعِرْضُـهُ مَكْلُـومُ

إِنْ كَـانَ بَيْتُـكَ مِـنْ قَـوَارِيرَ[1] غَـدًا ... يُـضْحِي بِـأَدْنَى الرَّمْـيِ وَهْـوَ هَـشِيمُ

وَحَـذَفْتَ قَرْنَـكَ بِالْـحِجَارَةِ بَيْتَـهُ ... تُـمْنَى بِخُـسْرَانٍ وَأَنْـتَ مُلِـيمُ

الْـجَهْلُ دَاؤُكَ لَـنْ تَـرَى لَـكَ مِـنْ دَوَا ... وَلِـسَانُ يَعْـرُبَ أَنْـتَ فِيـهِ يَتِـيمُ

لَا نَحْـوُ لَا صَرْفٌ وَلَا فَهْـمٌ وَلَا ... لُغَـةٌ وَلَا نَثْـرٌ وَلَا مَنْظُـومُ

نَامَـتْ نَـوَاطِيرُ الْـمَعَارِفِ نَوْمَـةً ... فَغَـدَا ثُعَالَـةُ[2] فِـي الْـجِنَانِ يَـسُومُ

وَزَعَمْـتَ أَنَّـكَ لِلْعُلُـومِ مُـدَرِّسٌ ... إِفْكًـا وَأَنْـتَ مُهَـوَّسٌ مَـشْئُومُ

حَتَّـى الـشَّهَادَةَ قَـدْ يُقَـالُ تَعَـوَّذَتْ ... بِحِمَـى الظَّـلَامِ فَـسِرُّهَا مَكْتُـومُ

أَسَـلِيمُ وَيْلَـكَ فِـي قَـوَافٍ سُـدِّدَتْ ... مَهْـمَا تُـصِبْكَ تَـؤُبْ وَأَنْـتَ سَـلِيمُ

مَـا أَنْ تَـرَى لَـكَ وَاقِيًـا مِـنْ لَـسْعِهَا ... فَبِلَـسْعِهِنَّ[3] دَوَاؤُهُ مَعْـدُومُ

إِنَّ الْقَوَافِـي إِنْ تُـسَاوِرُ قَاسِـطًا ... مُتَهَـوِّرًا فَتَبَابُـهُ مَـحْتُومُ

* * *

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «قوارر»!

(٢) «ثُعَالَة: علم جنس للثعلب»؛ انظر «المعجم الوسيط» (٩٦)، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «فلسعهن»! ووزن العجز يستقيم بالتعديل الذي أجريته، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[هجو بريطانيا]

[١٤٥] وقلتُ في زمان الحرب في هجو بريطانيا، وكانت إذاعتها تدَّعي التَّمسُّك بالدِّين، وأنَّها تقاتل لتحرير العالم، وترمي أعداءها بالكفر والاستبداد؛ فنظمتُ هذه القصيدة مرتبة على حروف قوله تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]، وكان ذلك في سنة ١٩٤١م.

وقد وجدتُ في المسودة سبعة أحرف بلا أبيات، وسأحاول نظم أبيات تملأ الفراغ ولا أظنها تكون بليغة؛ لأني لا أشعر الآن بما كنتُ أشعر به في ذلك الوقت؛ لأني مُسالم لبريطانيا، وهي [من][(١)] **بحر البسيط:**

قُـلْ لِلَّـذِينَ لِنَـصْرِ الـدِّينِ قَـدْ قَـامُوا ... بِـزَعْمِهِمْ وَعَـلَى عُدْوَانِـهِمْ دَامُـوا

لَا تَطْمَعُـوا فِـي خِـدَاعِ النَّـاسِ مَـخْرَقَةً ... فَهَـلْ تَظُنُّـونَ أَنَّ النَّـاسَ أَنْعَـامُ

بِـضَرْبِهِمْ لِنَـوَاقِيسٍ صَـبَاحَ مَـسَا ... وَزَمْـرِهِمْ وَأَنَاشِـيدٍ بِـهَا هَـامُوا

يَـا وَيْلَهُـمْ إِذْ غَـوَوْا وَبِالْغِنَـاءِ عَـوَوْا ... وَوَعْظُهُـمْ[(٢)] كُلُّـهُ لَغْـوٌ وَأَوْهَـامُ

سَـارَتْ بِبَغْـيِهِمُ الرُّكْبَـانُ وَاشْـتَهَرَتْ ... مِـنْ غَـيِّهِمْ فِـي بِقَـاعِ الْأَرْضِ أَجْـرَامُ

مَـا بِالرُّسُـومِ يَقُـومُ الـدِّينُ وَيْلَكُـمُ ... لَكِـنْ بِـهِ يُتَّقَـى شَرٌّ وَآثَـامُ

إِنَّ افْتِخَـارَكُمُ بِالـدِّينِ مَنْقَـصَةٌ ... لَـوْ كَـانَ عِنْـدَكُمُ صِـدْقٌ وَأَحْـلَامُ

---

(١) زيادة بقلم (بو خيزة).

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «وَوَعْظُهُ»، ولا إشكال وزنًا مع إشباع حركة الهاء، لكن الخطاب موجَّهٌ للجماعة كما هو ظاهر قبل هذا البيت وأثناءه وبعده؛ وبالتعديل الذي أجريته يبقى الوزن مستقيمًا، ويجري الخطاب للجماعة؛ فتنسجم الألفاظ -من قبلُ ومن بعدُ- معًا، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

يَنْهَوْنَ عَنْ ظُلْمِ أَهْلِ الضَّعْفِ مَرْحَمَةً ... وَهُمْ لِمِثْلِهِمُ فِي النَّاسِ ظُلَّامُ

أَحْلَلْتُمُوهُ بِأَرْضٍ تَحْكُمُونَ بِهَا ... وَقُلْتُمُ فِي سِوَاهَا ذَاكَ إِجْرَامُ

مَاذَا قَرَأْتُمْ بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ أَمَا ... رَأَيْتُمُ مَثَلاً فِيهِ لَكُمْ ذَامُ

رُبَّ امْرِئٍ يُبْصِرُ الْقَذَى بِعَيْنِ أَخٍ ... لَهُ وَفِي عَيْنِهِ مِنْ ذَاكَ أَجْرَامُ

كَمْ مِنْ شُعُوبٍ مِنَ الْمُسْتَعْمَرِينَ شَكَتْ ... مِنْ بَغْيِكُمْ مَسَّهَا ضُرٌّ وَآلَامُ

مَا الدِّينُ ضَرْبُ نَوَاقِيسٍ صَبَاحَ مَسَا ... مَعَ النَّشِيدِ الَّذِي زَانَتْهُ أَنْغَامُ

بَلِ التَّدَيُّنُ نَشْرُ الْعَدْلِ فِي أُمَمٍ ... مَهْضُومَةٍ عَضَّهَا جُوعٌ وَأَسْقَامُ

هَذَا الَّذِي يَأْمُرُ الدِّينُ الْقَوِيمُ بِهِ ... إِنْ كَانَ فِي الدِّينِ إِحْسَانٌ وَإِسْلَامُ

إِنْ كَانَ غَرَّكُمُ نَوْمُ الشُّعُوبِ عَلَى ... ضَيْمٍ فَكَمْ نُوَّمٌ بَعْدَ الْكَرَى قَامُوا

يَا مُعْلِنِينَ هُدًى وَمُضْمِرِينَ رَدًى ... وَمُغْرِقِينَ الْأُلَى فِي بَحْرِهِمْ عَامُوا

مَنْ كَانَ يَجْهَلُكُمْ يَوْمًا فَقَدْ ظَهَرَتْ ... لَهُ خَفَايَاكُمُ لَمْ يَبْقَ إِبْهَامُ

أَنْتُمْ ذِئَابٌ لَبِسْتُمْ لِلْوَرَى عَلَنًا ... مُسُوكَ ضَأْنٍ وَذَا مَكْرٌ وَإِيهَامُ

نَامَتْ بَنُو الصِّينِ دَهْرًا ثُمَّتَ ارْتَفَعَتْ ... فِي أَرْضِهِمْ لِلْعُلَى وَالْعِزِّ أَعْلَامُ

كَذَلِكَ الْأَنْدُنُوسِيُّونَ قَدْ رَقَدُوا ... بِالْأَمْسِ وَاسْتَيْقَظُوا مِنْ بَعْدِ مَا نَامُوا

مَنْ كَانَ يَدْعُو إِلَى دِينِ الْمَسِيحِ عَلَى ... حَقٍّ لَهُ فِي جَمِيعِ النَّاسِ أَرْحَامُ

إِنْ كَانَ وَاصِلُهَا فَالرِّبْحُ عَاقِبَةٌ ... لَهُ وَإِلَّا فَلِلْخُسْرَانِ يَعْتَامُ

نَسِيتُمُ أَنَّ حَبْلَ الْبَغْيِ مُنْصَرِمٌ ... وَالصُّبْحُ آتٍ وَلَوْ قَدْ طَالَ إِظْلَامُ

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

كَـأَنَّنِي بِكُـمُ قَـدْ تَـمَّ طَـرْدُكُمُ ... وَقَـدْ عَـرَاكُمْ بِـهِ خِـزْيٌ وَإِرْغَـامُ

نِمْـتُمْ عَـلَى الظُّلْـمِ بَغْيًـا آمِنِـينَ وَكَـمْ ... ثَعَالِـبٌ صَـكَّهَا فِـي النَّـوْمِ ضِرْغَـامُ

تَبْغُـونَ تَـدْبِيرَ شَـأْنِ النَّـاسِ كُلِّهِـمُ ... أَوْ أَوْصِـيَا[1] أَنْـتُمُ وَالنَّـاسُ أَيْتَـامُ

(مَا أَنْتُمُ الْحَكَمُ التُّرْضَى حُكُومَتُهُ)[2] ... وَهَـلْ يَكُـونُ مِـنَ الـذُّؤْبَانِ حُكَّـامُ

مَتَى رَعَى الضَّأْنَ ذِئْبٌ وَالْمَهَى أَسَدٌ ... لَـمْ يَبْـقَ ثَمَّـتَ أَبْقَـارٌ وَأَغْنَـامُ

إِنَّ التَّفَـرُّقَ دَاءٌ فِـي الـشُّعُوبِ غَـدَا ... يُذِلُّـهُمْ وَلِـبُرْجِ الْعِـزِّ هَـدَّامُ

[وَ]مَنْ [سَـ]يَظْلِمُ بَيْنَ النَّاسِ إِخْوَتَهُ[3] ... فَهْـوَ الـذَّلِيلُ إِذَا مَـا عَـزَّ أَقْـوَامُ

نُبِّئْـتُ أَنَّ شُـعُوبًا تَبْتَغِـي شَرَفًـا ... بِذِلَّـةٍ لِلْعِـدَا لَبِئْـسَمَا رَامُـوا

يَـا قَـوْمُ هَـلْ بِطَرِيـقِ الـذُّلِّ يَـبْلُغُكُمْ ... عِـزٌّ أَمَـا لَكُـمُ رَأْيٌ وَأَحْـلَامُ

نَـصَحْتُكُمْ[4] دُونَ مَـا أَجْـرٍ وَلَا طَمَـعٍ ... وَلَا أُبَالِـي إِذَا مَـا لَامَ لَـوَّامُ

[هجو دَاعٍ بَخِيلٍ للحج]

[١٤٦] وقلتُ في هجو أحد كبار أهل نجد في موسم الحج سنة ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م؛ وسبب هجوه أنه جاء مع الأمير سعود بن عبد العزيز -قبل أن يصير ملكًا- لزيارة العراق

---

(١) في «منحة الكبير المتعالي»: «أوصياء»! **قال أبو الفضل**: وما أثبته هو الصواب وزنًا، والله الموفق.

(٢) الهلالان منا، وهو من شعر الفرزدق؛ انظر (تخريج الاقتباسات الشعرية) رقم (٤١).

(٣) في «منحة الكبير المتعالي»: «من يظلم بين الناس إخوته»! **قال أبو الفضل**: بالزيادتين اللتين أضفتهما يستقيم الوزن، والله الموفق.

(٤) في الأصل: «نصحتم»! وصوبها (بو خبزة) في الهامش كالمثبت.

زيارةً رسميةً؛ فاجتمعتُ به في السفارة السعودية ببغداد في مأدبة عشاء التي أقامتها السفارة المذكورة، ودعَتْ إليها رئيسَ الوزراء نوري السعيد، وسائرَ الوزراء والأعيان من أساتذة الجامعة وغيرهم؛ فسألني: أتريد الحج في هذا العام؟ فقلتُ: لا.

فقال لي: أرجو أن تزورني في القصر الأبيض، وكان نازلاً فيه ضيفًا على الحكومة؛ فزرتُهُ، فلمَّا بلَّغه الشُّرَطيُّ جاء الإذن في الحين، وخرجنا إلى حديقة القصر؛ فجاءه أحد الحراس وأخبره أن مراسل صحيفة (تايمز) الإنكليزية وغيره من المراسلين يريدون لقاءه، فقال له: ليس عندي وقت الآن؛ فصلينا المغرب بعدما أمر بالزرابي؛ فأخرجت وبسطت على النجم[1] الأخضر، ودعا بالقهوة وتحدَّثنا طويلاً؛ فقال لي: إني أدعوك للحج على نفقتي، فقبلتُ، وكان معي ابني عبد المؤمن، فقال لي: وأنا أريد أن أرافقك إلى الحج؛ فإنِّي مشتاق إلى رؤية مكة؛ فقال له: وأنت أيضًا معه.

فلما قرب وقت الحج أرسل إليَّ أجرة الركوب في الطائرة، وكان قد قال لي: إذا وصلتَ إلى جُدَّة فكلِّمني بالتلفون، ونسيتُ أن أقول: إنه قال لي في المجلس الذي جلستُهُ معه بالقصر الأبيض في بغداد: أني أُسَرُّ كثيرًا بمجالستك والتَّحدُّثِ معك، وبعد انقضاء الحج نسافر إلى الطائف، ونقضي هناك وقتًا في محادثة أدبية.

فلما وصلتُ إلى جُدَّة؛ فلم يرسل أحدًا لاستقبالي؛ فنزلت في دار الوجيه الكريم الأستاذ السيد محمد نصيف، وأردتُ أن أكلِّمه بالتلفون؛ فلم يتيسَّر، فاتَّصلتُ به في الغد، فكلَّمني كاتبُهُ وأخبرني أن سيده أمره أن يحجز غرفة في الفندق؛ فجاء ونقلني بسيارته إلى الغرفة المذكورة، وبقيتُ أسبوعًا كاملاً أطلب لقاءه؛ فيقال: إنه مشغول!

وقد دعاني كاتبُهُ مرَّةً على مكتبه؛ فاجتمعتُ به لمدة قصيرة؛ فرأيتُ وجهًا غير الوجه الذي رأيتُهُ في بغداد؛ كاسفًا وكلامًا مريضًا؛ فندمت على إجابة دعوته، ولات حين مندم! ولم يعطني سيارة إلا أيام الحج الأربعة؛ فكنتُ أنفقُ على سيارات الأجرة كلَّ يوم

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: «الأنجل».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مقدارًا من المال، ودعاني مرَّةً إلى خارج جُدَّة بعد العشاء؛ فجلسنا ساعة، وكان كلامه أيضًا مريضًا متكلفًا؛ فوقع ببالي أن الملك سعودًا لم يستحسن دعوته لي؛ فذهبتُ لزيارة الملك سعود بقصره في جُدَّة؛ فوجدتُ عند باب القصر حارسًا بسلاحه وعبدًا بثياب عربية ولحية، قال: ما تريد؟ فقلت: أنا الدكتور تقي الدين الهلالي، أريد زيارة الملك، فقال: اليوم يوم راحة الملك تعال (باتشر)؛ أي: غدًا.

فجئتُ في الغد متأخرًا عن وقت الزيارة؛ لأنِّي كنتُ مشغولاً في المحكمة الشرعية لترجمة جواب صديقي وتلميذي الدكتور علي أرفتسك الأمريكي في امتحان إسلامه؛ ليسمح لهِ بالحج، فلما وصلتُ على باب القصر، وقال لي ذلك العبد: (صيلت) ومعناه باللغة النجدية: تأخرتَ؛ فرجعتُ قبيل الظهر، وقصدتُ البريد؛ فأرسلتُ برقية إلى الملك، فجاءني جوابها قبل غروب الشمس من مدير التشريفات يقول: إن جلالة الملك قد انتقل إلى مكة، وأنه مستعد لاستقبالك؛ فإن وصلتَ إلى مكة، فكلِّمني بالتلفون؛ فأهيئ لك الزيارة.

ثم جاءتني دعوة للعشاء مع الملك في قصره بمكة، وزرتُهُ بمنى، وكل ذلك يدلُّ على أن ما توهمته من كون الملك لم يكن رضيًا عن دعوة ذلك الرجل لي غير صحيح؛ فما بقي إلا أن يكون البخل هو الذي غلب عليه؛ فندم على دعوتي، والله أعلم.

وهذا نص ما قلتُهُ فيه من **البسيط**:

تَرَكْتَنِي مَاشِيًا أَسْعَى عَلَى قَدَمِ ... لَا زَالَ ضَيْفُكَ ذَا ذُلٍّ وَذَا نَدَمِ

فِي عِشْرَةٍ وَضَجِيجِ الْمَرْكَبَاتِ وَفِي ... سَيْلٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

وَالْغَمُّ يَخْنُقُ أَنْفَاسِي وَأَكْتُمُهُ ... كَكَاتِمِ الشَّيْبِ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ

مِنْ بَعْدِ مَا قُمْتَ تَدْعُونِي لِتُكْرِمَنِي ... فَحِدْتَ عَنْ سُبْلِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ

كَأَنَّنِي فِي قَبُولِي دَعْوَةً لَكَ قَدْ ... أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَكُنْتَ شَرَّ مُنْتَقِمِ

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَمَنْ يُصَدِّقْ وُعُودَ الْمُخْلِفِينَ يَكُنْ ... كَنَافِخٍ فِي رَمَادٍ غَيْرِ ذِي ضَرَمِ

فَمَا عَدَا يَا تُرَى مِمَّا بَدَا لَكَ إِذْ ... بَعْدَ التَّقَدُّمِ عُدْتَ شَرَّ مُنْهَزِمِ

أَظُنُّ ذَالِكَ بُخْلاً قَدْ مُنِيتَ بِهِ ... وَالْبُخْلُ مَهْمَا تَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مَدْحٍ عَلَى طَمَعٍ ... وَمِثْلِهِ كَلْمُ أَهْلِ الْبُخْلِ بِالْكَلِمِ

وَمَنْ يَعِدْ ثُمَّ يُخْلِفْ دُونَ مَا سَبَبٍ ... فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلتَّجْرِيحِ وَالنَّقَمِ

فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ أَبَدًا ... فَهْوَ الَّذِي قَدْ شَرَى الْأَنْوَارَ بِالظُّلَمِ

* * *

[نظم الحالات التي يكون فيها الفاعل ضميراً مستتراً وجوبًا]

[١٤٧] وسألني ابنُ الطِّيب[(١)] عن معنى البيتين التاليين، وقال: إن الشيوخ الذين كان يتعلم عندهم النحو في سجلماسة عجزوا عن شرحها له؛ فشرحتُهما له، واستخرجتُ منهما إحدى عشرة مسألة؛ يكون الفاعلُ في كُلٍّ منها ضميرًا مستترًا وجوبًا، ثم ذيَّلتُها بأبياتٍ أوردتُ فيها الأمثلة لتلك المسائل، والبيتان هما [بحر الرجز]:

وَسَتْرُ مَرْفُوعٍ بِأَمْرٍ حُتِمَا ... وَدُونَ يَا مُضَارِعٍ وَاسْمِهِمَا

وَفِعْلِ الِاسْتِثْنَاءِ وَالتَّعَجُّبِ ... وَأَفْعَلِ التَّفْضِيلِ صَبْرًا تُصِبِ

وَهَذِهِ أَمْثِلَةٌ لِكُلِّ مَا ... ضَمَّنَهُ النَّظْمُ الَّذِي تَقَدَّمَا

---

(١) هو ولد عمِّ تقي الدين الهلالي، وكاتبه الخاص، أجرينا معه مقابلة ذكر لنا فيه ذكرياته مع العلامة التقي الهلالي، سأودعها أول «مقالات الهلالي»، والله الموفق.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أَوَّاهُ صَـهْ لَا تُكْثِـرِ الْكَلَامَـا أُغْـرُبْ فَلَسْتُ أَقْبَـلُ الْـمَلَامَا
فَـنَحْنُ نَعْـصِي جُـمْلَةَ الْأَقْـوَالِ لَـيْسَ كَـلَامَ اللهِ ذِي الْـجَلَالِ
وَلَا يَكُـونُ قَـوْلَ خَـيْرِ الْـخَلْقِ أَكْـرِمْ بِـهِ، قَـدْ جَاءَنَـا بِالْـحَقِّ
أَفْضَلُ مَنْ دَعَا إِلَى دِينِ الْهُدَى أَعْظِـمْ بِـهِ، شَـهْمًا نَبِـيلاً سَـيِّدَا
وَذَا زَمَـانُ غُرْبَـةِ الْإِسْـلَامِ صَـبْرًا عَـلَى حَـوَادِثِ الْأَيَّـامِ

وتفصيل ذلك: أن ستر المرفوع -وهو ضمير الفاعل على المستتر وجوبًا- يكون في مواضع:

أولها: فعل الأمر للمخاطب؛ نحو: (اذكر ربك).

ثانيًا: يكون في الفعل المضارع غير المبدوء بياء غائب، ولا تاء غائبة، ويتضمن ذلك ثلاثة أمثلة أشرت إليها بقولي: (تكثر)، و(أقبل)، و(نعصي).

ثالثًا: يكون في اسم فعل الأمر، وأشرت إليه: بـ(صَهْ).

رابعًا: يكون في اسم الفعل المضارع، وأشرت إليه: بـ(أواه)؛ بمعنى: أتوجَّع.

خامسًا: يكون في فعل الاستثناء، ومثَّلْتُ له: بـ(ليس) و(لا يكون)، وتركتُ التمثيل بـ(ما عدا) و(ما خلا)؛ وهما مشهوران وداخلان في فعل الاستثناء، وكذلك (ما حاشا) على رأي مَن أثبت أنه فعل.

سادسًا: يكون في فعل التعجب؛ نحو: ما أكرمه! وأكرم به! وأشرتُ إلى هذا الموضع بمثال واحد هو: (أعظم به)!

سابعًا: يكون في المصدر الذي ينوب عن فعله[1]، ولم يصرح به ناظم البيتين، وأنا

---

(١) كلمة غير واضحة في نسخة (بو خبزة)، وقد صححت بخط اليد إلى: (العلة)! والمثبت من الأصل، وهو الصواب، والله الموفق.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أظن أنه أشار إليه بقوله: صبرًا تصب، وأشرتُ إليه أنا بقولي: (صبرًا على حوادث الأيام).

وكل هذه المسائل لها شواهد من كلام العرب، لم نذكرها تجنبًا للإطالة.

[من وحي الأندلس؛ قصيدة من بحر جديد][1]

[١٤٨] وقلتُ لما سافرتُ بالسَّيارة إلى الأراضي القطبية في شمالي نرويج[2] سنة

---

(١) نشرها الهلالي في مقالته: «الشمس في نصف الليل»؛ المنشورة في مجلة «دعوة الحق» المغربية، السنة الحادية عشرة، ذو الحجة ومحرم ١٣٨٨هـ - مارس وإبريل ١٩٦٧-١٩٦٨م، (ص ٦٣)، وفي مجلة «الجامعة الإسلامية»، العدد السابع، بتأريخ محرم ١٣٩٠هـ، (ص ٤٣)، وما بين المعقوفتين من المقالة، وليست في الأصل ولا في نسخة (بو خبزة) من «الديوان»، علمًا بأن الضارب أثبت كعادته في آخر الورقة في النسختين: «فالعرب»، ولا وجود لها إلا في المجلة، وهذا الذي جرَّأنا على وضع الزيادات في أصل «الديوان»، والحمد لله على توفيقه وامتنانه، وقال الهلالي فيها قبل الأبيات تحت العنوان الذي ذكرتُهُ لها:

«لما مررنا بأرض الأندلس في رحلتنا إلى شمال أوروبا؛ تذكرتُ أهل الأندلس المسلمين، وما كان لهم من المجد والسؤدد؛ فقلتُ هذه القصيدة، وهي من بحر جديد اخترعتُهُ، وأجزاؤه أربعة: مستفعلاتكم مستفعلن مرتين، له عروض واحدة صحيحة، لها ضربان:

أولهما: مذيل، **والثاني**: عار عن التذييل؛ وكل هذه التفاعيل بفتح العين، ومعناها: مستخرجاتكم مستخرج أيها المسلمين؛ فالزموا مستخرجاتكم ولا تهملوها.

وقد أحدث العرب المولدون أوزانًا شعرية زائدة على بحور الشعر بعد زمان العرب الأقحاح، ونظموا عليها شعرًا كثيرًا، ثم جاء زمان الموشحات والأزجال؛ فاشتغل بها العرب في الشرق والغرب، واشتملت على أدب جمٍّ، ونَظَمَ بهاءُ الدين زهير شعرًا اخترع له وزنًا خاصًّا، وهو قوله:

يَـا مَـنْ لعبـت بـه شـمول مَـا ألطـف هـذه الـشمائل

فلا غرابة إذا اقتديتُ به، وألقيتُ دلوي في الدِّلاء، وهذا نص القصيدة. . .»، وسردها، وقال على إثرها: «وقد اطَّلع على هذه القصيدة الأديب الكبير، العالم المحقق العبقري؛ عبد الله كنون؛ فأعجبَتْهُ، وأثنى عليها».

(٢) انظر المقطع المتقدم برقم (٨٥).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

١٩٦٤-٨٤هـ، وكانت السيارة تَنْهِبُ الأرضَ بنا نَهْبًا، في أراضي الأندلس تذكَّرتُ ماضي الإسلام في تلك الديار، وما كان له من مجد خالد يقصر عنه وصف البليغ، هاج ذلك بلابلي؛ فأخذتُ أترجم شعوري بنظم هذه القصيدة، وأخذتُ أمليها على ابن أخي منصور الهلالي[1]، ويكتبُها بيتًا بيتًا حتى تمت، وهذا نص ما أمليتُهُ:

بحر جديد من وحي الأندلس:

وهذا البحر اخترعتُهُ أنا، وأجزاؤه أربعة: مستفعلاتكم مستفعلن مرتين، له عروض واحدة صحيحة، ولها ضربان:

أولهما: مذيل، **والثاني**: عار من التذييل.

تقطيع البيت:

البيت:

لَـــمَّا بَـــدَا لَنَـــا جَـــمَالُكُمْ أَضْـــحَتْ قُلُوبُـــنَا أَسْرَى الْغَـــرَامْ

تفعيله:

مُـــسْتَفْعَلَاتُكُمْ / مَفَـــاعِلُنْ مُـــسْتَفْعَلَاتُكُمْ / مُـــسْتَفْعَلَاتْ[2]

تقطيعه:

لَـــمْ مَـــا بَـــدَا لَنَـــا / جَـــمَالُكُمْ أَضْـــحَتْ قُلُوبُـــنَا / أَسْرَ لْغَـــرَامْ

---

(١) هو الأستاذ منصور بن محمد العربي الهلالي، ما زال حيًّا في المغرب.

(٢) كذا هي في الأصل مع العلم أن التفعيلة المذيلة: هي التي زيد عليها حرف ساكن على الوتد المجموع في آخر الجزء فحسب؛ فتصبح (مُسْتَفْعِلُنْ): (مُسْتَفْعِلَانْ)، دون أن تُقلب (النون) إلى (تاء)؛ فالصواب أن تكون: (مُسْتَفْعِلَانْ)، وليس (مُسْتَفْعِلَاتْ)، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

اسمه:

سَالِـــــــمٌ / مَـــــــخْبُونٌ سَالِـــــــمٌ / مُـــــــذَيَّلْ

وهذه هي القصيدة، واسم هذا **البحر الملحق**؛ لأنه أُلْحِقَ بشعر العرب والمولدين:

لَـــمَّا بَـــدَا لَنَـــا جَـــمَالُكُمْ أَضْـــحَتْ قُلُوبُـــنَا أَسْرَى الْغَـــرَامْ
وَانْبَعَثَـــتْ بِـــهَا مَـــوَدَّةٌ تَنْمُـــو وَتَزْدَهِـــي عَـــلَى الـــدَّوَامْ
قَـــدْ طَـــالَ هَجْـــرُكُمْ وَصَـــدُّكُمْ وَمَـــا رَثَيْـــتُمُ لِلْمُـــسْتَهَامْ
وَلَـــمْ نَـــزَلْ نَفِـــي بِعَهْـــدِكُمْ وَمَـــا رَعَيْـــتُمُ لَنَـــا ذِمَـــامْ
فَهَـــلْ سَـــمِعْتُمُ بِقَاتِـــلٍ لِـــمَنْ يُـــحِبُّهُ هَـــذَا حَـــرَامْ
هِبُـــوا أَسِـــيرَكُمْ لَـــوْ نَظْـــرَةً صِـــلُوا عَمِيـــدَكُمْ لَـــوْ بِـــالْكَلَامْ
أَمَـــا تَرَوْنَنِـــي مُتَـــيَّمًا لَـــمْ تَـــدْرِ مُقْلَتِـــي أَيَّ مَنَـــامْ
مَـــحَبَّتِي لَكُـــمْ عَفِيفَـــةٌ غَـــدَتْ بَرِيئَـــةً مِـــنْ كُـــلِّ ذَامْ
وَعَـــاذِلٌ أَتَـــى يَلُـــومُنِي كَلَامُـــهُ غَـــدَا مِثْـــلَ الْكِـــلَامْ
فَقُلْـــتُ يَـــا هَـــنُ[1] وَيْـــكَ اتَّئِـــدْ فَأَنْـــتَ طَالِـــبٌ مَـــا لَا يُـــرَامْ
عَـــذْلُكَ زَادَنِـــي صَـــبَابَةً فَكُـــفَّ أَوْ فَـــزِدْ مِـــنَ الْخِـــصَامْ
يَـــا مَوْطِنًـــا غَـــدَا مُفْتَخِـــرًا بِخَـــيْرِ أُمَّـــةٍ مِـــنَ الْأَنَـــامْ
بِـــالْعُرْبِ إِذْ عَلَـــوْا مَرَاتِبًـــا قَـــدْ بَلَغُـــوا بِـــهَا أَقْـــصَى الْـــمَرَامْ

---

(١) في «المقالة»: «فتى».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أَنْدَلُسًا دَعَيْتُ فِي الْوَرَى ... وَجَنَّةً سَمَتْ خَيْرَ مَقَامْ

مُعْجِزَةً فَلَمْ يَرَ الْوَرَى ... لَهَا مُمَاثِلاً لَوْ فِي الْمَنَامْ

كَيْفَ افْتِخَارُنَا بِمَجْدِهِمْ ... وَنَحْنُ لَمْ نَزَلْ بِلَا نِظَامْ

وَالْخَلْفُ مَا لَهُمْ مُفْتَخَرٌ ... لَكِنْ عَلَيْهِمُ بِالِاحْتِشَامْ

إِلَّا إِذَا حَيَوْا وَاتَّحَدُوا ... وَارْتَجَعُوا إِلَى نَسْجِ الْكِرَامْ

وَاتَّبَعُوهُمُ فِي دِينِهِمْ ... دِينِ مُحَمَّدٍ بَدْرِ التَّمَامْ

[فَالْعُرْبُ مَا لَهُمْ مُعْتَصَمٌ ... إِلَّا بِحَبْلِهِ وَالِالْتِئَامْ](١)

وَالْعِزُّ عَنْهُمُ مُبْتَعِدٌ ... إِلَّا إِذَا اقْتَدَوْا بِذَا الْإِمَامْ

فَهْوَ حَيَاتُهُمْ فِي بِدْئِهِمْ ... وَهْوَ حَيَاتُهُمْ عَلَى الدَّوَامْ

وَكُلَّمَا اقْتَفَوْا خِلَافَهُ ... فَهْوَ ضَلَالَةٌ وَهْوَ الْحُسَامْ

صَلَّى عَلَيْهِ مَنْ أَرْسَلَهُ ... هُدًى وَرَحْمَةً يَجْلُو الظَّلَامْ

مَا غَرَّدَتْ ضُحًى حَمَامَةٌ ... وَأَشْرَقَتْ ذُكَا بَعْدَ غَمَامْ

وَالْآلِ وَالصِّحَابِ كُلِّهِمْ ... أَزْكَى صَلَاتِهِ مَعَ السَّلَامْ]

* * *

(١) في «المقالة»: «ولا التئام»!

[شيخٌ مُتَملِّقٌ][1]

[١٤٩] لمَّا كنتُ في الدورة عند الشيخ مصطفى آل إبراهيم أَمَرَ المؤذنَ والإمامَ أَنْ يسيرَا في أمور الصلاة حسب إرشادي، وكان هناك أحد عمومته يُدعى الشيخ صالح آل إبراهيم متعصِّبًا للمذهب الحنبلي وللبدع والعادات.

فلما طهَّرتُ أنا المسجد من البدع غَاظَهُ ذلك؛ فاستفتى فقيهًا في قرية (الفاو)، فكتب له بضعة أسطر يتحسن البدع، ويُسمي مَن يمنعها مَنَّاعًا للخير؛ فنظمتُ (قصيدة ميمية) في هجوه، وجاءت في غاية البلاغة، وركبتُ فرسًا من الدورة إلى الفاو، وسجلتها بعنوانه في دائرة البريد، وضاعت منِّي، وسأثبت هنا ما بقي عالقًا بذهني، وكان ذلك سنة ١٣٤٤هـ، ونص ذلك من بحر الطويل:

---

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٦٠-١٦١)، وقال في أولها: «كان رجلٌ يُنسبُ إلى العلمِ -والعلمُ منه بعيد!- يسكن في بلدة فاو، الواقعة عند مَصَبِّ شَطِّ العرب في خليج البصرة -ويسميه الأوروبيون: الخليج الفارسي-، وكان من المتملقين لذلك الشيخ المذكور الذي هو من أقارب الشيخ مصطفى آل إبراهيم؛ فشكى الشيخ الغنيّ إلى ذلك المتأكل بالدين ما أبطلته من البدع في مسجد الدورة؛ فقال الشيخ الفاوي: هذا الرجل منّاع للخير! يعنيني بذلك؛ فهجوته بقصيدة نسيت أكثرها، وأثبت هنا ما بقي في حفظي منها، وقد حذفتُ منها بيتًا؛ لأن فيه إقذاعًا كثيراً!

فإنْ قلتَ: إذا كان ذلك الإقذاع لا يجوز شرعًا؛ فلماذا قلته حتى احتجتَ إلى حذفه؟!

فالجواب: أنه يجوز شرعًا، ولكن تركه -أيضًا- جائز، وقد قال النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ تَعَزَّى عَلَيْكُمْ بِعزاءِ الجَاهِلِيَّةِ؛ فأعضوه بِهَنِ أبيه، وَلَا تكنوا**»، وهذا ما بقي من القصيدة. . .»، وسردها.

قال أبو عبيدة: «أما الحديث؛ فقد أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٦٣)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٣٦)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٢٧٢) و(٦/ ٢٤٢)، والطحاوي في «المشكل» (٣٢٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٥٣) من حديث أُبي بن كعب.

وصححه شيخنا الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٦٩).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أَتَانِيَ فُحْشُ القَوْلِ مِنْ جَاهِلٍ فَدْمِ[١] وَقِدْمًا كِلَابُ الْجَهْلِ تَنْبَحُ ذَا الْعِلْمِ

وَلَسْتُ بِمُلَّا فِي الْقُرَى مُتَأَكِّلٍ بِدِينٍ وَلَا دِيْنٌ لَدَى الأَرْذَلِ الوَخْمِ

يَظَلُّ عَدُوُّ الْعِلْمِ يَكْذِبُ جَاهِدًا عَلَى رَبِّهِ، كَيْ يَأْكُلَ السُّحْتَ بِالرَّجْمِ

فَدَعْ عَنْكَ دَعْوَى الْعِلْمِ وَلْتَبْغِ قَارِبًا تَصِيدُ بِهِ الْحِيتَانَ فِي لُجَّةِ الْيَمِّ

وَدُرْ بِهِ فِي كُلِّ الْبِلَادِ مُنَادِيًا صَبُورًا صَبُورًا وَاتْرُكِ الْعَيْشَ بِاللُّؤْمِ

فَذَلِكَ أَجْدَى مِنْ سُؤَالٍ وَكُدْيَةٍ[٢] وَإِفْسَادِ دِينِ اللهِ بِالْخَرْصِ وَالْوَهْمِ

فَلَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ أَكْلَ ثَرِيدَةٍ[٣] وَجَمْعَ زَكَاةٍ مِنْ عَرِيبٍ[٤] وَمِنْ عُجْمِ

وَمِثْلُكَ إِنْ يَسْأَلْ يَجِئْ يَوْمَ حَشْرِنَا وَمَا وَجْهُهُ، إِلَّا عِظَامٌ بِلَا لَحْمِ[٥]

وَإِنْ كَانَ كَالْعُصْفُورِ عَقْلُكَ خِفَّةً وَطَيْشًا فَمِثْلُ الْبَغْلِ قَدْ صِرْتَ فِي الْجِسْمِ

---

(١) الفَدْم: العَيِيّ عن الكلام في ثِقَلٍ ورَخاوةٍ وقِلّةِ فَهْمٍ، والغليظ الأحمق الجافي؛ انظر «القاموس المحيط» (١٤٧٧ - مادة الفَدْم).

(٢) كتب فوقها بعض تلاميذ الهلالي ممن نظر في «الديوان»: «وكذبة»!

قال أبو الفضل: «أكدى: ألح في المسألة. . . والكُدْية بالضم: حرفة السائل الملح»؛ «تاج العروس» (٣٩/ ٣٨١ - فصل الكاف)، ولعلها الأنسب لسياق الشطر الأول من البيت وما قبله من أبيات، وقد ذُكِرَ (الكذب) -معنًى- في الشطر الثاني في قوله: (بالخرص والوهم)، والله الموفق.

(٣) مكان الشطر الأول من هذا البيت بياضٌ في «منحة الكبير المتعالي».

(٤) في بعض طبعات «الدعوة إلى الله» (ص ١٩٧): «غريب»! بالغين المعجمة!

(٥) جاء هذا البيت في «منحة الكبير المتعالي» لوحده بعد كلامه الذي قاله بعد الأبيات، ونقلناه إلى هنا بحسب ترتيبه في كتاب «الدعوة إلى الله».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

عَـلَامَ اسْـتَطَبْتَ الْأَكْـلَ مِـنْ صَدَقَاتِـهِمْ ... أَأَعْرَجُ أَمْ أَعْمَى أَمَ انْتَ[١] أَخُو سُقْمِ

نَعَـمْ فِيـكَ سُـقْمٌ لَـمْ يَـرَ النَّـاسُ مِثْلَـهُ ... وَذَلِـكَ سُـقْمُ الْعَقْـلِ وَالـدِّينِ وَالْفَهْـمِ

وَفِـيـكَ عَمًـى لَـمْ تُبْـصِرِ الْعَـيْنُ مِثْلَـهُ ... عَمَى الْجَهْلِ إِنَّ الْجَهْلَ لِلْقَلْبِ قَدْ يُعْمِي

وَدَعْـوَاكَ فِـي الْعِلْـمِ الْعَزِيـزِ مَكَانُـهُ ... كَـدَعْوَى بَنِي حَـرْبٍ زِيَـادًا عَـلَى زَعْـمِ

(لَقَـدْ هَزُلَـتْ حَتَّـى بَـدَا مِـنْ هُزَالِـهَا ... كُلَاهَـا وَحَتَّـى سَـامَهَا كُـلُّ) ذِي عُـدْمِ

بِفِعْلِ أَبِيكَ اغْضُضْ وَكُلْ بَعْدُ سَلْحَهُ ... وَمَـصًّا لِبَظْـرِ الْأُمِّ وَالِـدَةِ الـشُّؤْمِ[٢]

قولي: (صبورًا صبورًا)؛ الصبور: نوع من السمك يُصاد من البحر، كبير الحجم، كثير العظام، ولكن لحمه لذيذ، يدور الباعة بزوارقهم في أنهار جنوب البصرة منادين: (صبور صبور).

***

[مساجلة مع عبد الله كنون ومحمد الطنجي]

[١٥٠] مساجلة بين الأستاذين عبد الله كنون[٣] .....

---

(١) أسقط الهلاليُّ هذا البيت من «الدعوة إلى الله» كما بيّن ذلك في المقدمة التي أوردها قبل الأبيات.

(٢) تقرأ بهمزة وصل للوزن، والله الموفق. (أبو الفضل).

(٣) هو عبد الله بن عبد الصمد بن التهامي كنون، علامة، باحث من الوزراء، ولد في فاس، وقرأ على والده، وانتقل معه إلى طنجة على نية الهجرة إلى المدينة المنورة أو الشام؛ فمنعتهما الحرب العالمية الأولى؛ فاضطرت الأسرة للبقاء فيها وتوطنتها؛ فقرأ عبد الله على علمائها، ومارس التدريس والكتابة في الصحف صغيرًا، وأنشأ علاقات ودية مع الأعلام في مختلف البلاد وراسلهم؛ فتوسعت معلوماته، وجمع مكتبة قلَّ نظيرها عند كبار أهل العلم.

وفي عام ١٩٣٩ منحته جامعة مدريد دكتوراه شرف في الآداب، ودعته الحكومة الإسبانية =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

. . . . . .

لزيارة بلادها ضيفًا لصدور كتابه «النبوغ المغربي» بالترجمة الإسبانية، في حين منع الكتاب في منطقة الحماية الفرنسية بقرار عسكري.

هرب لاجئًا إلى تطوان خوفًا من الفرنسيين لاحتجاجه على إقصاء الملك محمد الخامس؛ فعينته حكومة الحماية الإسبانية مديرًا لمعهد مولاي الحسن للأبحاث، فوزيرًا للعدل، ولما عاد الملك كلفه بمنصب والي طنجة تقديرًا لمواقفه، وترأس تحرير صحيفة «الميثاق» لسان حال رابطة علماء المغرب حتى وفاته، انتخب عضوًا في مجامع اللغة العربية بدمشق وبغداد والقاهرة، ومجمع البحوث الإسلامية بمصر، ورابطة العالم الإسلامي.

مؤلفاته كثيرة؛ منها -بالإضافة إلى ما ذكر-: «الجيش المجلب على المدهش المطرب» (خ)، «فضيحة المبشرين»، «مفاهيم إسلامية»، «ذكريات مشاهير رجال المغرب»، «أزهار برية»، «شرح مقصورة المكودي»، «أحاديث عن الأدب المغربي الحديث»، «شرح الأرجوزة المعروفة بالمشمقمقية»، «أدب الفقهاء»، «على درب الإسلام»، «الإسلام أهدى»، «إسلام رائد»، «أمراؤنا الشعراء»، «ترتيب أحاديث الشهاب» لأبي الحسن القلعي، «التعاشيب»، «تفسير سور المفصل من القرآن الكريم»، «التيسير في صناعة التفسير»، «جولات في الفكر الإسلامي»، «الرد القرآني على كتيب: هل يمكن الاعتقاد بالقرآن»، «رسائل سعدية»، «عجالة المبتدي وفضالة المنتهي» في النسب للهمداني (تحقيق)، «على درب الإسلام»، وغير ذلك، وله شعر حمل فيه على المستعمر، ودعا لمحاربته.

وأجاب داعي الله بمنزله في القصبة بمهاجره مدينة طنجة صباح الأحد ٥ ذي الحجة عام ١٤٠٩هـ، ودُفِنَ بمقبرة المجاهدين بعد صلاة ظهر يوم الاثنين.

ولعدنان الخطيب: «عبد الله كنون سبعون عامًا من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة»، ولعبد القادر الإدريسي: «عبد الله كنون وموقعه في الفكر الإسلامي السياسي الحديث»، وله ترجمة جيدة في «إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين» (ص ٤٠٢-٤٠٨)، وهو مطبوع بتقديمه، وفي «الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال» (٢/ ٦٥٥-٦٦١).

وللهلالي مراسلات كثيرة جدًّا مع صديقه عبد الله كنون موجودة في خزانة كنون بطنجة، وحصلتها -ولله الحمد-، وأودعت كتابي «مراسلات الهلالي» ما يزيد على الأربعين منها.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

ومحمد الطنجي[1] وتقي الدين الهلالي، وذلك بتطوان في ١٣/ ١/ ٦٣هـ، من بحر

---

(١) هو الأستاذ المصلح، العلامة الفقيه، الأديب السلفي؛ سيدي محمد بن مَحمد -فتحًا- ابن أحمد الطنجي الأصل، التطواني المولد والمنشأ والدار، كانت ولادته بتطوان عام ١٣٢٠هـ، وتعلم الكتابة والقراءة على الفقيه السيد محمد بن عمرو ابن تاويت بمكتبه بحي الطرانكات بالعاصمة الشمالية، وعليه حفظ كتاب الله العزيز.

بعد إشباع نهمه من الدراسة القرآنية شرع في تلقي الدراسة العلمية بالجامع الكبير بتطوان حوالي عام ١٣٣٤هـ، وقرأ على الفقيه العلامة محمد بن التهامي أفيلال الحسني دروسًا من «المختصر الخليلي» بالزرقاني والرهوني وبناني، والفقيه عبد الرحمن «أقشار الألفية» بالمكودي، والفقيه العلامة أحمد بن محمد الغماري «التحفة» بالشيخ التاودي السودي، والفقيه العلامة محمد الفركاخ «الألفية» لابن مالك، والفقيه العلامة المؤلف المؤرخ أحمد الرهوني «الألفية» لابن مالك الجياني الأندلسي، والفقيه العلامة أحمد الزواقي «الشمائل المحمدية» للشيخ الترمذي، وصنوه الفقيه العلامة محمد الزواقي.

ثم ارتحل إلى فاس عام ١٣٤٤هـ، وسكن بمدرسة الصهريج بجوار جامع الأندلس العتيق، ثم بمدرسة الصفارين، وصار يعب ويكرع من حياض المعارف بجامع القرويين، وقد قرأ هناك على جماعة -أيضًا-.

ثم قفل راجعًا إلى تطوان عام ١٣٤٨هـ، ثم سافر سفرة علمية إلى القاهرة عاصمة الكنانة عام ١٣٤٩هـ، وانخرط في عقد طلاب كلية أصول الدين التابعة للجامع الأزهر الشريف، وقرأ على الشيخ محمد الخضر حسين «صحيح الإمام البخاري» و«تفسير الجلالين»، والشيخ أحمد مكي «التفسير»، والشيخ المرصفي دروسًا من كتاب «الكامل في اللغة والأدب» للإمام المبرد، وذلك بمنزله.

واستمر يقطف ثمار المعارف بهاته الكلية نحو ثلاثة أعوام نال في ختام السنة الأولى من الجامع الأزهر الشريف شهادة الأهلية الخاصة بالغرباء، وهي محررة بأول رجب عام ١٣٥٠هـ، ثم آب إلى مسقط رأسه عام ١٣٥١هـ بعد أن حصل من طرف شيوخه على إجازة علمية خطية مسهورة بتوقيعاتهم، واشتغل بدروس الوعظ والإرشاد بالجامع الكبير.

عُيِّنَ المُترجَم الوقور كاتبًا بمديرية الأوقاف بتطوان في ٢٢ رجب عام ١٣٥٣هـ، ثم قدم استعفاءه من هاته الوظيفة، ثم كاتبًا أول بوزارة العمل الاجتماعي بعاصمة المنطقة الخليفية التي كان على رأسها =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

مجزو الرمل:

كَـانَ مَـنْ يَـشْفَعُ قَـبْلاً فِتْيَـةٌ بِالْـحَقِّ قَـامُوا

ثُـمَّ جَـاءَ الْيَـوْمَ عَـصْرٌ اعْـتَلَى فِيـهِ الطَّغَـامُ

الزعيم السياسي المناضل المرحوم السيد عبد الخالق الطريس، ثم استعفى من هذا المنصب بعد انسحاب الزعيم من الوزارة، وكان خطيبًا بزاوية سيدي عبد الله الحاج بساحة الفدان بتطوان، وأَسَّسَ بمشاركة نخبة من الرفقاء -وعلى رأسهم الزعيم الوطني السيد عبد الخالق الطريس- المعهدَ الحر الثانوي بها، وذلك عام ١٣٥٤هـ، وعمل أستاذًا برحابه الفيحاء إلى عام ١٣٦٧هـ، وكان يزاول مهنة العدالة من الدرجة الأولى، وعُيِّن عضوًا عاملاً في مجلس الأحباس بالمنطقة الخليفية في ٥ محرم ١٣٥٨هـ، وكان أستاذًا بالمعهد الديني بالجامع الكبير، ومديرًا له بالأقسام الابتدائية والثانوية، وبعد بزوغ شمس الحرية والانعتاق من أغلال الاستعباد والرقية عُيِّن رئيسًا لقسم الوعظ والإرشاد بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، وعمل رئيسًا لمجلة «دعوة الحق» التي تصدرها الوزارة ابتداءً من العدد الثالث للسنة الثانية إلى نهاية السنة، ثم ألغت الوزارة اسم رئيس التحرير من المجلة، وبقي في وظيفه هذا إلى أن أُحيل على التقاعد، ورجع إلى الاستيطان بتطوان، وانتخب نائبًا للأمين العام لرابطة علماء المغرب.

وكان من الدعاة الأولين للقضية الوطنية المغربية، وممن عمل على مقارعة الاستعمار، وحكمت عليه الإدارة الإسبانية بغرامة مالية، ولتسديد مبلغها احتجزَتْ أثاثَ بيته ومكتبته حتى الفراش الذي ينام عليه، وباعت عليه ذلك، ومنعته من خطبة الجمعة والتدريس في المدارس والمساجد، ومن المحاضرات والكتابة في الصحف، وكان وكيلاً لحزب الإصلاح الوطني بالشمال الذي اندمج وتوحَّد مع حزب الاستقلال بالجنوب بعد إعلان الاستقلال، وشارك في أعمال المؤتمر الإسلامي ببغداد، والمؤتمر الإسلامي بنواكشوط عاصمة موريطانيا، وقررت الجمعية الخيرية الإسلامية التطوانية منحه لقب محسن لسعيه في نجاح مشروع مقره الجديد قرب باب السعيدة.

خطَّ قلمُهُ الكتبَ الآتية: «وعظ الجمعة» في جزء واحد طبع بتطوان، ثم أعيد نشره بها كذلك، «خطب الجمعة لعهد الاستقلال» وقد صدر بها أيضًا، «ما يتعلق بالأسرة في شريعة الإسلام» «نظام الزكاة في الإسلام» وهما مخطوطان، «ديوان شعري»، بحوث ومقالات نشرت في عدَّة صحف ومجلات، مجلة «الإرشاد الديني»، صحيفة «الحياة». ترجمته في «من أعلام المغرب الأقصى» (٢٠١-٢٠٤).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

إِنَّـــمَا يَـــشْفَعُ كَـــبْشٌ وَدَجَـــاجٌ وَحَـــمَامُ

فَـــإِذَا قَـــدَّمْتَ هَـــذَا لَـــمْ تَكُـــنْ مِـــمَّنْ يُـــضَامُ

* * *

[تحية أبي الحسن][1]

[١٥١] وقلتُ في تحية المجاهد الفذ أبي الحسن محمد علي الطاهر لمَّا قَدِمَ بغداد سنة ١٩٥٣ بتأريخ النصارى، وبالرغم مني أن أؤرخ به؛ لأنَّ التاريخ لا يستطيع أَنْ يستقل بحفظه واستعماله فَرْدٌ، وأنشدته إيَّاها بالفندق الذي كان نازلاً فيه.

وضاعت منِّي مسودتها لعدم استقراري وكثرة أسفاري، وجاء ضعف البصر ضِغْثًا على إبَّالة؛ فكتبت إليه والتمستها منه؛ فبعث إليَّ نسخةً منها مُصوَّرة من صحيفة «السجل» التي نشرتها بعد إنشادها في ٦ نيسان سنة ١٩٥٣م، رحم الله صاحب «السجل» و«الفجر الجديد» الحاج طه الفياض[2].

---

(١) نشرت في صحيفة «السجل» البغدادية، العدد (١٥٠٥)، سنة (٢٢)، الاثنين بتأريخ ٢١ رجب ١٣٧٢هـ - ٦ نيسان ١٩٥٣م، ودون المقدمة المذكورة قبل الأبيات.

وقد أرسلها لي الأخ إبراهيم البنغلاديشي منسوخة من صحيفة «السجل» بخطِّه؛ فجزى الله الأخ إبراهيم خيرًا.

ثم ظفرتُ بعد مُدَّةٍ في الصحيفة نفسها: العدد (١٥٠٢)، السنة (٢٢)، الأربعاء ١٦ رجب ١٣٧٢هـ - ١ نيسان ١٩٥٣م؛ مقالة للهلالي بعنوان: «المجاهد الفذّ أبو الحسن [محمد علي طاهر] في العراق نعمة غير مرتقبة»، وهي في كتابي «مقالات الهلالي»، وفي تعليقي عليه ترجمة حسنة لأبي الحسن محمد علي الطاهر، وانظر عنه ما تقدَّم في أول مقطع (١٤٣).

(٢) تقدمت ترجمته في التعليق على (مقطع ١٤١).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

ولمَّا استقررتُ في المغرب أخذتُ أجمع ما قلته من الشعر؛ فرأيت أنْ أضمها إليه، وهي من بحر **الوافر**، وهذا نصها:

لَقَدْ زَارَ الْعِرَاقَ فَحَلَّ ضَيْفًا ... بِبَغْدَادٍ أَبُو الْحَسَنِ الْهُمَامُ

كَسَاهَا بَهْجَةً فَغَدَا بَنُوهَا ... لَهُمْ مِنْ حَوْلِ مَنْزِلِهِ ازْدِحَامُ

كَأَنَّهُمُ، حَوَالَيْهِ، حَجِيجٌ ... وَمَنْزِلُهُ الْحَطِيمُ أَوِ الْمَقَامُ

كَأَنَّهُمُ، كَوَاكِبُ فِي سَمَاهَا ... تَبَدَّى بَيْنَهَا الْبَدْرُ التَّمَامُ

يُحَدِّثُهُمْ أَحَادِيثًا عِذَابًا ... فَتُسْكِرُهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مُدَامُ

أَحَادِيثَ الْجِهَادِ وَمَا يَلِيهِ، ... وَكُلُّهُمُ، إِلَيْهَا مُسْتَهَامُ

إِذَا سَمِعَ الْجَبَانُ لَهَا حَسِيسًا ... يَفِرُّ كَأَنَّ مَوْقِعَهَا سِهَامُ[1]

أَبَا الْحَسَنِ الْعَظِيمَ أَتَيْتَ أَهْلاً ... وَتَسْهِيلاً وَطَابَ لَكَ الْمَقَامُ

حَلَلْتَ سَوَادَ مُهْجَةِ كُلِّ حُرٍّ ... عَلَى ضَيْمِ الْأَعَادِي لَا يَنَامُ

فَأَنْتَ الْقَائِدُ الْمِغْوَارُ حَقًّا ... وَأَنْتَ لِهَاضِمِ الْعُرْبِ الْحِمَامُ

وَأَبْنَاءُ الْعِرَاقِ جُيُوشُ صِدْقٍ ... شِعَارُهُمُ، لَدَى الْهَيْجَا ابْتِسَامُ

لُيُوثٌ إِنْ دُعُوا لِلْحَرْبِ لَبَّوْا ... وَطَابَ لَهُمْ بِمَوقِدِهَا ضِرَامُ

فَثِقْ[2] بِاللهِ ثُمَّ بِهِمْ وَخُضْهَا ... فَإِنَّهُمُ، لَكَ الْجَيْشُ اللُّهَامُ

لَقَدْ شَرَّفْتَهُمْ بِالْبَدْءِ لَمَّا ... أَتَيْتَ بِلَادَهُمْ وَلَكَ اعْتِزَامُ

---

(١) في صحيفة «السجل»: «السهام».

(٢) في «منحة الكبير المتعالي»: «فثف»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَكَمْ لَكَ نِعْمَةٌ جُلَّى عَلَيْهِمْ ... يُقِرُّ بِهَا الْمُعَمَّرُ وَالْغُلَامُ

وَقَدْ كُسِيَتْ بِلَادُ الْعُرْبِ وَهْنًا ... وَلَكِنْ لَا يَزَالُ بِهَا كِرَامُ

وَلَوْ أَنَّ الْقِيَادَةَ أَيَّدَتْهُمْ ... لَعَادَ النُّورُ وَانْكَشَفَ الظَّلَامُ

وَلَوْ رَجَعُوا إِلَى الْقُرْآنِ يَوْمًا ... وَإِحْيَاءِ الشَّرِيعَةِ وَاسْتَقَامُوا

عَلَى نَهْجِ النَّبِيِّ وَمَنْ قَفَاهُ ... لَتَمَّ لَهُمْ عَلَى الْفَوْرِ الْمَرَامُ

وَبُدِّلَ نَحْسُهُمْ سَعْدًا وَفَازُوا ... بِإِقْبَالٍ وَعِزٍّ لَا يُرَامُ

وَمَا تَقْلِيدُ أَهْلِ الْغَرْبِ إِلَّا ... سَبِيلٌ فِي عَوَاقِبِهَا ارْتِطَامُ

تَرَكْتُ الشِّعْرَ مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ ... فَحِينَ دَعَوْتُهُ اسْتَعْصَى الزِّمَامُ

وَآخَذَنِي عَلَى هَجْرِي وَتَرْكِي ... تَفَقُّدَهُ فَهَلْ ذَاكَ انْتِقَامُ

أَبَا الْحَسَنِ الْكَرِيمَ إِلَيْكَ أُهْدِي ... خُوَيْدِمَةً يُجَلِّلُهَا احْتِشَامُ

مَتَى تُبْصِرْ بَنَاتِ الشِّعْرِ تُطْرِقْ ... وَيَعْصِبُهَا التَّبَسُّمُ وَالْكَلَامُ

وَذَا جُهْدُ الْمُقِلِّ وَمَنْ حَبَاهُ ... فَلَيْسَ يُصِيبُهُ أَبَدًا مَلَامُ

فَقَابِلْهَا بِإِغْضَاءٍ وَعَفْوٍ ... فَإِنَّ الْعُذْرَ تَقْبَلُهُ الْكِرَامُ

[الحرية المزيفة][1]

[١٥٢] وقلتُ في برلين إبَّان الحرب العالمية؛ ناويًا أن أجعلها قصيدة طويلة

---

(١) نشرت بالعنوان المزبور -معزوَّةً هكذا: «نظم مجاهد عربي»- في (الصفحة الأولى) من جريدة «الحرية» المغربية، السنة السادسة، العدد ٧٣٣، الخميس ١٧ صفر ١٣٦١هـ - ٥ مارس ١٩٤٢م، وما بعد البيت السادس في جريدة «الحرية» فقط، وليس فيها قبل الشعر أي كلام.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

كأخواتها التي تضمنها هذا «الديوان»، غير أني شغلتُ عن إتمامها، ولم يبقَ لإتمامها مجال؛ لأن الزمان قد تغير بذهاب الاستعمار، ومجيء شرور أُخْرَى لم تكن في الحسبان، وكان ذلك في ١٥ ذي القعدة ١٣٦٠هـ، من بحر الطويل:

مَحَا السَّيْفُ مَا خَطَّ الْيَرَاعُ الْمُثَلَّمُ ... أَلَا إِنَّ حُكْمَ السَّيْفِ مَاضٍ مُسَلَّمُ

وَمَنْ يَبْغِ حَقًّا دُونَ سَيْفٍ فَإِنَّهُ ... كَحَالِبِ تَيْسٍ بِالْأَبَاطِيلِ يَحْلُمُ[1]

أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أَنْ يُجْعَلَ الْوَرَى ... فَرِيقَيْنِ مُحْكُومٌ وَآخَرُ يَحْكُمُ

أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أَنْ يُجْعَلَ الْوَرَى ... فَرِيقَيْنِ مَخْدُومٌ وَآخَرُ يَخْدُمُ

فَرِيقَانِ أَمَّا مِنْهُمَا فَمُرَفَّهٌ ... وَآخَرُ طَاوٍ سَاغِبٌ لَيْسَ يَطْعَمُ

فَرِيقَانِ أَمَّا مِنْهُمَا فَمُنَكَّدٌ ... شَقِيٌّ وَأَمَّا غَيْرُهُ فَمُنَعَّمُ

أَلَا إِنَّ الاسْتِعْمَارَ يَا وَيْحَ أَهْلِهِ ... لِأَعْظَمِ خِزْيٍ جَاءَهُ الدَّهْرَ مُجْرِمُ

وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ مَنْ سَنَّ سُنَّةً ... مِنَ الشَّرِّ يَغْشَاهُ وَبَالٌ وَمَأْثَمُ

وَيَحْمِلُ وِزْرَ الْمُقْتَدِينَ بِفِعْلِهِ[2] ... فَبِئْسَ الَّذِي يَقْفُو وَبِئْسَ الْمُقَدَّمُ

وَإِنْ عَمَّ هَذَا الدَّاءُ فِي كُلِّ دَوْلَةٍ ... وَلَكِنْ بِرِيطَانِيَّةٌ فِيهِ أَقْدَمُ

وَشَيْخَتُهُ الْكُبْرَى وَمَنْبَعُ شَرِّهِ ... وَحَامِيَةُ الظَّلَامِ بَلْ هِيَ أَظْلَمُ

---

(١) في جريدة «الحرية»: «كَحَالِبِ تَيْسٍ صَارَ بِالدَّرِّ يَحْلُمُ».

(٢) يشير إلى ما أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله -رضي الله عنه-، وفيه قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً؛ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

بِوَجْـهٍ وَقَـاحٍ تَـزْعُمُ الْيَـوْمَ أَنَّـهَا ... لِحُـرِّيَّةِ الْأَقْـوَامِ تُـسْدِي وَتُلْحِـمُ

فَهَـلْ فِـي بِـلَادِ الْـهِنْدِ وَالـسِّنْدِ آيَـةٌ ... لِحُـرِّيَّةٍ يَـا وَيْلَهَـا كَيْـفَ تَـحْكُمُ

وَهَلْ فِي بِلَادِ الْفُرْسِ وَالْعُرْبِ مَنْظَرٌ ... سِـوَى مَنْظَـرٍ يُـدْمِي الْفُـؤَادَ وَيَكْلِـمُ

فَفِـي الْفُـرْسِ عُـدْوَانٌ وَفِـي الـشَّامِ أَنَّـةٌ ... وَفِـي الْقُـدْسِ آهَـاتٌ وَفِـي مِـصْرَ مَـأْتَمُ

وَأَمَّـا بِـلَادُ الرَّافِـدَيْنِ فَأَصْـبَحَتْ ... مُعَذَّبَـةً حَـرَى عَـلَى الْـخَدِّ تَلْطِـمُ

وَأَرْضُ عُـمَانٍ قَـدْ أُصِـيبَتْ بِنَكْبَـةٍ ... يَـشِيبُ لَـهَا رَأْسُ الْوَلِيـدِ وَيَـهْرَمُ

وَفِـي أَرْضِ إِفْرِيقِيَّـةٍ عُظِّـمَ الْـبَلَا ... وَقَـدْ سَـالَ فِـي أَرْجَائِهَا الـدَّمْعُ وَالـدَّمُ

وَعُبِّـدَ فِيهَـا الْبِـيضُ وَالـسُّودُ كُلُّهُـمْ ... وَسِيقُوا إِلَى الْـمَوْتِ الـزُّؤَامِ وَأُعْـدِمُوا

وَفِـي كُـلِّ أَرْضٍ نَكْبَـةٌ مِـنْ عَذَابِـهَا ... فَهَـلْ بَعْـدَ ذَا يَـا وَيْلَهَـا تَـتَكَلَّمُ

تُحَـدِّثُنَا عَـنْ ظُلْـمِ قَـوْمٍ أَبَاعِـدٍ ... وَعُدْوَانُـهَا فِـي أَرْضِـنَا مُتَجَـسِّمُ

تَقُـولُ لَنَـا فِـي أَرْضِ نَـرْوِيجَ قَـسْوَةٌ ... وَفِـي وَارشُـوا عَـسْفٌ لَـهُ فَتَأَلَّـمُوا

وَبَـارِيزُ لَاقَـتْ كُـلَّ هَـوْلٍ وَشِـدَّةٍ ... وَأَمَّـا بِـرَاكُ الْيَـوْمَ فَهْـيَ جَهَـنَّمُ

لَتَـشْغَلَنَا عَـنْ فَتْكِهَـا فِـي دِيَارِنَـا ... تُزَخْـرِفُ أَقْـوَالاً هُـرَاءً وَتَـنْظِمُ

وَهَـبْ أَنَّ ذَاكَ الـزَّعْمَ صِـدْقٌ فَـإِنَّ مَـا ... بِأَوْطَانِنَـا مِـنْ ظُلْمِهَـا الْيَـوْمَ أَعْظَـمُ

أَنَتْرُكُهَـا تَـسْعَى فَـسَادًا بِأَرْضِـنَا ... وَنَـسْكُتُ لَا نَـشْكُو وَلَا نَـتَكَلَّمُ

وَنَبْكِي عَلَى الْأَغْرَابِ مَعْهَا إِذَا بَكَتْ ... وَنُولِـي أَعَادِيهَـا الْـجَفَاءَ وَنَـشْتُمُ

وَنَمْنَحُهَـا مِـنْ مَالِنَـا وَرِجَالِنَـا ... مُنَاهَـا بِوَجْـهٍ ضَـاحِكٍ يَتَبَـسَّمُ

وَذَاكَ صَـغَارٌ يَحْـسُنُ الْـمَوْتُ عِنْـدَهُ ... وَعَـيْشُ الْفَتَـى فِـي مِثْـلِ ذَاكَ مُـحَرَّمُ

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

فَلَسْنَا بِآبَاءٍ كِرَامٍ أَشَاوِسٍ ... إِذَا لَمْ نَذُدْ عَنْ حَوْضِنَا وَهْوَ يُهْدَمُ

وَلَسْنَا لِآبَاءٍ كِرَامٍ أَشَاوِسٍ ... إِذَا نَحْنُ عَنْ خَوْضِ الْمَعَامِعِ نُحْجِمُ

وَلَسْنَا إِذَا مِمَّنْ قَفَى نَهْجَ أَحْمَدٍ ... رَسُولِ الْهُدَى حَامِي الدِّيَارِ[1] الْمُعَظَّمُ

وَإِنَّا لَنَا فِي نَجْلِهِ الْيَوْمَ قُدْوَةٌ ... أَمِينُ الْحُسَيْنِيُّ الْهُمَامُ الْمُقَدَّمُ

كَرِيمٌ بِهِ، أَحْيَى الْإِلَهُ مَآثِرًا ... لِأَسْلَافِنَا كَادَتْ تَزُولُ وَتُعْدَمُ

أَنَارَ سَبِيلَ الْحَقِّ بَعْدَ ظَلَامِهَا ... وَأَعْلَى مَنَارًا كَادَ يَخْفَى وَيُهْدَمُ

مَضَى فِي جِهَادِ الْمُعْتَدِينَ فَأَصْبَحَتْ ... قُلُوبُ الْعِدَى مِنْ خَوْفِهِ، تَتَحَطَّمُ

إِذَا هَابَتِ الْأَبْطَالُ وَاشْتَدَّ رَوْعُهُمْ ... يُرَى صَادِعًا بِالْحَقِّ لَا يَتَجَمْجَمُ

هَنِيئًا لِمَنْ قَدْ سَارَ تَحْتَ لِوَائِهِ، ... يُجَاهِدُ أَعْدَاءَ الْبِلَادِ فَيَغْنَمُ

فَيَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ وَالْعُرْبِ بَادِرُوا ... إِلَى السَّيْرِ فِي مِنْهَاجِهِ، فَهْوَ أَقْوَمُ

فَلَوْ طَاوَعَتْنِي فِي الْقَرِيضِ قَرِيحَةٌ ... لَحَبَّرْتُ فِيهِ الْيَوْمَ دُرًّا يُنَظَّمُ

وَأَنْسَيْتُ مَا قَدْ شَادَ قَبْلِيَ شَاعِرٌ ... وَلَكِنْ أَخُو عِيٍّ ضَعِيفٌ وَمُفْحَمُ

فَعَفْوًا زَعِيمَ الْعُرْبِ إِنْ عَيَّ مِقْوَلِي ... فَقَلْبِيَ بِالْإِخْلَاصِ وَالْوُدِّ مُفْعَمُ

---

(١) في جريدة «الحرية»: «الدمار»! ولعل ما أثبته هو الصواب، والله الموفق. (أبو الفضل).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

(حرف النُّون)

[تقريظ كتاب
«تُحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي»
لأستاذي العلامة، الزاهد الورع الرباني
عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركبوري
بقية العلماء المحققين
من علماء أهل الحديث في الهند][1]

---

(١) نقل الهلالي القصيدة من آخر (الجزء الرابع) (ص ٤٠٣-٤٠٤/ ط الحجرية) من «تحفة الأحوذي»، وسيصرح بذلك، وأهمل الحواشي على الكتاب، وسيأتي بيان ذلك مفصَّلاً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ووجدتُه يقول في رسالة وجَّهها إلى تلميذه عبد الجبار الزرهوني، وهي مؤرخة في سنة ١٣٨٣هـ: «والمراد بأهل الحديث: كل مَن يتَّبع حديث النبي ﷺ، ويتمسَّك بسنَّته، ويتجنب البدع، وإنْ لم يكن من العلماء، وفي ذلك قلتُ من قصيدة قرظتُ بها كتاب أُستاذي المذكور المسمى: «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي»، ونشرتُ هذه القصيدة في آخر (المجلد الرابع) من الكتاب: . . .»، وذكر البيتين (٥٦ و٥٧).

وهذه الرسالة ضمن كتابي: «رسائل العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي للعلماء والوجهاء».

ثم ظفرتُ بهذه القصيدة في (دفتر خاص) للهلالي (ق ١٩-٢٣)، ذكرها دون أي تقديم لها، وكأن الهلالي أودع فيه إنشاءه لها لأول مرَّة

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

[١٥٣] سافرتُ إليه سنة ١٣٤٣هـ؛ فنزلتُ عنده في بيت تابع لمسجده في قرية مباركبور من مضافات (أعظم كر) بالهند، وكان -رحمه الله- مع علمه بعلوم الحديث والقرآن واللغة العربية طبيبًا نطاسيًّا، لا يعيش إلا بما يكسبه من علاج المرضَى، ولا يرضى بهديةٍ، ولا معونةٍ، ولا صَدَقةٍ من أميرٍ ولا غيرِ أمير، وتلك مَزِيَّة خصَّهُ الله بها من دون علماء أهل الحديث الذين رأيتُهم في الهند.

وكم دعي للتدريس في مدارس أهل الحديث الكبرى؛ فأبى أن يقبل الدعوة، ودعاه جماعة من الأغنياء من أهل الهند أن يكون شيخ دار الحديث التي أسسوها بمكة؛ فأبى، لكنه استجاب لرفيقه في الطلب الشيخ شمس الحق العظيم آبادي، وأعانه على تأليف[1]

---

(١) الإعانة كانت بالمقابلة والمراجعة فحسب، وزعم بعضهم أن الكتاب ليس لمؤلفه، أو أن أخًا لشمس الحق أبي الطيب الأبادي، اسمه محمد أشرف (ت ١٣٢٦هـ) هو الذي ألفه؛ لأنه جاء في أول (المجلد الأول): «فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى أبو عبد الرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر الصِّدِّيقي العظيم أبادي. . .» إلخ ما في «العون» (١/ ٢ - ط الحجرية)، وكذا في خاتمته (١/ ٥٦٩).

ولكنك ترى في آخر (٣/ ٤٣٣) و(٤/ ١ و٥٤٩) اسم مؤلفه على الجادة: أبو الطيب شمس الحق، ثم وجدتُ في «نزهة الخواطر» (٨/ ٤٠٨) في ترجمة (محمد أشرف): «وقد عزا إليه صنوه شمس الحق المجلد الأول [والثاني] من «عون المعبود»؛ أخبرني بذلك الشيخ شمس الحق».

هذا هو الصواب، وبيَّنتُه -ولله الحمد- بما لا مزيد عليه في مقالة لي بعنوان: (مَن هو مؤلف «عون المعبود»)؛ نشرت في مجلتنا «الأصالة»، العدد (٥١)، ذو الحجة ١٤٢٦هـ، (ص ٥٥-٦٥)، وأصلها تقديمي لتحقيق «العون» نفسه، وقد طبع عن مكتبة المعارف - الرياض؛ انظر منه لزامًا (١/ ٨-١٨).

ومما ينبغي ذكره هنا أن ناشر الكتاب تلطف حسين العظيم أبادي (ت ١٣٣٤هـ) قال في خاتمة (المجلد الرابع) -وهو الأخير- (ص ٥٥٣ - ط الحجرية): «. . وإن الفاضل الجليل أبا الطيب قد جمع جماعة من الأعيان وقت تصحيح المتن والمعارضة وتأليف «الشرح»، واستعان منهم بما يليق بشأنهم. . .، ومنهم: نخبة المبرَّزين، عمدة المفضلين المولوي عبد الرحمن المباركفوري الأعظم كدهي (ت ١٣٥٣هـ) . . .»؛ فهذه هي الإعانة في التأليف، والله الموفق. =

كتاب «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، وكان -رحمه الله- يشتغل طول النهار بتعليم طلبة العلم وتأليف الكتب، حتى إذا صلى العصر دخل عيادته واستقبل المرضَى؛ فمن كان منهم فقيرًا عالجه مجانًا، ومن كان غنيًا أو متوسطًا قبل منه ما أعطاه، ولا يزال كذلك إلى أن يؤذن للمغرب، ثم يسد العيادة ويتوجه إلى المسجد؛ فيشتغل بعبادة الله، والإفتاء، والتعليم، والتأليف.

وقد أصر كل الإصرار أن يكون طعامي عنده في المدة التي أقمتُها عنده، وكان يقدِّمني إمامًا في مسجده في الصلوات الجهرية، ويتقدم هو في الصلوات السرية، ويعلل ذلك بتجويدي للقرآن أكثر منه، وقد عارضتُ معه «الشرح» المذكور، وقرأتُ عليه أطرافًا من «الكتب الستة»، و«ثلاثيات البخاري»، و«أوليات سعيد السُّنبل».

وشاهدتُ من ورعِهِ وخشوعِهِ، وحسن سَمْتِهِ ما لم أشاهد مثله إلا في أستاذي الأول محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشَّنقيطي[1] -رحمة الله عليه-.

ثم ظفرتُ -فيما بعد- برسالة غير مؤرخة وجهها الهلالي للأستاذ محمد لطفي الصباغ -وقد أخبرني الأستاذ الصباغ بذلك في بيته في عمان بعد مغرب ١٨/ ٩/ ٢٠٠٥م، ولكنه قال لي: إنه لا يدري أين مصيرها- يبسط فيها الهلالي القول في هذا الأمر، ولكني أراه لم يصب الحقيقة فيها، مع أنه أصاب وأجاد في قطعه أنه ليس لمحمد أشرف، والرسالة في كتابي «رسائل العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي للعلماء والوجهاء».

(١) هو أول شيخ تعلم منه الهلالي مبادئ العلوم الشرعية وعلم النحو، ولازمه نحو سبع سنوات، وظفرتُ برسالة للهلالي كتبها وهو يدرِّس في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ومؤرخة بـ(٢٥/ ١٢/ ١٣٩٠هـ)، وأرسلها للهند للشيخ عبد الرحيم أشرف، ومما جاء فيها ترجمة موجزة لشيخه هذا، وهذا ما يخصنا منها:

«وأشهد الله أنني كنتُ أتعلم مبادئ العلوم من شيخنا محمد سيدي بن حبيب الله التندغي -نسبة إلى قبيلة تندغ- الشنقيطي المغربي، وكان في بادية احميان -قبيلة من بلاد الجزائر-، أسس مدرسة، وكان عدد تلامذته عشرة، المدرسة خيمة نصبها لهم بقرب خيمته التي يسكن فيها مع أهل بيته؛ فكان -رحمه الله- يأتينا بقصعة الطعام ونحن شباب وهو كهل؛ فيضعها أمامنا، فنأكل أطايبها ونترك الفضلة بعد أن =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

ومن أعجب ما وقع لي معه أني حين عزمتُ على السفر قال لي: لا تسافر في القطار إلى (أعظم كر)؛ فإن اثنين من أصحابنا يريدان السفر إلى هناك في عربة يجرها حصان، ومن (أعظم كر) يمكنك أن تسافر في قطار السكة العريضة، وكان موعد سفر الرجلين في النصف الأخير من الليل؛ فقام -رحمه الله- وخرج من بيته، وجاء إلى المقصورة التي أنام فيها؛ فوجدني مستعدًا، وتوجَّهنا إلى المكان الذي فيه العربة؛ فوضع يده في يدي للمصافحة، وقال لي: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، زوَّدك الله التقوى، ويسَّر لك الخير أين ما توجهت، ودسَّ في يدي ورقة -ظننتها مالية-؛ فرددتُها إلى يده؛ فجذبني من يدي، وسار حتى ابتعدنا من الرجلين؛ فأجهش بالبكاء! ولا بكاء الصبيان الرضع، وهو يقول: اِقْبَلْ منِّي؛ فاقشعرَّ جلدي، وندمتُ على ما فعلتُ من ردِّ تلك الورقة عليه، وأسرعتُ إلى أخذها، ثم مسح دموعه، وأخذ بيدي، ورجعنا؛ فودَّعتُه وركبتُ العربة.

ولما طلع الفجر؛ نزلنا فصليتُ بهما الصبح، ولم أستطع أن أقرأ الفاتحة والسورة من

نشبع؛ فيأكل من تلك الفضلة أمامنا، ولا يزيد على ذلك شيئًا، ولزمته سبع سنين.

فالتمس منه أحد الأمراء أن يعطيه أحد تلامذته ليؤسس له مدرسة، ويتعلم فيها الأمير وأبناؤه وغيرهم؛ فأمرني أن أذهب معه، وقال لي: «**كل مَن جاءك ليطلب العلم؛ فاعتقد أن له فضلاً عليك، وإياك أن تعتقد العكس؛ لأنه هذَّب نفسه وجاهدها حتى ارتضاك معلِّمًا، وجلس بين يديك؛ فابذل كل جهد في استبقاء مودته ونشاطه واجتهاده**»، وأشهد بالله أني عاجز كل العجز عن اقتفاء سيرته وأخلاقه، ولكني أرجو الله -تعالى- أن لا يحرمني من الأخلاق الحسنة التي تحسن بالعالم والمتعلم»، وذكره في كتابه «سبيل الرشاد» (١/ ٣١٤ - بتحقيقي)، ونعته بـ«شيخنا الورع التقي الزاهد. . .»، ونقل عنه قصة في شرك أهل زمانه! ثم ظفرتُ له بترجمة في كتاب «أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق» (ص ٣٤٧-٣٤٨)، وذكر مؤلفه الأستاذ بجيد بن الشيخ يربان الإدريسي أنه توفي في عمان! وليس كذلك، وإنما استقر به المقام في بادية (احميان) من بلاد الجزائر، ومات هناك، ثم وجدتُ الهلالي يقول في كتابه «رحلة من الزبير إلى لا أدري» (١/ ق ١٢٢) عنه: «المتوفى بالمشرية من ناحية العين الصفراء، من عمل وهران سنة ١٣٣٩هـ»، ومضى في التعليق على مقطع (٤٩) صلة الهلالي القوية بأولاد هذا الشيخ بعد وفاته، وهذا من (وفاء) الهلالي لأساتيذه، وهذا من أخلاقه المعروفة، ومعدنه الجيد.

شدَّة البكاءِ تأثرًا بهذه الحادثة؛ فأسأل الله أن ينفعني بصحبته، وما أخذتُهُ من العلم منه، وبصحبة الأستاذ الأول محمد سيدي بن حبيب الله الذي له الفضل الأول في توجُّهي لطلب العلم بعد الله -سبحانه- الذي أرشدني في المنام إلى ذلك بواسطة رؤية النبي ﷺ وأمره لي بطلب العلم، وكنتُ غريقًا في خرافات المتصوفة، وأباطيلهم وأوهامهم؛ فلما رأيتُهُ -عليه الصلاة والسلام- أخذت بيده، ولا أدري؛ هل قبَّلتُها أم لا، وقلتُ ما يُلقِّنه المتصوفةُ لمريديهم: يا سيدي يا رسول الله! خذ بيدي إلى الله! فقال لي: اقرأ العلم، قلت: العلم الظاهر أم الباطن؟ فقال لي: العلم الظاهر؛ فقلت: في بلاد المسلمين أم بلاد النصارى؟ فقال لي: البلاد كلها لله؛ فقلت: يا رسول الله! أدع الله أن يختم لي بالإيمان؛ فرفع أصبعه المسبحة إلى السماء، وقال لي: عند الله، ولم يدعُ لي.

ثم خرجتُ من طريقة أهل التصوف بعد ذلك بسنين على أثر مناظرة جرَتْ بيني وبين أستاذي العلامة الشيخ محمد بن العربي العلوي[1] -رحمه الله-؛ فأخذ الشيطان يوسوس لي بأن شيخ[2] الطريقة التي خرجتُ منها قال: إنَّ كُلَّ مَن أخذ طريقته وتركها؛ يَحُلُّ به البلاء دنيا وأخرى! ولا يموت إلا كافرًا قطعًا! قال: وبذلك أخبره النبي ﷺ يقظةً لا منامًا! مع أنه من أهل القرن الثاني عشر الهجري؛ فكنتُ أدفعه بأدلة الكتاب والسنة!

إلى أن كان شتاء سنة ١٩٤٤م؛ فرأيتُ النبي ﷺ في المنام في صورةٍ أقرب إلى الحقيقة من الصورة التي رأيتُه فيها في الرؤيا الأولى؛ لأن لحيته كانت بيضاء في الأولى، وكانت سوداء في الثانية، وكذلك وجهه -عليه الصلاة والسلام- كان في المرة الثانية أقرب إلى الصفة التي في كتب السير؛ فخطر في بالي أن أسأله أن يدعو الله أن يختم لي بالإيمان، وأنا ذاكر ذلك الوسواس؛ فقال لي: ادْعُ أنت وأنا أؤمِّن على دعائك؛ فرفعتُ يديَّ ودعوتُ قائلاً: اللهم اختم لي بالإيمان؛ فرفع يديه وأَمَّن على دعائي؛ فكان ذلك آخر عهدي بذلك الوسواس.

---

(١) انظر ترجمته تحت مقطع (٢١).

(٢) «هو أحمد التجاني». (بو خبزة).

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

ومع ذلك؛ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وكان بين الرؤيين عشرون سنة.

وقد نظمتُ هذه القصيدة بأمر من أستاذي المذكور[١] -رحمه الله-، وهذا نص ما أثبتَهُ ناشر الكتاب ابن أخي الشارح عبد السميع المباركفوري[٢] في آخر (المجلد الرابع)[٣] من «تحفة الأحوذي» [البحر الكامل]:

هذه قصيدة تأريخيَّة للأُستاذ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المراكشي العراقي، تلميذ الشارح، ورئيس أساتذة آداب اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء سابقًا، أنشدها بعدما أخبره[٤] الشارحُ -رحمه الله تعالى- بإرادته الشروع في طبع (الجزء الأول) من «تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي»، في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٣هـ:

بِسْمِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ ... الْخَالِقِ الرَّزَّاقِ ذِي الْإِحْسَانِ

الْمَالِكِ الْبَاقِي اللَّطِيفِ لِمَا يَشَا ... رَبِّ الْخَلَائِقِ مَا لَهُ مِنْ ثَانِ

خَضَعَتْ لِعِزَّتِهِ السَّمَوَاتُ الْعُلَى ... أَمْلَاكُهَا وَالنَّجْمُ وَالْقَمَرَانِ

وَكَذَا الْبَسِيطَةُ بَرُّهَا وَبُحُورُهَا ... وَدَوَابُّهَا[٥] وَالطَّيْرُ وَالثَّقَلَانِ

---

(١) «يعني: المباركفوري». (بو خبزة).

(٢) في ثلاثة أخرين، هم جميعًا أبناء أخي الشارح، وأسماؤهم: عبد السميع، ومحمد إدريس، ومحمد أمين.

(٣) (ص ٤٠٣-٤٠٤/ ط الحجرية الهندية) أو (١٠/ ٥٣١-٥٣٥ - تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان) أو (٩/ ٤٦٥-٤٦٧ - عناية عصام الصبابطي).

(٤) بعدها في «التحفة»: «الشيخ».

(٥) بالتخفيف للوزن. (ط الحجرية من «التحفة»)، و(الواو) التي في بدايتها أثبتها (بو خبزة) في =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَبِحَمْدِهِ، كُلُّ الْخَلَائِقِ سَبَّحَتْ ... حَتَّى الْجَمَادُ وَذَاكَ فِي الْقُرْآنِ

وَالرَّاسِيَاتُ تَشَقَّقَتْ وَتَفَجَّرَتْ ... وَتَدَكْدَكَتْ مِنْ هَيْبَةِ الرَّحْمَنِ

فَلَهُ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا فِي هَذِهِ الدْ ... دُنْيَا وَيَوْمَ الْحَشْرِ وَالْمِيزَانِ

هُوَ رَبُّنَا وَمَلَاذُنَا وَغِيَاثُنَا ... لَا نَسْتَغِيثُ بِغَيْرِهِ، فِي شَانِ[1]

كَلَّا وَلَا نَدْعُو سِوَى رَبِّ الْعِبَا ... دِ لِنَفْعِنَا أَوْ دَفْعِ كَيْدِ الشَّانِي

فَهْوَ الْقَدِيرُ عَلَى الْأُمُورِ جَمِيعِهَا ... وَسِوَاهُ لَيْسَ لَهُ، بِذَاكَ يَدَانِ

سُبْحَانَهُ، مِنْ مَالِكٍ خَلَقَ الْعِبَا ... دَ وَقَدَّرَ[2] الْأَرْزَاقَ بِالْمِيزَانِ

وَهَدَى الْأَنَامَ[3] بِرُسْلِهِ، لِصَلَاحِهِمْ ... وَعَلَيْهِمُ، قَدْ جَادَ بِالْفُرْقَانِ

كُتُبٌ مُطَهَّرَةٌ عَلَيْهِمْ أُنْزِلَتْ ... مِنْ رَبِّهِمْ لِهِدَايَةِ الْإِنْسَانِ

حَاشَاهُ أَنْ يَدَعَ الْوَرَى هَمَلاً بِلَا ... رُسُلٍ وَلَا نُورٍ وَلَا بُرْهَانِ

خَتَمَ النَّبِيِّينَ الْهُدَاةَ بِخَيْرِهِمْ ... وَالْكُتْبَ بِالْقُرْآنِ ذِي التِّبْيَانِ

لِلنَّاسِ كُلِّهِمُ، قَدَ ارْسَلَ[4] أَحْمَدًا[5] ... يَهْدِيهِمُ، لِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ

«منحة الكبير المتعالي» بالقلم، وهي مثبتة في (الدفتر الخاص).

(١) بتسهيل الهمزة ألفًا؛ للوزن، وهو جائز حتى في النثر. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٢) في (الدفتر الخاص): «. . .العباد وقدر. . .»!

(٣) في (الدفتر الخاص): «العباد».

(٤) (ارسل) بالوصل، بنقل حركة الهمزة؛ للوزن، وهو جائزٌ بلا ضرورة، بل واقع في القرآن في قراءة ورش. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٥) (أحمد) بالصرف للوزن.

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَيُطَهِّرُ الْأَخْلَاقَ مِنْ شِرْكٍ وَمِنْ ... جَهْلٍ وَمِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ كُفْرَانِ

فَوَفَى بِمَا وَعَدَ الْإِلَهَ[1] بِهِ مِنَ الْـ ... إِصْلَاحِ لَمْ يُثْنِيهِ[2] عَنْهُ ثَانِ

وَهَدَى[3] الْعِبَادَ بِنُورِ رَبِّهِمُ إِلَى النْـ ... ـنَهْجِ الْقَوِيمِ بِرَأْفَةٍ وَحَنَانِ

مَا زَالَ مُجْتَهِدًا لِإِنْقَاذِ الْوَرَى ... وَنَجَاتِهِمْ مِنْ هُوَّةِ[4] الْخُسْرَانِ

قَاسَى شَدَائِدَ لَوْ أُصِيبَ بِبَعْضِهَا ... شُمُّ الْجِبَالِ لَصِرْنَ كَالْقِيعَانِ

فَأَقَامَ يَدْعُو غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِمَا ... لَاقَى مِنَ الْجُهَّالِ مِنْ عُدْوَانِ

حَتَّى أَتَى النَّصْرُ الْمُبِينُ وَأَذْعَنَتْ ... زُمَرُ الْأَعَادِي أَيَّمَا إِذْعَانِ

مُتَبَتِّلٌ لِإِلَهِهِ مُتَعَبِّدٌ[5] ... مَعْسُورُهُ وَالْيُسْرُ مُسْتَوِيَانِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا ذُكِرَ اسْمُهُ ... وَالْآلِ مَعْ أَصْحَابِهِ الشُّجْعَانِ

بُشْرَى لَنَا يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ ... ذِي نِعْمَةٌ جَاءَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ[6]

---

(١) في الطبعة الحجرية من «التحفة» بفتح هاء (الإله)، وفي الطبعتين السابقتَيْن: «فَوَفِيَ بما وعد الإلهُ»!

(٢) في «الديوان»: «تثنيه»! والمثبت من «التحفة»، وفي هامش الحجرية منها: «لم يثنيه؛ بإثبات الياء للوزن على حدِّ قوله:

ألم يأتيك والأنباءُ تنمى ... بما لاقَتْ لبونَ بني زيادِ»

وبالياء في (الدفتر الخاص).

(٣) في (الدفتر الخاص): «فهدى».

(٤) في (الدفتر الخاص): «دائرة».

(٥) في (الدفتر الخاص): «متبتّل متقشف متعبد».

(٦) التصريع: هو أن يجعل الشاعر العروض والضرب متشابهين في الوزن والروي في البيت =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

ذِي تُـــحْفَةٌ لِلْأَحْـــوَذِيِّ وَمِنْحَـــةٌ ... لِلْأَلْـــمَعِيِّ الطَّالِـــبِ الْعِرْفَـــانِ

شَرْحٌ بِهِ انْشَرَحَتْ صُدُورُ أُولِي النُّهَى ... وَبِـــهِ الْـــمُحَدِّثُ نَـــالَ كُـــلَّ أَمَانِـــي

شَرْحٌ يَـــحُلُّ الْمُـــشْكِلَاتِ بِجَـــامِعٍ ... لِلتِّرْمِـــذِيِّ الْعَالِـــمِ الرَّبَّانِـــي

شَرْحٌ عَـــلَا فَـــوْقَ الـــشُّرُوحِ بِحِكْمَـــةٍ ... وَبِغَايَـــةِ التَّحْقِيـــقِ وَالْإِتْقَـــانِ

مَـــا شَـــانَهُ مَيْـــلٌ وَلَا عَـــصَبِيَّةٌ ... لِـــمَذَاهِبٍ زَلَّـــتْ بِـــهَا الْقَـــدَمَانِ

بَـــلْ زَانَـــهُ الْإِنْـــصَافُ تِلْـــكَ بُحُوثُـــهُ[1] ... مَوْزُونَـــةٌ بِالْقِـــسْطِ وَالْـــمِيزَانِ

وَأَبَـــانَ أَحْـــوَالَ الـــرُّوَاةِ جَـــمِيعِهِمْ ... مِـــنْ حُجَّـــةٍ أَوْ صَـــالِحٍ أَوْ وَانِ[2]

لَا غَـــرْوَ إِذْ أَبْـــدَاهُ بَحْـــرٌ زَاخِـــرٌ ... فَخْـــرُ الْعَيَالِـــمِ عَابِـــدُ الرَّحْـــمَنِ

الْـــحَافِظُ الثِّقَـــةُ الْإِمَـــامُ الْـــمُهْتَدِي ... مَـــنْ صِـــيتُهُ قَـــدْ طَـــارَ فِـــي الْأَوْطَـــانِ

وَرِثَ الْـــمَكَارِمَ عَـــنْ أَبِيـــهِ الْمُرْتَـــضَى ... عَبْـــدِ الـــرَّحِيمِ مُـــحَقِّقِ الْقُـــرْآنِ

وَغَـــدَا سِرَاجًـــا لِلْهِدَايَـــةِ فِـــي (مُبَـــا ... رَكْبُـــورَ[3]) بَـــلْ فِـــي سَـــائِرِ الْبُلْـــدَانِ[4]

المصرَّع، وربما صرَّع الشاعر في غير الابتداء، وذلك إذا خرج من قصَّة إلى قصَّة، أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر؛ فيأتي -حينئذٍ- بالتصريع إخبارًا بذلك، وتنبيهًا عليه؛ انظر «المعجم المفصل» (ص ١٩٣-١٩٤)، وكذلك فعل الهلالي -رحمه الله- هنا في هذا البيت تنبيهًا إلى أنه سيبدأ بذكر أمرٍ آخر غير الذي بدأ به، وقد أنهى ما بدأ به بالصلاة على النبي ﷺ وآله وأصحابه في البيت السابق، والله الموفق. (أبو الفضل).

(١) في (الدفتر الخاص): «فصوله».

(٢) أي: ضعيف. (هامش ط الحجرية من «التحفة»).

(٣) كذا في «تحفة الأحوذي» و(الدفتر الخاص)، وفي «الديوان» بزيادة ياء في آخره!

(٤) بعده في (الدفتر الخاص): =

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

لِلهِ مَـا أَبْـدَاهُ هَـذَا الْـحَبْرُ مَـنْ ... بَـهَرَتْ مَعَارِفُـهُ ذَوِي الْعِرْفَـانِ

فَلَقَـدْ أَتَـى[1] فِـي شَرْحِـهِ بِفَرَائِـدٍ ... دُرَرٍ تَفُـوقُ قَلَائِـدَ الْعِقْيَـانِ

أَحْيَـى بِـهِ الـسُّنَنَ الَّتِـي قَـبَرَ الْعِـدَا ... مِـنْ ظُلْمِهِـمْ فِـي غَـابِرِ الْأَزْمَـانِ

فَتَبَـشَّرُوا أَهْـلَ الْـحَدِيثِ بِـذَا الْكِتَـا ... بِ وَقَـابِلُوهُ بِوَاجِـبِ الـشُّكْرَانِ

هُـوَ نِعْمَـةٌ لِلْمُـسْلِمِينَ عَظِيمَـةٌ ... حَاشَـا[2] أَخِـي بِـدَعٍ جَهُـولٍ شَـانِ[3]

عَمَّتْهُمُ وَأُولِـي الْـحَدِيثِ ذَوِي الْعُلَى ... خَـصَّتْهُمُ بِمَوَاهِـبٍ وَأَمَانِـي[4]

إِذْ هُـمْ هُـدَاةُ الْـخَلْقِ بَعْـدَ الْمُـصْطَفَى ... الْـمُرْتَقُونَ مَرَاتِـبَ الْإِحْـسَانِ

مَـا الْـمُؤْمِنُونَ حَقِيقَـةً إِلَّا الَّذِيـ ... ـنَ قَـدِ اقْتَفَـوْا قَـوْلَ النَّبِـي[5] الْعَدْنَانِـي

جَـمَعُوهُ لِلـذِّكْرِ الْـحَكِيمِ فَأَشْرَقَـتْ ... أَنْـوَارُهُ لَـهُمُ بِكُـلِّ[6] بَيَـانِ

وَلَـهُ التَّـصَانِيفُ الَّتِـي مِـنْ حُـسْنِهَا ... سَـارَتْ مَسِيرَ الـشَّمْسِ فِـي الْأَوْطَـانِ

ثم غيَّر أوله ومكانه؛ فجعله مدحًا لكتاب «التحفة» وسيأتي، وأوله: (من قبله أبدى . . .).

(١) غير واضحة في أصل «الديوان»، وجوَّدها (بو خبزة) في الهامش، ثم وجدتُها -ولله الحمد- مجوَّدةً في (الدفتر الخاص).

(٢) بدلها في (الدفتر الخاص): «إلَّا».

(٣) كذا في «التحفة» وأصل «الديوان»، وأثبتها (بو خبزة) في الهامش: «شاني».

(٤) في «التحفة» و(الدفتر الخاص): «خصَّتْهُمُ بِزِيَادَةِ الإِحْسَانِ»!! وأثبت الهلالي في «الديوان» بعد كشط المزبور، وهو الصحيح؛ فتأمل! وفي (الدفتر الخاص): «عمّتهمو . . . خصتهمو».

(٥) (النَّبِي) بسكون الياء للوزن. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٦) في (الدفتر الخاص): «لكل».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

لَـمْ يَـضْرِبُوا بَعْـضَ الْكِتَـابِ بِبَعْـضِهِ ... كَـلَّا وَلَا قَـوْلَ النَّبِـي (١) بِقُـرَانِ (٢)

فَهُـمُ مَـصَابِيحُ الْـهِدَايَةِ فَـاقْفُهُمْ (٣) ... إِنْ شِـئْتَ أَنْ تَنْجُـو (٤) مِـنَ الْخُسْرَانِ

حَاشَـا لَـهُمْ أَنْ يَتْرُكُـوا قَـوْلَ الرَّسُـو ... لِ لِـمَا رَأَوْهُ أَوْ لِقَـوْلِ فُـلَانِ

لَـمْ يُـحْدِثُوا حَـدَثًا وَلَـمْ يَتَفَرَّقُـوا ... فِـي دِيـنِهِمْ كَتَفَـرُّقِ (٥) الْعُمْيَـانِ

وَرَمَـتْهُمُ أَعْـدَاؤُهُمْ بِعُيُوبِـهَا ... مَـاذَا يَـضِيرُهُمُ مِـنَ الْبُهْتَـانِ

خَلَقَـتْ لَـهُمْ أَلْقَـابَ سَـوْءٍ مِثْـلَ مَـا ... نَبَـزَ الـصَّحَابَةَ عَابِـدُو الْأَوْثَـانِ

وَاللهُ (٦) طَهَّـرَهُمْ وَأَعْـلَى قَـدْرَهُمْ ... عَـنْ نَبْـزِ كُـلِّ مُعَطِّـلٍ خَـوَّانِ

مَـا حَرَّفُـوا مِـنْ آيَـةٍ كَـلَّا وَلَا ... رَدُّوا حَـدِيثًا جَـاءَ إِلَّا الْوَانِـي (٧)

هُـمْ وَارِثُـوا نُـورِ الرَّسُـولِ فَلُـذْ بِـهِمْ ... إِنْ كُنْـتَ تَبْغِـي خَـالِصَ الْإِيـمَانِ

أَهْـلُ الْـحَدِيثِ هُـمُ الْأُلَى عَمِلُـوا بِـهِ ... لَا الْـمُكْثِرُونَ وَلَا ذَوُو الْإِتْقَـانِ

---

(١) (النَّبِي) بسكون الياء للوزن. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٢) (بقُرَان) بنقل حركة الهمزة، وهي لغة في القرآن. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٣) في (الدفتر الخاص): «فاكفهم».

(٤) (تَنْجُو) بسكون الواو للوزن، على حدِّ قول كعب بن زهير: أرجو وآملُ أن تدنوْ مودَّتُها. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٥) في «التحفة» و«منحة الكبير المتعالي»: «كتفرقة»، وصوَّبها (بو خبزة) في الهامش: «كتفرق»؛ ليستقيم الوزن، وهي كذلك في (الدفتر الخاص).

(٦) في (الدفتر الخاص): «الله» دون (واو) في أوله.

(٧) تحتها في «التحفة» (ط الحجرية): «أي: الضعيف»، وفي (الدفتر الخاص): «الوان»!

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

إِلَّا إِذَا عَمِلُوا فَهُمْ أَوْلَى بِهِ ... مِنْ غَيْرِهِمْ حَقًّا بِلَا نُكْرَانِ

فَاعْكُفْ عَلَى أَسْفَارِهِمْ تَنَلِ الْمُنَى ... وَاعْمَلْ بِهَا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

لَا سِيَّمَا هَذَا الْكِتَابُ الْمُنْتَقَى ... فَهُوَ الشِّفَاءُ لِغُلَّةِ الظَّمْآنِ

وَاشْكُرْ مُؤَلِّفَهُ فَكَمْ قَاسَى الْعَنَا ... غَوْصًا عَلَى الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ

حَتَّى أَجَادَ بِحِكْمَةٍ تَرْصِيفَهُ ... فَدَنَا جَنَى جَنَّاتِهِ لِلْجَانِي[1]

مِنْ قَبْلِهِ أَبْدَى التَّآلِيفَ الَّتِي ... سَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الْأَوْطَانِ[2]

فَجَزَاهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... وَحَبَاهُ فِي الدَّارَيْنِ كُلَّ أَمَانِ

تَارِيخُهُ (بُشْرَى لَكُمْ يَا مَعْشَرَ النْـ ... ـنُجَبَاءِ لُبِّ)[3] فِي رَبِيعِ الثَّانِي

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ ... مَا غَنَّتِ الْوَرْقَاءُ فِي الْأَغْصَانِ

---

(١) أي: المقتطف. (ط الحجرية من «التحفة»).

(٢) موضع هذا البيت في (الدفتر الخاص) عند مدح والد المصنف، وسبق في الهامش مع تغيير في أوله.

(٣) تحتها في الطبعة الحجرية: (سنة ١٣٤٣هـ)، وهي سنة تأريخ الفراغ من تأليف «الشرح»، و(لب) دون ألف في النسختين من «الديوان»، بينما هي في الطبعة الحجرية من «التحفة» وفي الطبعتين المنوّه بهما سابقًا (لبًّا) بالنصب؛ بإثبات الألف، ولا يستقيم التأريخ المذكور على حساب (حروف الجُمَّل) إلَّا بحذفها، ولذا أثبتها هكذا: (لبِّ)، وهكذا وجدتُها مجوَّدةً في (الدفتر الخاص).

وكان الناظم أثبت البيت هكذا:

بشرى لكم يا معشر النجبا بجد ... ول أرّخوه في ربيع الثاني

ثم عدَّله في أسفل الصفحة كالمثبت.

وَاغْفِرْ لِنَاظِمِهَا مُحَمَّدِ الْهِلَا ... لِي ذَنْبَهُ يَا وَاسِعَ الْغُفْرَانِ

فَرِّجْ بِفَضْلِكَ يَا كَرِيمُ كُرُوبَهُ ... وَاخْتِمْ لَنَا بِالْخَيْرِ وَالرِّضْوَانِ

* * *

[ترحيب بقدوم السري الثري مصطفى آل إبراهيم][1]

[١٥٤] وقلتُ في[2] القطعة ترحيبًا بقدوم الشيخ مصطفى آل إبراهيم من الهند، وكان يسافر دائمًا إلى عمه تاجر اللؤلؤ الشيخ قاسم آل إبراهيم في بُمباي، وكان قدومه في ٢٨ شعبان ١٣٤٥هـ من بحر الكامل:

بُشْرَى لَنَا شَمْسُ الْمَسَرَّةِ أَشْرَقَتْ ... بِرُبُوعِنَا فَمَحَتْ دُجَى الْأَشْجَانِ

وَالنَّهْرُ يَجْرِي صَافِيًا كَقُلُوبِنَا ... وَالطَّيْرُ خَاطِبَةٌ عَلَى الْأَفْنَانِ

وَالزَّهْرُ يَبْسِمُ عَنْ لَآلِئَ رَطْبَةٍ ... تَزْهُو عَلَى الْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ

فَانْظُرْ وُجُوهَ الْوَامِقِينَ تَهَلَّلَتْ ... وَبَدَتْ عَلَيْهَا نَضْرَةُ الْجَذْلَانِ[3]

وَالْحَاسِدُونَ وُجُوهُهُمْ فِي جَنَّةٍ ... وَقُلُوبُهُمْ تُشْوَى عَلَى النِّيرَانِ

بِقُدُومِ مَنْ حَازَ الْمَفَاخِرَ كُلَّهَا ... وَسَمَا عَلَى النُّظَرَاءِ وَالْأَقْرَانِ

بَحْرُ الْمَكَارِمِ مُصْطَفَى مِنْ سَادَةٍ ... وَرِثُوا الْعُلَى مِنْ غَابِرِ الْأَزْمَانِ

---

(١) ظفرتُ بالأبيات في (الدفتر الخاص) بالهلالي (ق ٦٨)، وقبلها: «٢٨ شعبان ١٣٤٥هـ» فقط، ووضع عليها -كالعادة- علامة (نقلت)؛ أي: إلى «الديوان».

(٢) أثبت بعدها (بو خبزة) بخط اليد: «بحر».

(٣) في «القاموس» (١٢٦١): «جَذَل جُذُولاً: فرح؛ فهو جَذِلٌ وَجَذْلان من جُذْلان».

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

أَهْـلاً وَسَـهْلاً مَرْحَبًـا بِـكَ قَادِمًـا ... بِلِقَائِـهِ، قَـدْ قَـرَّتِ الْعَيْنَـانِ

يَـا بَـهْجَةً لِلنَّـاظِرِينَ وَزِينَـةً ... لِـمَجَالِسِ الْإِخْـوَانِ وَالْـخُلَّانِ

وَاهًـا لِـمَقْدَمِكَ الْـمُبَارَكِ سَـارِيًا ... بِقُلُوبِنَـا كَالْـمَاءِ لِلظَّمْـآنِ

سَـقِمَ الْفُـؤَادُ بِبَيْـنِكُمْ زَمَنًـا فَـذَا ... يَـوْمُ الـشِّفَا لِلْوَالِـهِ الْـحَرَّانِ

* * *

[دعوة إلى إحياء الأدب العربي][1]

[١٥٥] وقلتُ في حفلة دُعيتُ إليها، أقامها مُحبُّو الأدب العربي من الشيعة الجعفرية بمعهدهم في مدينة لكناو، وأنشدتُها في ذلك الاحتفال؛ فكان لها وقع جميل في نفوسهم، وكان ذلك في ٧ شعبان ١٣٥٥هـ من **بحر البسيط**:

لَا تَعْذُلَانِـي فَـإِنَّ الْعَـذْلَ يُغْرِينِـي ... وَالْـهَجْرُ يَقْتُلُنِـي وَالْوَصْـلُ يُـحْيِينِي

وَالْوَجْـدُ يَـنْهَضُ بِـي وَالْعَجْـزُ يُقْعِدُنِـي ... وَالـشَّوْقُ يَنْـشُرُنِي وَالْيَـأْسُ يَطْـوِينِي

وَالـدَّمْعُ يَنْـصُرُنِي وَالـصَّبْرُ يَـخْذُلُنِي ... وَالـسُّهْدُ يَـأْلَفُنِي وَالنَّـوْمُ يَجْفُونِـي

كَيْفَ اصْطِبَارِي عَلَى رُوحِي تُفَارِقُنِي ... وَأَنْثَنِـي وَلَـهِيبُ الْبَـيْنِ يَـشْوِينِي

سَارَتْ جِمَالُـهُمُ يَوْمَ الرَّحِيلِ ضُحًى ... وَخَلَّفُونِـي وَحِيـدًا جِـدُّ مَـحْزُونِ

فَـلَا خَلِيـلَ إِلَيْـهِ أَشْـتَكِي حَزَنِـي ... وَلَا طَبِيـبَ يَـرَى سُـقْمِي فَيَأْسُونِـي

مَالِـي عَـلَى الْبَـيْنِ مِـنْ صَـبْرٍ وَلَا جَلَـدٍ ... وَلَـيْسَ شَيْءٌ طِـوَالَ الـدَّهْرِ يُـسْلِينِي

---

(١) الأبيات في (الدفتر الخاص) (ق ١٠٤-١٠٥) للهلالي، وقبلها: «الكهنو ٧ شعبان ١٣٥٥هـ».

إِلَّا مَـحَبَّةَ خَـيْرِ الْـخَلْقِ سَـيِّدِنَا ... وَآلِـهِ الـسَّادَةِ الْغُـرِّ الْـمَيَامِينِ

مَـنْ جَـاءَ بِـالنُّورِ وَالْأَرْجَـاءُ مُظْلِمَـةٌ ... وَأَنْقَـذَ النَّـاسَ مِـنْ أَيْـدِي الـشَّيَاطِينِ

وَجَـاءَ بِالْعَـدْلِ وَالقِـسْطَاسِ يَرْفَعُـهُ ... وَخَلَّـصَ الْـخَلْقَ مِـنْ جَـوْرِ السَّلَاطِينِ

وَجَاءَنَـا بِكِتَـابٍ لَا نَظِـيرَ لَـهُ ... مُبَيِّنًـا كُـلَّ مَفْـرُوضٍ وَمَـسْنُونِ

مُنَـزَّلٌ بِلِـسَانِ الْعُـرْبِ يَفْقَهُـهُ ... مَـنْ خَـصَّهُ رَبُّنَـا بِالْفِقْـهِ فِـي الـدِّينِ

مَـنْ صَـدَّ عَـنْ لُغَـةِ الْقُـرْآنِ يُـحْرَمُ مِـنْ ... تَـدَبُّرِ الـذِّكْرِ فَهْـوَ جِـدُّ مَغْبُـونِ

وَقَـدْ عَفَـتْ لُغَـةُ الْقُـرْآنِ وَانْدَرَسَـتْ ... لَـمْ يَبْـقَ إِلَّا سُـطُورٌ فِـي الـدَّوَاوِينِ

فَقَـامَ فِتْيَـانُ صِـدْقٍ جَاهِـدِينَ عَـلَى ... أَنْ يَنْشُرُوهَا مِنَ الْأَجْدَاثِ فِي الْحِينِ

شَـدُّوا الْـحَيَازِيمَ لَـمَّا قَـالَ قَـائِلُهُمْ ... هُبُّـوا لِإِخْـرَاجِ كَنْـزٍ ثَـمَّ مَـدْفُونِ

هُبُّـوا لِإِحْيَـاءِ مَـجْدٍ صَـارَ فِـي تَلَـفٍ ... يُـؤْتِيكُمُ اللهُ أَجْـرًا غَـيْرَ مَـمْنُونِ

هُبُّـوا لِـدَرْكِ مَفَـاتِيحِ الْعُلُـومِ وَلَا ... تُـصْغُوا لِقَـوْلِ امْـرِئٍ بِـاللَّهْوِ مَفْتُـونِ

وَلَا يَـصُدَّنَّكُمْ عَنْهَـا الْعُـدَاةُ فَـمَا ... يَبْغُـونَكُمْ غَـيْرَ تَخْـسِيرٍ وَتَـوْهِينِ

يَبْغُـونَ إِطْفَـاءَ مِـصْبَاحٍ يُـضِيءُ لَكُـمْ ... سُـبُلَ الْـهُدَى وَيَقِـيكُمْ كُـلَّ مَفْتُـونِ

لَبَّيْـكَ لَبَّيْـكَ قَـالَ الْقَـوْمُ وَاسْتَبَـقُوا ... إِلَى اقْتِنَـا لُؤْلُـؤٍ فِـي الْعِلْـمِ مَكْنُـونِ

وَأَحْـرَزُوا دُرَرًا نَاهِيـكَ مِـنْ دُرَرٍ ... نَـالُوا بِـهَا السَّبْقَ فِـي كُـلِّ الْـمَيَادِينِ

وَنَظَّمُوهَـا عُقُـودًا لَا نَظِـيرَ لَـهَا ... وَأَنْـشَدُوهَا بِتَرْتِيـلٍ وَتَلْحِـينِ

وَشَـنَّفُوا سَـمْعَنَا بِكُـلِّ مُبْتَكَـرٍ ... مِنْ أَحْسَنِ الشِّعْرِ جَزْلاً غَيْرَ مَلْحُونِ

موقع الشيخ
محمد تقي الدين الهلالي
www.alhilali.net

وَقَدْ أُدِيرَتْ كُؤُوسُ الرَّاحِ يَحْمِلُهَا ... كُلُّ فَتًى مَاجِدٍ بِالنُّبْلِ مَيْمُونِ[١]

صِرْنَا نَشَاوَى سُرُورٍ مِنْ[٢] مَذَاقَتِهَا ... كَأَنَّهَا مِنْ رُضَابِ الْخُرَّدِ[٣] الْعِينِ

فِي حَفْلَةٍ شَرُفَتْ لِكُنُو بِبَهْجَتِهَا ... بِمَنْزِلٍ فَاخِرٍ بِالسَّعْدِ مَقْرُونِ

وَلَيْسَ فِي مِقْوَلِي فَضْلٌ فَأَوْفِيهَا ... مَا تَسْتَحِقُّهُ مِنْ وَصْفٍ وَتَبْيِينِ

وَكَثْرَةُ الْهَمِّ وَالْأَشْغَالِ شَافِعَةٌ ... لَدَيْكُمُ فِي قَبُولِ شِعْرِيَ الدُّونِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى أَبَدًا ... مَا غَرَّدَ الوُرْقُ سَجْعًا فِي الْأَفَانِينِ

* * *

[وصف يوم قيظ حار][٤]

[١٥٦] وقلتُ في يوم قيظ حار في الدورة، وهي قريبة من البحر الذي يُسمَّى عند العرب: (الخليج العربي)، وعند الإفرنج: (الخليج الفارسي)، وقد ماتَتْ ريح الشمال التي تُنْعِشُ أهل العراق، وانتشرَتْ رطوبةُ البحر، واشتدَّ الغمُّ والكربُ، وكان ذلك في ٢٠ صفر ١٣٤٥هـ من بحر المجتث:

كِدْنَا نَمُوتُ مِنَ الْحَرْ ... رِ يَا إِلَهِي أَغِثْنَا

بِهَبَّةٍ مِنْ نَسِيمٍ ... تُزِيلُ ذَا الْكَرْبَ عَنَّا

---

(١) في (الدفتر الخاص): «مقرون»، ورسم فوقها المثبت.

(٢) أثبتها (بو خبزة) في الأصل بخط اليد، وهي موجودة في (الدفتر الخاص).

(٣) هي البكر التي لم تُمسّ؛ انظر «المعجم الوسيط» (٢٢٥).

(٤) البيتان في (الدفتر الخاص) للهلالي (آخر ق ١٢٧)، وقبلهما: «٢٠ صفر ١٣٤٥هـ».